الجمهورية التركية
جامعة وان يوزنجوييل
معهد العلوم الاجتماعية
قسم العلوم الإسلاميّة الأساسية
شعبة التفسير

دراسة موضوعية تحليلية حول المقاصد الشَّرعيَّة وتطبيقاتها في سورة مُحَمَّد

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد

فرحان حاوي أحمد

إشراف

أ. د. عبد الباقي كونش

وان – 2020

المحتويات

ملخّص الرسالة..... IV
الاختصارات..... VII
المقدمة..... VIII
التَّمهيد..... 1
1. دراسة حول سورة مُحَمَّدε والمقاصد الشَّرعيَّة فيها..... 5
1.1. التعريف بسورة مُحَمَّد ε..... 6
1.1.1. اسم السورة وعدد آياتها وترتيبها بين السور 6
2.1.1. مكان وزمن تنزيل السورة..... 7
3.1.1. خصائص السور المدنية..... 9
4.1.1. محور السورة..... 10
5.1.1. المناسبات في السورة 12
6.1.1. أسلوب السورة..... 15
7.1.1. اختلاف القراءات في السورة..... 18
8.1.1. أسباب نزول الآيات في السورة..... 21
9.1.1. مسألة النسخ في السورة..... 24
2.1. دراسة حول مفهوم المقاصد وأنواعها..... 26
1.2.1. مفهوم المقاصد الشَّرعيَّة 27
2.2.1. أنواع المقاصد الشَّرعيَّة 31
3.2.1. أقسام المقاصد الشَّرعيَّة..... 36
4.2.1. أهمية المقاصد الشَّرعيَّة..... 40
5.2.1. طرق الكشف عن المقاصد الشَّرعيَّة..... 43
2. دراسة موضوعية تطبيقية للمقاصد الشَّرعيَّة الخاصّة بأحوال الكافرين والمنافقين في السورة..... 45
1.2. المقاصد الشَّرعيَّة وتطبيقاتها المتعلّقة بأحوال الكافرين..... 46
1.1.2. ضَلال الأعمال 52
2.1.2. الهَلاك والدَّمار 54
3.1.2. عدم حصول المغفرة..... 54

4.1.2. دخول نار جهنم..... 55
2.2. المقاصد الشَّرعيَّة وتطبيقاتها المتعلقة بأحوال المنافقين..... 57
1.2.2. الطَّبْعُ على القلوب 58
2.2.2. التهديد والوعيد 59
3.2.2. إغواء الشيطان..... 59
4.2.2. إحباط الأعمال..... 60
5.2.2. كشف الأسرار..... 61
3. دراسة موضوعية للمقاصد الشَّرعيَّة وتطبيقاتها الخاصة بأحوال المؤمنين في السورة .. 62
1.3. المقاصد الشَّرعيَّة وتطبيقاتها المُتَعَلِّقَة بأحوال المؤمنين..... 62
1.1.3. تكفير السيئات وإصلاح البال..... 64
2.1.3. الزيادة في الهدى والتقوى 65
3.1.3. الابتلاء..... 66
4.1.3. العزاء والتسلي..... 69
5.1.3. النصر والتمكين..... 70
6.1.3. التولّي 74
7.1.3. دخول الجنة وتعريفها للمؤمنين..... 77
2.3. الأحكام الشَّرعيَّة الخاصَّة بالمؤمنين 78
1.2.3. القتال..... 79
2.2.3. الجهاد..... 92
3.2.3. العلم بكلمة التوحيد 95
4.2.3. الاستغفار..... 98
5.2.3. الطاعة وعدم إبطال الأعمال..... 99
6.2.3. الوَهْنُ والسِّلْم 104
الخاتمة..... 108
المصادر والمراجع..... 111

رسالة الماجستير

فرحان حاوي أحمد

جامعة وان يوزنجوييل

معهد العلوم الاجتماعية

أغسطس 2020

دراسة موضوعية تحليلية حول المقاصد الشَّرعيَّة وتطبيقاتها في سورة مُحَمَّد

ملخّص الرسالة

سورة مُحَمَّد –ε– من السُّور المدنية التي تُعْنى بتشريع الأحكام التي جاءت بها الشَّريعة الإسلاميَّة، فهي تحتوي على أحكام القتال مع الأعداء؛ ولذا سُمِّيَت باسم آخر وهو: القتال؛ لبروز موضوع القتال فيها، فقد شُرِّعَت فيها أحكام الأسرى، وما يؤول إليه أمرهم من المَنِّ والفداء.

والمقاصد الشَّرعيَّة هي المعاني المَلْحُوظة في أمور الشَّريعة، التي جاء بها الإسلام لتستقيم الحياة بها وتُنْتَظم بِحَسَبِ مُراد الله –Y–، وهذه المقاصد تكون على ثلاث مراتب وهي: الضَّروريات، والحاجيات، والتحسينيات. وتُعَدُّ الضَّروريات أعلاها مرتبة؛ لأنَّ الحياة لا تستقيم إلا بوجودها، ولا يُمْكِن الاستغناء عنها، وأكَّدت الشَّريعة الإسلاميَّة على وجوب حفظها، حيث تُنزَّل على خمس مراتب وهي: الدِّين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال. ثمَّ تأتي بعدها أدناها مرتبة وهي: الحاجيات والتحسينيات، ويكون حفظ المراتب الثلاث من جانبين، وهما: جانب الوجود، وجانب العدم، وهذه المقاصد من حيث العموم تُقَسَّمُ على أقسام، منها: المقاصد العامَّة: وهي التي تُلاحَظ في جميع أو أغلب أبواب الشريعة ومجالاتها؛ بحيث لا تختص ملاحظتها في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها الكبرى، ومنها المقاصد الخاصّة: وهي التي تهدف الشريعة إلى تحقيقها في باب معين، أو في أبواب قليلة متجانسة من أبواب التشريع. ومثالها: مقاصد الشارع في أحكام العائلة. ومقاصد الشارع في التصرفات المالية. ومقاصد القضاء والشهادة. ومقاصد التبرعات. ومنها المقاصد الجزئيّة: وهي العِلَل والحِكَم الجزئية المُتعلِّقَة بأحكام الشَّرعيَّة الفَرعيَّة، والعائدة على بعض الناس بالنفع والخير ومثالها: الانتفاع بالبيع، والمهر. ومنها الكليَّة: وهي التي تعود إلى عموم الأمَّة كافة أو أغلبها،

ومثالها: حفظ النظام، وحماية القرآن والسُّنَّة من التحريف والتغيير، وتنظيم المعاملات، وبث روح التعاون والتسامح، وتقرير القيم والأخلاق.

والمقاصد الشَّرعيَّة لها أهميّة كبيرة في تشريع الأحكام إذ بها تُعرَف الغايات والأسرار التي من أجلها شُرِّعَت الأحكام؛ ليتمّ تطبيقها التطبيق الصحيح وِفْقًا لما أراده الشارع الكريم من الهدف في تشريعه للأحكام، وكذلك تقوم المقاصد الشَّرعيَّة على تقوية حِنْكَة الفقيه الذي يستطيع أن يصل إلى مُراد الشَّارع الكريم. والوصول إلى معرفة المقاصد الشَّرعيَّة للأحكام يكون من خلال عدَّة طرق أهمها: فَهْمُ اللغة العربيَّة فَهماً صحيحاً؛ لأنَّ القرآن إنَّما نَزَل بلغة العرب، ويكون فَهْمُ النُّصوص التي جاء بها القرآن وِفْقاً لِفَهْمِ اللغة التي نزل بها، ومنها: الرَّبْط بين نصوص الشَّريعة الإسلاميَّة وأحكامها للوصول إلى مُراد الشَّارع من هذه الأحكام، ومنها: معرفة العلل التي جاءت بها الأحكام التشريعيّة، حيث يمكن معرفة المقاصد الشَّرعيَّة التي تضمَّنتها السورة من خلال دلالة النَّص التي تعيننا في استنباط الحكم الشَّرعي، وكذلك أيضاً نتوصل بها إلى الحكم من خلال الإشارة التي يحملها النَّص، ومقتضى حال النَّص وهكذا.

وعرض القرآن الكريم في سورة مُحَمَّد –ε– أحوال الكافرين وأعمالهم التي كانوا يعملونها من الكفر باللّه –Y– وصدِّ الناس عن دينه القويم الذي جاء به النَّبيُّ مُحَمَّد –ε–فالكفر هو الذي يُخْرِجُ من ملة الإسلام، ويُخَلِّدُ صاحبه في النار، والكافر: هو من أنكر معلوماً من الدِّين بالضرورة، كأنَّه أنكر شيئاً من خلق الله تعالى، ومن شَبَّهَ الله بأحد من خلقه في صفاته، أو أنكر صفة من صفات الله التي سمَّى الله بها نفسه، أو أنكر أنَّ القرآن كلام الله فقد كفر، ومن كان عالماً في قلبه أنَّ الله واحد، وأنَّ هذا الدِّين حَقٌّ، ولم ينطق بها لسانه تَكَبُّراً وعناداً وجحوداً فهو من الكافرين. والكفر يكون على أقسام: كفر الإنكار والتكذيب، وكفر الاستكبار، وكفر الشك، و كفر الصدّ والإعراض، وكفر النفاق. والسورة الكريمة تضمّنت عدداً من المقاصد التي تخصّ الكافرين، والتي سبَّبَت لهم العقوبات: من ضَلال الأعمال، والقَتْلُ والأَسْرُ، والهَلاك والدَّمار، ودخول نار جهنم، استحقوا هذه العقوبات بسبب ما كانوا يمارسونه من الكفر والصَدِّ عن سبيل الله –Y–، فكانت عاقبتهم أنَّهم في النار خالدون فيها.

والذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، سمّاهم القرآن المنافقون، وهم الذين نشأوا في المدينة المنوَّرة عندما هاجر النَّبيُّ إليها، حينها أظهروا الإسلام، وأبطنوا الكفر؛ لأنَّهم لم يتمكَّنوا من مواجهة الرسول –ε– وأصحابه علانية، بل صاروا يحاربونه سرّاً. والنِّفاق الأكبر يُخَلِّدُ صاحبه في نار جهنم، وذلك لأنَّه يُظْهِر إسلامه وإيمانه باللّه وحده لا شريك له وبمحمد رسولا، وهو في باطنه لا يُؤْمِن بذلك؛ بل مُكَذِّب به، ولا يُؤْمِن بأنَّ الله تكلَّم بكلام أنزله على بشر جعله

رسولاً للناس، يهديهم بإذنه وينذرهم بأسه ويخوفهم عقابه، فاستحقوا أن يعاقبوا على أفعالهم بعقوبات منها: الطَّبْعُ على قلوبهم، والتهديد والوعيد، واستحقاقهم اللعنة، وإغواء الشيطان لهم، وإحباط أعمالهم التي كانوا يعملونها من برّ وصلاح، وكشف أسرارهم. كل هذه العقوبات بسبب اتباعهم ما يغضب الله –Y– من الأعمال، وعصيانهم أوامره، وكرههم رضوانه من الإيمان باللّه والجهاد في سبيله، فأدَّى ذلك كله إلى عدم قبول أعمالهم. فانتقدهم القرآن وشَنَّ عليهم حملة تعرية كي يُعَرِّفَهم النَّبيَّ –ε–، وذلك لأعمالهم الدنيئة التي كانوا يمارسونها، فتوعَّدهم الله –Y– بالخزي والعار في الحياة الدنيا، وأن تُضَلَّ أعمالهم فلا ينتفعوا بها، وتكون عاقبتهم إلى النار، فهم أخطر على المسلمين من الكافرين لأنَّ الكافرين خطرهم وعداوتهم واضحة وجلية، وأمّا المنافقون فلا يمكن كشفهم لأنَّهم تَغَطَّوا بغطاء الإسلام، فلا يُعْرَفُون إلا مِنْ مَواقِفِهم التي تكون ضدَّ الإسلام والمسلمين.

والمؤمنين هم الذين آمنوا باللّه ورسوله وصدَّقوا بما جاء به النَّبيَّ –ε–، والتزموا وانقادوا لأمره، فوحَّدوا الله –Y– وعبدوه حقَّ العبادة، فكانت نتيجتهم أن أصلح الله –Y– بالهم، وكفَّر عنهم سيئاتهم، وزادهم هدى وتقوى، ونصرهم على أعدائهم في الحياة الدنيا، بعد إن ابتلاهم بشتى أنواع الابتلاءات، من أجل تمحيصهم وتنقية صفهم، وأمَّا في الآخرة فإنَّه يُكَفِّر عنهم سيئاتهم ويدخلهم الجنَّة، فبيَّنت السُّورة ما يجب على المؤمنين من أحكام شرعية خاصّة بهم من الجهاد في سبيل الله –Y–، فهو من الأحكام الشَّرعيَّة المهمّة التي جاءت بها الشَّريعة الإسلامية لحفظ الضَّروريَّات، وله أهداف سامية منها: حماية حريّة الدخول في دين الإسلام، وحماية الشعائر العبادية، واختبار المسلمين وتربيتهم على الانقياد للأوامر الإلهيّة، وإرهاب الكفار ودفع آذاهم، ومن الأحكام الشَّرعيَّة الخاصّة بالمؤمنين، وهو العلم بلا إله إلا الله، والتزامهم بطاعته وطاعة رسوله في أمورهم كلِّها، ومن الأحكام الشَّرعيَّة التي بينتها سورة مُحَمَّد– ε–: هو الأمر بعدم الوهن، وعدم الدعوة إلى السِّلم، وهم في حالة الغلبة. وفي ختام السُّورة حذَّر الله –Y– المؤمنين من عدم الإنفاق في سبيله، وتوعَّدهم بالاستبدال إنْ هم تركوا ما عاهدوا الله عليه.

الكلمات الافتتاحية: القرآن، المقاصد، الشريعة، الضَّروريات، الحاجيّات، التَّحسينيَّات.

عدد الصحائف: 127 + 8

المشرف: أ.د. عبد الباقي كونش

الاختصارات

بدون ت	بدون التاريخ
ت	المتوفى
تح	التحقيق
تر	الترجمة
د	الدكتور
ص	الصفحة
ط	الطبعة
م	الميلادي
هـ	الهجري

الرموز

﴿ ﴾	مخصص للآيات
« »	مخصص للأحاديث
" "	مخصص للتنصيص
( )	مخصص للكلمات

المقدمة

الحمد للَّه ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا مُحَمَّدٍ المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، قال –I–: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص، 38/ 29) ثمَّ أمَّا بعد:

نزل القرآن الكريم لحكمة بالغة وهدف سام، وهو إخراج النَّاس من عبادة الأرباب إلى عبادة ربِّ الأرباب، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضِيق الدنيا إلى سَعَة الآخرة، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة، ومن أعظم مقاصد الشَّارع التي نزل بها القرآن هو أن يتعرَّف النّاس على خالقهم ومُدَبِّر أمورهم، الذي يَرْسُم لهم طريقهم في هذه الحياة الدنيا على نور وبصيرة، فالعمل بالمقاصد الشَّرعيَّة هو الهدف السَّامي الذي جاءت به الشَّريعة الإسلاميَّة، ولا يَتَوصَّل إلى فَهْمِ مُراد الشارع إلا من كانت له بصيرة ومعرفة بما تؤول إليه الأحكام التي جاءت بها الشريعة الغرّاء دونما تَخَبُّط أو زيغ عن مسارها الأصلي، والمقاصد هي التي تَرْسُم الخطوط العريضة لتشريع الأحكام، فبمعرفة المقاصد التي جاءت بها الأحكام الشَّرعيَّة يستمر صلاح الشريعة ودوامها لكل العصور والأجيال والأمكنة، وسُور القرآن الكريم كُلّها جاءت لتبيان المنهج القويم لشريعة الإسلام، وسُورة مُحَمَّد –ε– من بين هذه السُّور التي تُعْنى بتشريع الأحكام الخاصّة بالقتال في الإسلام، وأحكام الأَسْر في المَنِّ والفِداء، وفي السُّورة العديد من المقاصد الشَّرعيَّة التي تضبط توجهات المسلمين، ليكونوا قُدُوات في كُلِّ مجالات الحياة لأنَّ الشريعة كُلَّها عدل ورحمة ومصالح للناس، وما علينا إلا أن نتتبع هذه المقاصد لنصل إلى برِّ الأمان، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل، 16/ 89). وفي بحثنا هذا سنقوم بدراسة تحليلية موضوعية لأبرز المقاصد الشَّرعيَّة التي تضمَّنتها سورة مُحَمَّد لإبراز هذه المقاصد التي أودعها الله تعالى في هذه السُّورة المباركة، ولا يَسَعُنِي في هذا المقام إلا أن أتقدَّم بجزيل الشُّكر والعِرفان إلى أساتذتي وشيوخي الكرام الذين ساعدوني في إتمام هذه الرِّسالة، وأَخُصُّ منهم بالذكر أستاذي المشرف على هذه الرِّسالة: الأستاذ الدكتور عبدالباقي كونش، الأستاذ في جامعة وان يوزنجوييل، قسم العلوم الأساسية الإسلامية، شعبة التفسير، فله مني جزيل الشكر والعرفان، وكذلك أساتذتي كافَّة في شعبة التفسير، وإلى كُلِّ من ساندني وساعدني في إنجاز رسالتي هذه.

الباحث:

فرحان حاوي أحمد

2020/07/27م

التَّمهيد

سورة مُحَمَّد–ε– من السُّور المدنية، وتُسَمَّى أيضاً: بـ "سورة القتال"، وسَنُبَيِّنُ في بحثنا هذا دلالات المقاصد الشَّرعيَّة من خلال آيات السُّورة الكريمة، التي تتناول أحكام التشريع في القتال والأسرى والغنائم، ونُبَيِّن أيضاً من خلال هذه السُّورة المقاصد الشَّرعيَّة المُتَعَلِّقَة بأحوال الكافرين وكيف صدَّوا الناس عن دين الإسلام الذي جاء به الرسول الكريم، حيث كانت الغاية من تشريع القتال هو لِكَفِّ أذى الكُفَّار عن المسلمين، وكذلك بيَّنت السُّورة أحوال المنافقين الذين أظهروا الإسلام للنَّبيِّ وأصحابه وأبطنوا الكفر، فَسَمَّاهُم القرآن بالمنافقين، وبيَّنت السُّورة أيضاً أحوال المؤمنين الثابتين على دينهم، وكيف أنَّ الله –I– وَعَدَهُم بالنَّصر على الكافرين، وأنَّ العاقبة ستكون لهم لأنَّهم صَدَّقوا الرَّسُول وبما جاء به من ربِّ العالمين، وكذلك حال الدنيا وحال من يَرْكُنُ إليها ويَعْتَقِد أنَّها دار بقاء، مع أنَّها دار فناء، وفي النهاية يدخل المؤمنون الجنة التي وعدها الله –I– إيَّاهم، ويدخل الكافرون النار.

أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي دعتني للكتابة في هذا الموضوع هو لبيان مدى أهمية مقاصد الشريعة في فهم خطاب وأسلوب القرآن الكريم، واستنباط الأحكام الشرعية، فالمقاصد هي الطريق للسلامة من الوقوع في الخطأ، وكذلك المساهمة في إبراز محاسن الشريعة الإسلامية التي تنسجم مع كل المجتمعات وثقافاتها، ولإبراز المقاصد العظيمة التي تضمنتها سورة محمد من أوامر ونواهي، والتي أشار إليها المفسرون، ولبيان مدى انسجام الخطاب القرآني مع المقاصد والتي تساعد على فهم مراد الله تعالى بالشكل الصحيح، وبيان المقاصد الشَّرعيَّة التي تضمَّنتها سورة مُحَمَّد والقيام بدراستها دراسة تحليلية موضوعية، لا سيما أحكام القتال الذي كان المقصد البارز في السُّورة، للوقوف على المقاصد والحِكَم التي من أجلها شُرِّعَ القتال.

الهدف من البحث:

والهدف من هذا البحث يتلخص في أربعة نُقاط: أولاً: جاء لبيان المقاصد والغايات الشَّرعيّة التي جاءت بها السُّورة الكريمة من خلال عَظَمَة القرآن الكريم التي تضمَّنتها آياته، والتي تحتوي على بدائع الإعجاز اللغوي والتشريعي والأدبي، وثانياً: بيان المقاصد التي من أجلها شُرِّعَ القتال، وخاصَّة في وقتنا الحاضر الذي اختلط على بعض الناس ماهِية الحِكْمَة من

تشريع القتال، وثالثاً: جاء لإبراز دور الإسلام في أحكام مُعاملة الأسْرى الذي يتوافق مع حقوق الإنسان الذي تطالب به دول العالم، ورابعاً: جاء هذا البحث مشاركة في البحوث العلميّة التي تَسْهُم في خدمة كتاب الله، والعمل ضمن حقل الدعوة إلى دين الله.

أهميّة البحث:

تَكْمُن أهمية البحث في التركيز على المقاصد الشَّرعيَّة التي شُرِّع القتال من أجلها، وكيف يتمّ تطبيقها على واقعنا المعاصر الذي كَثُرَ فيه مُدَّعُوا الجهاد، وتأتي أهميّة هذا البحث للوقوف على معرفة علم المقاصد، لمعرفة مَغْزى الحِكْمَة ومقاصدها التي جاءت بها الآيات القرآنيّة للعمل وِفْقَ متطلَّباته.

الدراسات السابقة:

أمَّا بخصوص الدراسات السابقة، فإنَّها لا تُوجَد أيّ دراسة سبقتني بهذا العنوان، وهو "دراسة موضوعيَّة تحليليَّة حول المقاصد الشَّرعيّة وتطبيقاتها في سورة مُحَمَّد –ε–"، وإنَّما كانت هناك دراسات مقاربة للعنوان، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

1. *المقاصد الشَّرعيَّة في سورة النور دراسة تطبيقية*، رسالة قُدِّمَت لنيل شهادة الماجستير في جامعة تكريت، كلية العلوم الإسلاميّة، قسم الفقه وأصوله، من إعداد الطالب عطية غالب عبدالله بلال العبيدي، تكريت، 1438هـ، 2017م.

2. *سورة "ق" دراسة تحليلية موضوعية*، رسالة قُدِّمَت لنيل شهادة الماجستير من جامعة أبي بكر بلقايد، ولاية تلمسان الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم العلوم الإسلاميّة، من إعداد الطالب عبدالله سعيداوي، الجزائر، 1436هـ، 2015م.

3. *دراسة تحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السادس عشر من القرآن الكريم*، رسالة قُدِّمَت لنيل شهادة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلاميّة، من إعداد الطالب حافظ تكريم حافظ البطة، غزة، 1436، 2015م.

مشاكل البحث:

يُمْكِنُ حصرها من خلال الأسئلة التالية:

1. ماهي المقاصد الشَّرعيَّة ؟ وماهي أقسامها ؟ وكيف يمكن التوصل إليها؟
2. ماهي المقاصد الشَّرعيَّة التي تناولتها سورة مُحَمَّد؟
3. ما هي أهم المواضيع الجوهرية التي يمكن أن تكشفها لنا دراسة سورة مُحَمَّد؟
4. ماهي الأحكام التي شرَّعتها سورة مُحَمَّد باعتبارها من السُّور المدنية؟

سنحاول في هذا البحث الإجابة عن هذه التساؤلات.

منهج البحث:

والمنهج الذي اتَّبعته في هذا البحث يتمثَّل في تَتَبُّع الآيات في السُّورة وتقسيمها بِحَسَب مقاصدها، وكان ذلك بمراجعة أقوال المفُسِّرين للقرآن الكريم، وبدأنا بالتعريف بسُورة مُحَمَّد–ε– من حيث اسمها وعدد آياتها وما يتعلَّق بها من علوم أخرى، وقمنا بذكر المعنى اللغوي والاصطلاحي للمقاصد الشَّرعيَّة، مع بيان أنواعها وأقسامها، والطرق الموصلة إليها، واستخراج المواضيع منها من خلال تتبّع آيات السُّورة، وما دلَّت عليه من مقاصد شرعيَّة تَتَّعَلَّق بأحوال الناس من الكافرين، والمنافقين، والمؤمنين، وحال كلّ صنف منهم ومآله، ثمَّ كانت الخاتمة حيث تحدثنا فيها عن أهمِّ ما توصَّلنا إليه من نتائج.

خطة البحث:

قمنا بتقسيم هذا البحث إلى ثلاثة فصول، وكما هو مُبَيَّن أدناه:

الفصل الأول: تضمَّن دراسة حول السُّورة والمقاصد الشَّرعيَّة فيها، من التعريف بسورة مُحَمَّد–ε– اسمها وعدد آياتها وترتيبها بين السور ومكان تنزيلها ومحورها الذي دارت عليه والمناسبات فيها، واختلاف القراءات فيها، وأسباب نزول آياتها، وتعريف المقاصد الشَّرعيَّة وبيان أنواعها وأقسامها وأهميتها ووسائل الكشف عنها.

والفصل الثاني: تضمَّن دراسة موضوعيّة حول المقاصد الشَّرعيَّة وتطبيقاتها الخاصّة بأحوال الكافرين والمنافقين في سورة مُحَمَّد–ε–، ويتكون من مبحثين، الأول: المقاصد الشَّرعيَّة في أحوال الكافرين والمنافقين، والثاني: عن المقاصد الشَّرعيَّة في أحكام الأسْرى.

والفصل الثالث: تضمَّن دراسة موضوعيّة للمقاصد الشَّرعيَّة وأحكامها الخاصّة بأحوال المؤمنين، من القتال والجهاد والنصر والتمكين والتوحيد والطاعة والابتلاء والوَهْن والسِّلم والتَّوَلي، كل هذه المواضيع تمَّ الاستدلال عليها من خلال النصوص القرآنية في سورة مُحَمَّد-ε.

وأخيراً جاءت الخاتمة: فيها أهم النتائج التي توصّلنا إليها من خلال بحثنا عن المقاصد الشَّرعيَّة في سورة مُحَمَّدε-، والحمد لله ربُّ العالمين.

1. دراسة حول سورة مُحَمَّدٍ والمقاصد الشَّرعيَّة فيها

في هذا الفصل نبحث عن موضوعين: المبحث الأول: يتضمَّن التعريف بالسُّورة، من حيث سبب تسميتها، ومكان نزولها، وترتيبها بين سور القرآن، والمبحث الثاني: ستكون فيه دراسة لغرض التعريف بالمقاصد الشَّرعيَّة، وبيان أنواعها، وأقسامها، وأهميتها.

الدراسة التحليلية: إنَّ كلمة "التحليلية" اسم منسوب إلى تَحْليل، وهي الدراسة التي تقوم على أساس ردِّ العناصر من خلال تحليلها تحليلاً دقيقاً، كما تُحَلَّل القصيدة من قِبَل الناقد، أو القيام بحَلِّ المشكلة عندما يتم التدقيق والإمعان فيها.[1]

والتحليل: هو مُقَطَّعات الكلام، ومُقَطَّعات الشِّعْر وهو ما تَكوَّنت أجزاء الشيء منه، ويُسمَّى عند العرب الأسباب والأوتاد.[2]

والموضوعية: "هي مَحَلُّ العَرْض المُخَتَص بها، وقيل: هي الأمر الموجود في الذهن، وموضوع كُلِّ علم يُبْحَث فيه عن عوارضه الذاتية، كبدن الإنسان لعلم الطب فإنَّه يُبْحَث فيه عن أحواله من حيث الصحة والمرض، وكَكلمات لعلم النحو فإنَّه يُبْحَث فيه عن أحوالها من حيث الإعراب والبناء".[3]

---

[1] أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم *اللغة العربية المعاصرة*، عالم الكتب، القاهرة، ط: 1، 1429هـ، 2008م، ا، ص.550.

[2] ابن منظور، محمّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، ط: 3، 1414هـ، VIII، ص.279.

[3] الجرجاني، علي بن محمّد بن علي الزين الشريف، *التعريفات*، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1403هـ، 1983م، ص.236.

1.1. التعريف بسورة مُحَمَّد ε

في هذا المبحث سنقوم بتعريف السُّورة المباركة من حيث اسمها الذي سُمِّيَت به، وعدد آياتها التي ثبتت في كتب أهل التفسير، وكذلك ترتيبها الذي ورد في المصحف الشريف، والمُحْور الذي دارت عليه السورة، مع بيان المناسبات فيها من حيث الترابط والتجانس والذي يُوحِي إلى عظمة التنزيل.

1.1.1. اسم السورة وعدد آياتها وترتيبها بين السور

تُسَمَّى السورة بسورة مُحَمَّد –ε– وهو رأي جمهور المفسرين، وكذلك تُسَمَّى بسورة القتال، وعدد آياتها ثمان وثلاثون، وقيل: تسع وثلاثون.[4] وذكر الزمخشري (ت:538هـ) أنَّ سورة مُحَمَّد –ε– تُسَمَّى سورة القتال، وعدد آياتها ثمان وثلاثون، وقيل: تسع وثلاثون آية، وقال: إنَّها نزلت بعد الحديد.[5] وذكر البيضاوي (ت:685هـ)، أنَّ السورة تُسَمَّى بسورة القتال، وعدد الآيات فيها: سبع أو ثمان وثلاثون، أو أربعون آية،[6] وكذلك فإنَّ عدد الكلمات فيها: خمسمائة وتسع وثلاثون كلمة، وعدد الحروف فيها ألفان وثلاثمائة وتسعة وثمانون حرفاً.[7] وسُمِّيَت السورة بسورة مُحَمَّد –ε–؛ وذلك لأنَّ اسم النَّبيِّ مُحَمَّد –ε– ذُكِرَ في الآية الثانية منها في قوله –I–: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى محمّد وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾،[8] وتَسْمِيتُها باسم "سورة القتال" ذلك بسبب ذكر مشروعية القتال فيها،[9] وإنَّ أوَّل ما نزل من القرآن في المدني سورة البقرة، ثمَّ سورة الأنفال، ومن ثمَّ نزلت سورة آل عمران، ومن بعدها

---

[4] القرطبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، *الجامع لأحكام القرآن*، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: 2، 1384هـ، 1964م، XVI، ص.223.

[5] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 3، 1407هـ، IV، ص.314.

[6] البيضاوي، ناصر الدين، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمّد الشيرازي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، تح: محمّد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 1418هـ،V، ص.119.

[7] هذه الإحصائية للحروف جاءت وفقا لما أعده عبدالكريم الدايم في برنامجه إحصاء الحروف، والذي قمنا بالاستفادة منه.

[8] محمّد، 47/ 2.

[9] ابن عاشور، محمّد الطاهر، *التحرير والتنوير*، الدار التونسية للنشر، تونس، دون: ط، 1984هـ، XXVI، ص.71.

نزلت سورة الأحزاب، ثمَّ الممتحنة، والنساء، ثمَّ الزلزلة، والحديد، وبعدها نزلت سورة مُحَمَّد، ثمَّ الرعد.[10] والذي عدَّها تسع وثلاثون آية، عدَّ الفاصل الذي عند قوله –I–: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾،[11] آية، والذي عدَّها أربعين آية، عدَّ الفاصل عند قوله –I–: ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾،[12] آية، والذي عدَّها ثمان وثلاثون، لم يَعُدَّ ماعَدَّ غيره مِمَّا سبق من الفواصل.[13] جاء هذا الترتيب للسور في مصحف عثمان الذي أرسله إلى الأمصار وأخذته الأمَّة بالقَبُول.[14]

خلاصة القول عند المُفَسِّرين: أنَّ السُّورة اسمها سورة مُحَمَّد، وذلك لذكر اسم النَّبيِّ مُحَمَّد –ε– فيها، أمَّا عدد آياتها: فهو ثمان وثلاثون آية على قول أغلب أهل التفسير، وترتيبها حسب النزول فهي السورة السادسة والتسعون، نزلت بعد الحديد، وبعدها نزلت سورة الرعد، أمَّا ترتيبها في المصحف فهي السورة السابعة والأربعون، بعد الأحقاف وقبل الفتح.

2.1.1. مكان وزمن تنزيل السورة

سورة مُحَمَّد –ε– من السور المدنية التي نزلت بالمدينة بإجماع أهل التفسير، غير أنَّ هناك من قال في الآية الثالثة عشر، في قوله –I–: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾،[15] أنَّها نزلت بمكة عندما دخلها النَّبيُّ– ε– في عام الفتح أو في صلح الحديبية،[16] وكذلك ذكر القرطبي (ت:671هـ) أنَّها مدنية على قول ابن

---

[10] الزركشي، بدر الدين محمّد بن بهادر بن عبدالله، *البرهان في علوم القرآن*، تح: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:2، 2011م، ا، ص.114.

[11] محمّد، 47/ 4.

[12] محمّد، 47/ 12.

[13] البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، *مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور*، مكتبة المعارف، الرياض، ط: 1، 1408هـ، 1987م، اا، ص.486.

[14] أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، *البرهان في تناسب سور القرآن*، تح: محمّد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، المغرب، دون: ط، 1410هـ، 1990م، ص.182.

[15] محمّد، 47/ 13.

[16] ابن عطية، أبو محمّد عبد الحق، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، تح: عبد السلام عبد الشافي محمّد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1422هـ، ٧، ص.109.

عباس (ت:68هـ) وقتادة (ت:117هـ)،[17] إلا آية منها وهي الآية الثالثة عشر، فإنَّها نزلت بعد حَجَّة الوداع عندما خرج النَّبيُّ –ε–وجعل ينظر إلى البيت وهو يبكي حُزْناً عليه، فأنزل الله –I– الآية.[18] وعن ابن عباس وقتادة أنَّ السورة مدنية إلا قوله –I–: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾،[19] إلى آخره فإنَّه –ε– لَمَّا خرج من مكة إلى الغار التفت إليها،[20] وقال: «ما أطيبك من بلد، وأحبك إلي، ولولا أنَّ قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك».[21]

لَمَّا ذكر المفسّرون هذا التقسيم بيَّنوا المَكِّي والمدني وذكروه على أساس المكان وليس الزمان، ولكن إذا أخذنا على تقسيم الزمان فهي مدنيّة، باعتبار أنَّ ما نزل بعد الهجرة فهو مدني، وما نزل قبلها فهو مكّي، كما بيَّن الزركشي (ت: 794هـ) أنَّ للناس في تحديد المكّي والمدني ثلاثة مصطلحات:

الأوّل: المكّي: وهو ما كان نزوله بمكّة، والمدني: وهو ما كان نزوله بالمدينة، والثاني: المكّي وهو المشهور، ما كان نزوله قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها ولو كان بمكّة، والثالث: المكّي ما كان خطاباً لأهل مكّة، والمدني ما كان خطاباً لأهل المدينة.[22]

ومن خلال هذا التقسيم الذي أورده الزركشي يتبيَّن لنا أنَّ سورة مُحَمَّد كُلَّها مدنية على اعتبار أنَّها نزلت بعد الهجرة، ولم ينزل بمكة إلا آية واحدة، وهي الآية الثالثة عشر نزلت بعد الهجرة.

---

[17] هو قتادة أبو الخطاب بن دعامة السدوسي البصري الأكمه، كان تابعيا وعالما كبيرا، في الأخبار والأنساب والأشعار؛ ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط: 1، 1971م، IV، ص.85.

[18] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، XVI، ص.223.

[19] محمّد، 47/ 13.

[20] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1415هـ، XIII، ص.194.

[21] الترمذي، محمّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى، *سنن الترمذي*، تح: أحمد محمّد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط: 2، 1395هـ، 1975م، 3926، باب فضل مكة.

[22] الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، I، ص.109.

3.1.1. خصائص السور المدنية

نزلت السور المدنية في مجتمع له خصائص وسمات تميّز بها عن المجتمع المكي، حيث كان في المدينة المنورة التي هاجر إليها النبي –ε– فئتان من سكانها، وهم اليهود والمنافقين، وعلى هذا الأساس تشكلت الآيات في هذا العهد، فبدأ أسلوب القرآن يتغير عمّا كان في العهد المكي؛ لأن المجتمع المدني غالبيته من المسلمين الذي آمنوا بالإسلام، فبدأ القرآن يوجههم ويرسي فيهم القيم والملامح الجديدة لهذه الفترة، وهي بناء الدولة،[23] ومن خصائص السور المدنية ما يأتي:

1. بيان العبادات والمعاملات، والحدود، ونظام الأسرة، والمواريث، وفضيلة الجهاد، والصلات الاجتماعية، والعلاقات الدولية في السلم والحرب، وقواعد الحكم، ومسائل التشريع.[24] وكما جاء في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾.[25] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿4﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿5﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾.[26]

2. مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ودعوتهم إلى الإسلام، وبيان تحريفهم لكتب الله، وتجنّيهم على الحق، واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم.[27] كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿25﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾.[28]

3. الكشف عن سلوك المنافقين، وتحليل نفسياتهم، وإزاحة الستار عن خباياهم، وبيان خطرهم على الدين.[29] كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ

---

[23] عبد العزيز بن صالح العمار، *الخصائص الموضوعية والأسلوبية في حديث القرآن عن القرآن*، المجلس الوطني للإعلام، الإمارات، ط: 1، 1428هـ، 2007م، ص.33.

[24] جعفر شرف الدين، *الموسوعة القرآنية*، تح: عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط: 1، 1420هـ، III، ص.6.

[25] محمد، 47/ 4.

[26] محمد، 47/ 4-6.

[27] جعفر شرف الدين، *الموسوعة القرآنية*، III، ص.6.

[28] محمد، 47/ 25-26.

[29] جعفر شرف الدين، *الموسوعة القرآنية*، III، ص.6.

رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴿20﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿21﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿22﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴿23﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿24﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿25﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿26﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿27﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿28﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾[30]

4. طول المقاطع والآيات في أسلوب يقرّر الشريعة ويوضح أهدافها.[31] كما جاء في قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾.[32]

4.1.1. محور السورة

يتركَّز محور السورة على القتال الذي هو السِّمَة الظاهرة في هذه السورة، والتي ابتدأها الله –Y– بِشَنِّ حملة عنيفة على الكافرين، والاسم الآخر لسورة مُحَمَّد هو "سورة القتال"، وهذا الاسم حقيقي لها، فجوها القتال، بل هو السِّمَة الواضحة والعنصر البارز فيها، وكان جَرَساً وإيقاعاً وموضوعاً لها، لبيان حقيقة الذين كفروا من بدايتها، إذ ابتدأها بصورة هجوم أدبي عليهم ومن اللفظ الأوّل من السورة،[33] ثمَّ إلى أمر المؤمنين بقتال الكافرين والتشديد في قتالهم، ثمَّ بيَّنت السورة أنَّ طريق النصر والعزة؛ إنَّما يكون بنصرة دين الله وشريعته، وتحدَّثت السورة عن صفات المنافقين؛ لأنَّهم الخطر الأكبر على الإسلام والمسلمين، وخُتِمَت السورة بدعوة المؤمنين إلى تمسكهم بطريق العزة والنصر، وعدم الهوان والخذلان للكافرين، وعدم مجاراتهم للسلم ليحصلوا على مكاسب دنيوية؛ لأنَّ الدنيا ليست بدار قرار وإنَّما دار فناء.[34] فزاد الله الذين كفروا ضَلالاً

---

[30] محمد، 47/ 20–29.

[31] جعفر شرف الدين، *الموسوعة القرآنية*، III، ص.6.

[32] محمد، 47/ 38.

[33] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، دار الشروق، بيروت، ط: 37، 1429، 2008م، VI، ص.3278.

[34] الصابوني، محمّد علي، *صفوة التفاسير*، المكتبة العصرية، بيروت، دون: ط، 1428هـ، 2007م، III، ص.1176.

وحِيْرَة، وجعلهم مثلاً وعِبْرَة، وزاد الذين آمنوا هدى ونوراً، وغفر لهم ذنوبهم، وعصمهم من المعاصي، وأرشدهم إلى فعل الخيرات في الدنيا، وأورثهم الجنة يوم القيامة.[35] فهذا هو العنصر الأوّل الذي ابتدأت به السورة الكريمة موازنة بين أحوال الكافرين وأحوال المؤمنين، في صورة بلاغية عالية بأسلوب المقابلة بين آيات السورة، حيث قال الله –I– في مطلع السورة: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿1﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّد وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾،[36] فهذا أسلوب بديع في البلاغة حيث قابل جملة بجملة، من وصف أحوال الكافرين إلى وصف أحوال المؤمنين، ثمَّ عاد مرَّة أخرى لوصف أحوال الكافرين والانتقال إلى أحوال المؤمنين فقال –I–: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾.[37] هذا الأسلوب يُعْرَف في البلاغة بأسلوب المقابلة، حيث يُؤْتَى بجملة أو أكثر بمعانٍ متوافقة، ويُؤْتَى بما يقابلها بكلمات ضِدَّ المعنى الأول، ولهذا الأسلوب فائدة بلاغية وذلك لإبراز المعنى وتوضيحه مع دوام الحَدَث وشموله وترسيخه في الذهن.[38]

وبعد أنْ بيَّن الله –I–حال الكافرين وحال المؤمنين، وعرض جزاء المؤمنين الثابتين على دينهم بأنَّ لهم جنَّات مختلفة الألوان والأنهار وأنَّ العاقبة ستكون للمؤمنين، يأتي السياق لِيَعْرِضَ حال المنافقين، ولِيحْمِلَ الحديث عنهم الجَوَّ العام للسورة وهو الهجوم والقتال من الإشارة الأولى التي تصور إلهائهم الناس عن حديث رسول الله –ε– وعدم الاهتمام بمجلسه، وعدم وَعْي ما يقوله، فيُهَدِّدُهُم بيوم القيامة الذي لا يستطيعون الصحو والتذكر.[39] وإنَّ خَطَرَ المنافقين لا يقل شأناً عن خَطَرِ الكافرين، فهم يتواجدون داخل صفّ المؤمنين، وتأثيرهم حتماً سيكون أقوى، ولذلك كان التركيز عليهم أكثر، رُغْمَ أنَّ السورة الكريمة جَوُّها العنف والحرب، وإنَّ مُعْظَم ما في سورة مُحَمَّد –ε– هو التحريض على قتال الكافرين، وترغيب المؤمنين في الجهاد في سبيل الله، وَوَعْدٌ من الله للمؤمنين بالجنة، وإنذار للكافرين أن تكون عاقبتهم كعاقبة الذين من قبلهم، وبيَّنت السورة وصف الجنة ونعيمها، والنار وعذابها، وفِيهَا وصف بليغ للمنافقين، وَتَهْدِيدُهُم بأنَّ الله يُنْبِئ رَسُوله بِسِيمَاهُمْ، وخَتَمَت السورة بوَعْدٍ من الله للمسلمين أن ينالوا السلطان

---

[35] الزحيلي، وهبة مصطفى، *التفسير الوسيط*، دار الفكر، دمشق، ط: 1، 1422هـ، III، ص.2429.

[36] محمّد، 47/ 1–2.

[37] محمّد، 47/ 3.

[38] أيمن عبدالغني، *الكافي في البلاغة*، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، دون: ط، 2011م، ص.182.

[39] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، VI، ص.3279.

في الأرض، وتحذيرهم من الفساد والقطيعة.[40] فهذا هو أسلوب القرآن الفريد من نوعه، يُعْطِي لكُلِّ سورة من سوره طابعها الخاص بها، وبما أنَّ السورة اسمها الآخر هو القتال، فإنَّ آياتها مَشْدُودَة ببعضها، تُخْبِرُ عن اسمها قبل معرفته، فالسورة تُنَدِّدُ بالكافرين وكفرهم وصدّهم عن دين الله –I–، وتحثّ المسلمين على قتال الكافرين، وتُشَرِّع الأحكام في حقِّ الأسْرى، والمُقايسة بين المسلمين والكافرين، وبيان مصير كل فريق منهم، وبيان خطر مرض القلوب وهو النفاق، وبيان صور المنافقين وتآمرهم مع اليهود ضِدَّ المسلمين، والتنديد بمن يبخل بالإنفاق في سبيل الله –I– ويتهاون مع الأعداء.[41] والسورة قُسِّمَت على جولات: الأولى كانت عن الكافرين، ثمَّ الكلام عن المؤمنين، وحَذَّرَت من المنافقين وخطرهم، أمَّا اليهود فكانت لهم الجولة الأخيرة، ولم يَسْلَم المؤمنون من الخطاب العنيف في السورة إن هم تولّوا، والجولة الأخيرة في السورة: تُبَيِّن حال اليهود الذين نقضوا العهود والمواثيق، وتُحَذِّرُ المؤمنين من أعمالهم التي تآمروا بها عليهم، وكذلك التهوين من أمر الدنيا والحثُّ على الإعراض عنها وعدم الاغترار بها، وتُخْتَم السورة بأشبه بالتهديد للمسلمين إن هم بخلوا بالإنفاق للمال، ويتوعدهم أن يستبدلهم إن هم تولوا.[42] هذا من بَداعَة الأسلوب الفني في السورة التي بدأت بإعلان الجهاد على الكفار والمنافقين، الذي حُفِظَ به الدِّين، والذي هو أعلى قِمَّة الهرم في حفظ الضَّروريات، وإعلان الجهاد عليهم؛ إنَّما جاء بسبب عدواتهم التي أظهروها على المسلمين، عندما جَهَّزُوا الجيوش لقتال المؤمنين، وانتهت بما بدأت به؛ لغرض التناسب والتناغم للسورة في آياتها وأجزائها.

5.1.1. المناسبات في السورة

المناسبات جمع مناسبة، والمناسب القريب وبينهما مناسبة وهذا يناسب هذا أي يقاربه شبها.[43] والقرآن الكريم في ترابط أجزائه وكلماته وآياته وسوره بَلَغَ مبلغاً فريداً لا يُدانِيه كلام آخر سواه، فسور القرآن وآياته وألفاظه متماسكة متعانقة، فهي سلسلة عذبة رقيقة متجانسة على كثرة تنوعها، ومتجاوبة متآخية في الجَرَس والإيقاع والنظم، هذا كلُّه جعله الكتاب السَّوي الذي يأخذ

---

[40] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، XXVI، ص.72.

[41] الثعلبي، أحمد بن محمّد بن إبراهيم، أبو إسحاق، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، تح: الطاهر بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 1422هـ، 2002م، IX، ص.28.

[42] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، VI، ص.3279.

[43] الفيومي، أحمد بن محمّد بن علي ثم الحموي، أبو العباس، *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، المكتبة العلمية، بيروت، دون: ط، II، ص.602.

العقول والأبصار، قال –I–: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.[44] فالتناسب والتناسق من أعلى صور البلاغة في القرآن الكريم، فهو أسلوب أعجز بلغاء العرب وفصحائهم، فلا يصل إلى هذا الترابط والتناسب بين آياته وسوره إلا من تَمَعَّن فيه بوضوح، فلا تنافر ولا تفكك ولا انحلال بين موضوعاته المتنوعة، فمن وصف إلى جدل، إلى قصص إلى تشريع، يَتَجلَّى ذلك كله ويتضح عن عظمة القرآن الكريم وإعجازه،[45] وإنَّ تنوع هذه الأساليب هي التي جعلت القرآن الكريم الكتاب المُعْجِز في ألفاظه وتراكيبه العجيبة، التي زادت من دهشة أهل الفصاحة، فلم يجدوا فيه اختلافاً ولا تنافراً، فهو من ربِّ العالمين، جاء ذلك مُصْداقاً لقوله –I–: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.[46]

أولاً: مناسبتها لما قبلها:

إنَّ القرآن مُتناسِق ومُتلاحِم في آياته وسوره من مُبْتَدئِه إلى مُنْتَهاه، فما تكاد تنتهي سورة إلا وجاءت السورة الأخرى مُكَمِّلة لها، أو مُفَصِّلة لبعض أحكامها، وهكذا نرى بأنَّ سورة الأحقاف انتهت بقوله –I–: ﴿فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ ما يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا ساعَةً مِنْ نَهارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفاسِقُونَ﴾[47] آخر كلمة فيها هي: "الفاسقون"، فجاءت سورة مُحَمَّد–ε– لتبدأ بهجوم صارخ على الذين كفروا، كما جاء في قوله–I–: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ﴾،[48] فكأنَّها تُوَضِّح من هم الفاسقون، فالتحمت السورتان وكأنَّها سورة واحدة.[49] افتتحت السورة بإعراضهم وصدّهم، وختمت بتقريعهم وتوبيخهم، فلو اعتبروا في البدء لكان أمن العودة يسيرا، فبدأت سورة مُحَمَّد – ε– بالعاجل اللاحق، وإعلان الحرب عليهم، فكان التناسب والارتباط واضحاً بين السورتين.[50]

ثانيا: مناسبات الآيات في السورة:

---

[44] الزمر، 39/ 28.

[45] عادل بن محمّد أبو العلاء، *مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور*، الجامعة الإسلاميّة، المدينة المنورة، ط: 129، 1425هـ، ص.13.

[46] فصلت، 41/ 42.

[47] الأحقاف، 46/ 35.

[48] محمّد، 47/ 1.

[49] عبد الكريم يونس الخطيب، *التفسير القرآني للقرآن*، دار الفكر العربي، القاهرة، دون: ط، XIII، ص.303.

[50] البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، XVIII، ص.196.

كل سورة من القرآن شخصيتها مُنْفَرِدَة عن السورة الأخرى، ملامحها مُتَمَيِّزَة، ومنهجها خاص، وأسلوبها مُعَيَّن، وهي تعالج موضوعاً واحداً، وتجتمع على موضوع لتحقيق غاية مُعَيَّنَة، وهذا من بَراعة الناظم لهذه الآيات والسور، وهو الله –I– الذي أعجز الأدباء والشعراء على براعة هذا الأسلوب، فسور القرآن تشبه الإنسان، كل واحد له خصائص وطبائع تختلف عن الآخرين؛ لكنَّهم جنس واحد وهم مُتَمِيِّزُون واحداً عن الآخر بطبائعه وخصائصه، فهذه هي حقيقة السور في القرآن الكريم.[51] ولا يُخْفى أنَّ سورة مُحَمَّد –ε– مُرْتَبِطَة ارتباطاً قوياً بالسورة التي قبلها وهي سورة الأحقاف، ولو أُسْقِطَت البسملة من بين السورتين لأصبح الكلام مُتَّصِلاً بعضه ببعض، لا تنافر بينه؛ ولكأنه آخذ بعضه بحجز بعض.[52]

عَبَّرَ سيِّد قطب عن الصور البلاغيّة في الآيات القرآنيّة للسورة، وكيف أنَّ كُلَّ آية من آيتها تتناسب مع أخواتها في الإيقاع، وأنَّ جَوَّ السورة يُوحِي إلى أنَّها معركة مُسْتَمِرَة من بدايتها إلى نهايتها، يَصِلُها القتال وتَتَّسِمُ كل فقراتها بطابعه، وإنَّ شِدَّة الصورة كَشِدَّة جَرَس الألفاظ المُعَبِّرَة عنها، فيقول –I–: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾،[53] الصورة شديدة في القتل، وكذلك في الأَسْر: ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾،[54] واللفظ شديد القسوة في الدعاء على الكافرين: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾،[55] والهلاك والدَّوي للغابرين: ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾،[56] ومشهد العذاب في جهنَّم يأتي بأبشع صورة: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾،[57] وتصوير مشهد العنف: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾،[58] ولم يَسْلَم المؤمنون من هذا التهديد عند التولّي: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾،[59] بهذا الإيقاع يتناسب الجَوُّ في السورة أوّله مع آخره.[60]

---

[51] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، III، ص.1243.

[52] المراغي، أحمد بن مصطفى، *تفسير المراغي*، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، القاهرة، ط: 1، 1365هـ، 1946م، XXVI، ص.43.

[53] محمّد، 47/ 4.

[54] محمّد، 47/ 4.

[55] محمّد، 47/ 8.

[56] محمّد، 47/ 10.

[57] محمّد، 47/ 15.

[58] محمّد، 47/ 20.

[59] محمّد، 47/ 38.

[60] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، VI، ص3280.

ثالثاً: مناسبتها مع السور التي بعدها:

إنَّ مناسبة سورة مُحَمَّد –ε– واضحة للسورة التي بعدها، وهي سورة الفتح، وذلك أنَّ سورة مُحَمَّد –ε– لَمَّا جاء الأمر فيها بقتال الكافرين، كما جاء في قوله –I–: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾،[61] تَشَوَّقَت النفوس لمعرفة العاقبة لمن ستؤول، فعرفوا ذلك من خلال أول سورة الفتح[62] بقوله –I–: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾.[63] وذكر المراغي (ت: 1371هـ) أنَّ سورة مُحَمَّد مُتَنَاسِبَة مع سورة الفتح في ثلاثة مواضع، حيث تَمَّ التناسق والتناسب بينهما، الأول بعد أن ذُكِرَ القتال في سورة مُحَمَّد ذُكِرَ الفتح، والثاني: ذُكِرَ في كلا الآيتين المؤمنين، والمُخْلِصين، والمنافقين، والمشركين، والثالث: في الأولى أُمِرُوا بالاستغفار، والثانية وقوع المغفرة.[64]

إنَّ القرآن الكريم تَتَبَيَّن عظمته من قوة تركيب حروفه وكلماته وجمله، والتي حَيَّرَت عقول أبلغ العرب على هذا النظم الفريد من نوعه، وخاصَّة أنَّ الذي يقوم على إلقائه رجل يعرفون أُمِيَّتَه وأنَّه لم يَعْهَد إلى القراءة والكتابة، فكان القرآن الكريم مُعْجِزَة حَقَّاً، فلو تتبعنا القرآن لوجدناه وحدة وتناسُقاً بين جمله وبين آياته وسوره، وهذا هو من روعة ورونق كلامه، والذي حمل في طياته الإعجاز في كل صنوفه وأفانينه، وسورة مُحَمَّد من سوره التي حَمَلَت هذا التناسق بين آياتها، وكذلك نرى التناسق جلياً بين السورة التي قبلها والتي جاءت من بعدها، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.[65]

6.1.1. أسلوب السورة

لقد حاز أسلوب القرآن من الفصاحة المقام الأعلى والمكان الأسمى حتى غدا بفصاحته أحسن البيان،[66] كما قال ابن القيم (ت: 751هـ): "أنزل الله سبحانه الكتاب شفاء لما في

---

[61] محمّد، 4/47.

[62] الغرناطي، أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، *البرهان في تناسب سور القرآن*، تح: محمّد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، المغرب، دون: ط، 1410هـ، 1990م، ص.307–308.

[63] الفتح، 48/ 1.

[64] المراغي، *تفسير المراغي*، XXVI، ص.80.

[65] هود، 11/ 1.

[66] أبو بكر بن محمد فوزي البخيت، *خصائص الأسلوب القرآني*، مكتبة الملك سعود، الرياض، ط:1، 1436هـ، ص.73.

الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين، ولذلك كانت معانيه أشرف المعاني، وألفاظه أفصح الألفاظ وأبينها وأعظمها مطابقة لمعانيها المرادة منها كما وصف سبحانه به كتابه في قوله: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾،[67] فالحق هو المعنى والمدلول الذي تضمنه الكتاب والتفسير الأحسن هو الألفاظ الدالة على ذلك الحق فهي تفسيره وبيانه".[68]

وسورة محمد –ε– كغيرها من سور القرآن الكريم، حملت الكثير من الأساليب البلاغية التي أدهشت المجتمع العربي الذي كان يتبارى أفراده بالشعر والنشر والذي يحمل الصور البلاغية، حتى جاء القرآن الكريم فكان الأول في عرض هذه الصور من خلال سوره وآياته، وهنالك أساليب ذكرتها السورة، منها:

أولا. أسلوب الاستفهام:

من الأساليب البلاغية التي عرضتها سورة محمد أسلوب الاستفهام: "وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل"،[69] تدل عليه آيات جاءت في السورة، منها قوله –Y–: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾،[70] أراد الله –I– أن يُلْفِت أنظارهم إلى مصير الأمم التي سبقتهم، عندما أصروا على كفرهم، وأنَّهم سَيُلاقون المصير نفسه إن هم أصروا على كفرهم، والذين من قبلهم، هم من كذَّبوا رُسلهم من الأمم السابقة، دمَّرهم الله –I–، فأهلك أموالهم وأنفسهم، والذين كفروا باللّه ورسوله – ε– يصيبهم مثل ما أصابهم من العذاب.[71] وقوله –Y–: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾،[72] ولِمَا وعد –Y– أنَّه ينصر من ينصره؛ لأنَّه مَولاه ويدخله دار نعمته، ويخذل من يعانده؛ وتقدير الآية هكذا: "فكأيِّن من قوم هم أضعف من الذين اتبعوك نصرناهم على من كذبهم، فلا خاذل لهم".[73] وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا

---

[67] الفرقان، 25/ 33.

[68] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، *الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة*، تح: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط: 1، 1408هـ، ا، ص.330.

[69] الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى ، *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع*، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ص.78.

[70] محمّد، 47/ 10.

[71] القاسمي، محمّد جمال الدين بن محمّد سعيد بن قاسم الحلاق، *محاسن التأويل*، تح: محمّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1418هـ، VIII، ص.469.

[72] محمّد، 47/ 13.

[73] البقاعي، *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، XVIII، ص.216.

السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿18﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾،[74] في هذا إشارة إلى مرضى القلوب، وهم المنافقون، فالصَّمَم والعَمى الذي ذُكِرَ في الآية، استعارة لعدم سمعهم، فكأنَّهم عُمْيٌ وَصُمٌّ، فهم لا يسمعون شيئاً ولا يرونه.[75]

ثانيا. أسلوب التأكيد:

وهو أن يؤكد للمنكر له الكلام بقدر إنكاره، قوة وضعفا، ذاك أن المتكلم أحوج ما يكون إلى الزيادة في تثبيت خبره، فيؤكد له الكلام إذا تقدم ما يشير إلى حكم الخبر فتستشرف نفسه وتتطلع إليه استشراف الطالب المتردد، وذلك كثير في القرآن الكريم وكلام العرب.[76] يدل على ذلك قوله –Y–: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.[77] يُخاطِب الله – Y– المؤمنين، بأنَّ شرط نُصْرَته لهم على أعدائه، هو نصرة دينه الذي جاء به رسوله محمّد – ε–، والنصر يكون لمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، ليتحقق نصر الله بنصرهم إيَّاه، ويظفر المؤمنون بهم، فإنَّه ناصر دينه وأوليائه.[78]

ثالثا. أسلوب القصة:

سورة محمد–ε– لم تكن بعيدة عن عرض أسلوب القصة. والقَصَص في القرآن هو البيان؛ لما فيه من حسن التعبير والتأثير والإبداع؛ والأسلوب القصصي ضرب من ضروب الإعجاز في القرآن؛ إذ حملت أفانينه أجمل أنواع الابداع الأدبي في عرض القصص من حيث الأسلوب والأداء السامي الذي جاء به هذا الفن البديع، والتي تعجز القصة أن تأتي به. فهو أحسن القَصَص؛ حيث لا يشبهه قصص لما فيه من بديع الأسلوب، وحسن التعبير، هو الذي أعجز العرب لما حواه من العبر والنكات والعجائب والحكم؛ فهو بحق أحسن القصص.[79] ورد أسلوب القصة في سورة محمد في الآية الثالثة عشر منها بقوله –Y–: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ

---

[74] محمّد، 47/ 22.

[75] ابن عطية، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، V، ص.118.

[76] المراغي،، *علوم البلاغة*، ص.50.

[77] محمّد، 47/ 7.

[78] الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، XXII، ص.160.

[79] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:3، 1407 هـ، II، ص. 441.

أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾،[80] عن ابن عباس "أن نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، لما خرج من مكة إلى الغار، أراه قال: التفت إلى مكة، فقال: أَنْتِ أَحَبُّ بِلادِ الله إلى الله، وأَنْتِ أَحَبُّ بِلادِ الله إليَّ، فَلَوْ أَنَّ المُشْرِكِينَ لَمْ يُخْرِجُونِي لَمْ أَخْرُجْ مِنْكِ، فَأَعْتَى الأَعْداءِ مَنْ عَتا على الله في حَرَمِهِ، أَوْ قَتَلَ غيرَ قاتِلِهِ، أَوْ قَتَلَ بذُحُول الجاهِلِيَّةِ"، فأنزل الله تبارك الآية، وقال جل ثناؤه: أخرجتك، فأخرج الخبر عن القرية، فلذلك أُنِّث، ثم قال: أهلكناهم، لأن المعنى في قوله أخرجتك، ما وصفت من أنه أريد به أهل القرية، فأخرج الخبر مرّة على اللفظ، ومرّة على المعنى.[81]

رابعا. أسلوب الترغيب والترهيب:

إن المنهج القرآني هو الذى يحقق هذا الهدف في أكمل صوره، وأقوى مظاهره، ذلك أنه لكى يحمل على اتّباع ما يدعو إليه يمزج دعوته بالحث على اتباعها، ويضرب المثل بمن اتبع فنجح، أو ضل فخاب، ويتبع الحديث عن المؤمنين بذكر بعض الأحكام التي يجب أن يتبعها هؤلاء المؤمنون، ويعقب ذلك بالترغيب والترهيب، ثم يولى ذلك بوصف اليوم الآخر وما فيه من جنة أو نار، وهو في كل ذلك يتكئ على الغريزة الإنسانية التي تجعل المرء خاضعا بالترغيب حينا، والترهيب حينا آخر.[82] يدل على ذلك قوله تعالى: (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ).[83]

7.1.1. اختلاف القراءات في السورة

لا بُدَّ لنا أولاً قبل الحديث عن اختلاف القراءات في السورة أن نَتَعرَّف على مصطلح القراءات من حيث اللغة والاصطلاح وثمرة اختلاف القراءات في كتاب الله تعالى، ثمَّ نَشْرَعُ ببيان الاختلاف الحاصل في السورة ولذلك نقول:

---

[80] محمّد، 47/ 13.

[81] الطبري، *الجامع لأحكام القرآن*، XXII، ص. 165.

[82] البيلي، أحمد عبد الله البدوي، *من بلاغة القرآن*، نهضه مصر، القاهرة، 2005، ص.176.

[83] محمد، 47/ 15.

القراءات لغة: جمع قِراءَة، وهي مصدر قَرَأَ يُقال: قَرَأَ يَقْرَأ قِراءَةً وَقُرْآناً، بمعنى تلا، فهو قارئ.[84] وأمَّا في الاصطلاح: فقد تَنَوَّعَت تعابير العلماء في تحديد مفهومها إلاَّ إنَّها اتفقت من حيث العموم بأنَّ موضوعها: الكلمة القرآنية وكيفية أدائها من حيث النُّطْق بها على أكمل وجه، ونورد بعضاً من هذه التعاريف:

2. عرَّفَها صاحب كتاب "البدور الزاهرة" وغيرها بأنَّها: علم بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم من تخفيف، وتشديد، واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف، وذلك أنَّ القرآن نُقِلَ إلينا لفظه ونصه، كما أنزله الله تعالى على نبينا مُحَمَّد –ε–.[85]

3. وقيل بأنَّها: مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القرّاء مُخالِفاً به غيره في النُّطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها.[86] واختلف القُرَّاء في قراءتهم لعدد من الكلمات التي وردت في سورة مُحَمَّد –ε– وكما هو مُبَيَّنٌ في أدناه:

1. كلمة: ﴿نُزِّلَ﴾، التي وردت في قوله –Y–: ﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى محمّد﴾،[87] فقد قرأها القُرَّاء العَشر بضم النون وكسر الزاي مَبْنِيَّاً للمفعول من باب التفعيل، أمَّا زيد بن علي الكوفي (ت: 358هـ)، وابن مقسم محمد بن الحسن (ت: 354هـ)،[88] فقد قرءاها بفتح النون

---

[84] ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، *النهاية في غريب الحديث والأثر*، تح: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ، 1979م، IV، ص.30. الفيروز آبادى، *القاموس المحيط*، ص.49.

[85] القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، *البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة*، دار الكتاب العربي، بيروت، دون: ط، ا، ص.7؛ محيسن، محمد سالم، *القراءات وأثرها في علوم العربية*، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط:1، 1404هـ، 1984م، ا، ص.9.

[86] محمد حبش، *القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية*، دار الفكر، دمشق، ط: 1، 1419هـ، 1999م، ص.32.

[87] محمد، 2/47.

[88] هو أبو بكر بن مقسم محمد، بن الحسن بن يعقوب بن الحسن، بن مقسم العطار، عالم بالقراءات والعربية. من أهل بغداد، ومن مؤلفاته، *"الأنوار" في تفسير القرآن*، و *"الرد على المعتزلة"* و *"اللطائف في جمع هجاء المصاحف"*؛ الزركلي، *الأعلام*، VI، ص.81.

وتشديد الزاي وفتحها مَبْنِيًّاً للفاعل، وأمَّا الأعمش (ت: 148هـ)،[89] فقد قرأها: ﴿أُنْزِلَ﴾ بضم الهمز وإسكان النون وكسر الزاي مبنيا للمفعول، ومعدّى بالهمزة من باب الإفعال، وكذلك قُرِئت عند البعض بفتح النون والزاي من الثلاثي المُجَرَّد.[90]

2. كلمة: ﴿قُتِلوا﴾، التي وردت في قوله –Y–: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾،[91] اختلف فيها القُرَّاء فقد قرأها أبو عمرو البصري (ت: 154هـ) وحفص بن سليمان(ت: 180هـ)،[92] عن عاصم بن أبي النَّجود (ت:127هـ)،[93] ويعقوب الحضرمي (ت: 205هـ)،[94] بضم القاف وكسر التاء على أنَّها مَبْنِيًّاً للمفعول، وقرأها الباقون ﴿قَاتلوا﴾ بفتح القاف وبألف زائدة بينهما، وهي من باب المُفاعَلة مَبْنِيًّاً للفاعل.[95] والحُجَّة لِمَن قَرَأها بضم القاف وكسر التاء أنَّ الفعل بُني على ما لم يُسَمَّ فاعله، أي مَبْنِيٌّ للمجهول، والذي قرأها بفتح القاف وبألف زائدة بينهما أنَّه يدل بذلك على بناء الفعل لهم.[96]

3. كلمة: ﴿مَوْلَى﴾، التي وردت في قوله –Y–: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾.[97] فعند القُرَّاءِ العَشرة تُقْرَأ ﴿مَوْلَى﴾، وأمَّا في قراءة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فقد قرأها: ﴿وَلِيَ﴾ بدلاً من قوله تعالى: ﴿مَوْلَى﴾. وأمَّا كلمة ﴿وَلِيُّكُمُ﴾ التي

---

[89] هو أبو محمد سليمان الأعمش بن مهران مولى بني كاهل من ولد أسد، المعروف بالأعمش الكوفي الإمام المشهور؛ كان ثقة عالماً فاضلاً ولقي كبار التابعين رضي الله عنهم، وروى عنه سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وحفص بن غياث وخلق كثير من جلة العلماء؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، II، ص.400.

[90] ابن حيان، محمّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، *البحر المحيط في التفسير*، تح: صدقي محمّد جميل، دار الفكر، بيروت، دون: ط، 1420هـ، IX، ص.458.

[91] محمّد، 47/ 4.

[92] هو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي، وكان أعلم أصحاب عاصم بقراءته، وهو ابن امرأته وربيبه، ومن طريقه قراءة أهل المشرق؛ الزركلي، *الأعلام*، II، ص.264.

[93] هو عاصم بن أبي النجود بهدلة الكوفي الأسدي، أحد القراء السبعة. تابعي، ولد وتوفي في الكوفة، كان ثقة في القراءات، صدوقا في الحديث؛ الزركلي، *الأعلام*، III، ص.248.

[94] هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي، وهو أحد القراء العشرة، المقرئ الثامن، وله كتاب سماه "*الجامع* جمع فيه عامة اختلاف وجوه القراءات؛ ابن خلكان، *وفيات الاعيان*، VI، ص.390.

[95] ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي، *كتاب السبعة في القراءات*، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط: 2، 1400هـ، ص.600.

[96] ابن خالويه، الحسين بن أحمد أبو عبد الله، *الحجة في القراءات السبع*، تح: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط: 4، 1401هـ، ص.238.

[97] محمّد، 47/ 11.

وردت في قوله –Y–: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾،[98] فقد قرأها القُرَاء العشر بـ ﴿وَلِيُّكُمُ﴾ أمَّا عند عبد الله بن مسعود فقد ورد عنه أنَّه قَرَأَها: ﴿مَولاكُم﴾.[99]

هذا أبرز ما جاء في اختلاف القُرَّاء من أوجه القراءات التي وردت في هذه السورة المباركة، وهناك اختلاف بين القراء في مسألة المدود وهي من الأصول وهذا الاختلاف يتراوح ما بين القصر والتوسط والإشباع بِحَسَب الطريق، وكُلُّ ما ورد لا يُخْرِج الكلمات التي اختلفوا فيها من سياقها الذي سِيقَت لأجله، وهي كما قلنا سابقاً من قُبَيل اختلاف التنوع والتغاير لا اختلاف التضاد.

8.1.1. أسباب نزول الآيات في السورة

أنزل الله –Y– القرآن الكريم على الناس ليكون دستوراً لهم في حياتهم الدنيا ومنهاجاً للحياة بكل جوانبها: العقائدية والفكرية والاجتماعية والسياسية والتربوية، ولنزول القرآن وآياته أسباب، منها: إخبار عن أحكام تقريرية؛ كآيات العقائد وأخبار الأمم السابقة وقصص الأنبياء، أو مُؤَكِدٌ لأحكام تشريعية كانت موجودة في السابق، كالآيات التي تَحُث على مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، وهناك أحكام شرعية نزلت عقب سؤال يُسأل وتحتاج إلى جواب وهي كثيرة في القرآن الكريم كقوله –Y–: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾،[100] وقوله –Y–: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتامى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾،[101] وقوله –Y–: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾،[102] وقوله –Y–: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾،[103] ومنها عقب حادثة تقع فتحتاج إلى بيان حكمها،[104] وهذا كثير في كتاب الله تعالى، منها: حكم الظهار التي وردت في سورة المجادلة في حقِّ الظهار وما يَتَرَتَّبُ عليه من

---

[98] المائدة، 5/ 55.

[99] الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، XXII، ص.164.

[100] البقرة، 2/ 219.

[101] البقرة، 2/ 220.

[102] البقرة، 2/ 222.

[103] الإسراء، 17/ 85.

[104] الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، حلب، ط: 3، ا، ص.107–108.

أحكام المرأة التي اشتكت إلى الله تعالى من زوجها الذي ظاهرها فسمع –Y– شكايتها فأنزل الله فيها آيات المجادلة وما يترتب عليه من أحكام فقال –Y–: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾،[105] ومنها: حادثة الإفك التي كانت في حق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، فأنزل الله عقب هذه الحادثة آيات تُبَرِّأ فيها ساحتها كما جاء في قوله –Y–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾،[106] وغيرها من الآيات، ومن فوائد معرفة أسباب النزول: هو الوقوف على المعنى أو إزالة الإشكال.[107] فمعرفة سبب النزول خير سبيل لِفَهْم معاني القرآن، وكشف الغموض الذي يَكْتَنِفُ بعض الآيات في تفسيرها ما لم يُعْرَف سبب نزولها.[108] ومن هذه السور التي نحن بصدد دراستها هي سورة مُحَمَّد –ε–، حيث احتوت على أسباب لنزول بعض الآيات منها، وأنّ غالب الآيات التي في السورة جاءت وَصْفاً عامًّا لأحوال الكافرين، أو أحوال المنافقين، أو أحوال المؤمنين، وفي هذا المبحث سنحاول أن نورد هذه الآيات وهي كالتالي:

1. الآية التي ورد فيها جحود اليهود لنبوة النَّبيِّ –ε–، كما في قوله –Y–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾،[109] نزلت في قوم من اليهود لَمَّا عرفوا نبوة مُحَمَّد –ε–، وذكرت أوصافه في كتبهم، جحدوا بها، فأخفوا ذلك ولم يعلنوا بها، حِقْداً منهم على النَّبيِّ –ε– وعلى أصحابه.[110]
2. الآية التي ورد فيها الحث على القتال كما قوله –Y–: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ

---

[105] المجادلة، 58/ 1.

[106] النور، 24/ 11.

[107] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، *لباب النقول في أسباب النزول*، تح: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، دون: ط، ص.3.

[108] القطان، مناع بن خليل، *مباحث في علوم القرآن*، مكتبة المعارف، الرياض، ط: 3، 1421هـ، 2000م، ص.80.

[109] محمّد، 47/ 25.

[110] الغرناطي، أبو القاسم، محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبد الله، *التسهيل لعلوم التنزيل*، تح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط: 1، 1416هـ، ا‌ا، ص.283.

أَوْزَارَهَا﴾.[111] ذكر الزمخشري (ت:538هـ): أنَّها نزلت في يوم أحد، لَمَّا حَثَّ الله –I– فيها المؤمنين على القتال.[112]

3. الآية التي ورد فيها مواساة النَّبيِّ –ε– والمؤمنين عقب غزوت أحد فقال–Y–: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾.[113] حيث ذَكَر أهل التفسير أنَّها نزلت يوم أحد ورسول الله –ε– مُثْقَلٌ بالجِراحات، فنادى الكافرون: أعل هبل، فَرَدَّ المسلمون عليهم: الله أعلى وأجل، فنادى الكافرون: يوم بيوم والحرب سجال، والعِزَّة لنا ولا عِزَّة لكم، فقال رسول الله –ε–: «ألا تجيبوه قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم».[114]

4. الآية التي ورد فيها توجه النبي –ε– إلى الغار جراء ما لاقاه من المشركين كما في قوله –Y–: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾.[115] فذكر المفسرون أنَّها نزلت عندما تَوَجَّه رسول الله –ε– إلى الغار ليهاجر إلى المدينة،[116] فالتفت وقال: «ما أطيبك من بلد، وأحبك إلي، ولولا أنَّ قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك».[117]

5. الآية التي ورد فيها ذكر المنافقين عند حضورهم لصلاة الجمعة وتظاهرهم بعدم سماعهم خطبته –ε– كما جاء في قوله –Y–: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾.[118] حيث نزلت هذه الآية في المنافقين عبدالله بن سلول وأصحابه، كانوا يحضرون الصلاة ليوم الجمعة في مسجد النبي –ε– وعندما يخرجون يتظاهرون أنَّهم لم يسمعوا شيئاً مِمَّا قال به –ε–.[119]

---

[111] محمّد، 47/ 4.

[112] الزمخشري، *الكشاف عن غوامض حقائق التنزيل*، IV، ص.318.

[113] محمّد، 47/ 11.

[114] الرُّوياني، أبو بكر محمد بن هارون، *مسند الروياني*، تح: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط: 1، 1416، 301، باب رواية أبي إسحاق عنه.

[115] محمّد، 47/ 13.

[116] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، XVI، ص.235.

[117] الترمذي، *سنن الترمذي*، 3926، باب فضل مكة.

[118] محمّد، 47/ 16.

[119] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، XVI، ص.238.

6. الآية التي ورد فيها سبب إنشراح الصدر كما في قوله –Y–: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾.[120] حيث نزلت هذه الآية عندما كان يضيق صدر النَّبيِّ –ε– بما يفعله الكافرون والمنافقون.[121]

7. الآية التي ورد فيها تقديم الطعام لجيش المشركين في بدر لنصرتهم كما في قوله –Y–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾.[122] ذكر أهل التفسير أنَّها نزلت في الذين كانوا يُقَدِّمُون الطعام لجيش المشركين يوم بدر.[123]

8. الآية التي ورد فيها الإستبدال عند التولي كما جاء في قوله –Y–: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾.[124] ذكر المفسرون أنَّها لَمَّا نزلت هذه الآية، قال الصحابة –رضي الله عنهم–: يا رسول الله، من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا، ثمَّ لا يكونوا أمثالنا؟ فضرب على فخذ سلمان الفارسي، ثمَّ قال: «هذا وقومه لو كان الدِّين عند الثُّريا لتناوله رجال من فارس».[125]

هذا أبرز ما جاء من الأسباب في نزول بعض الآيات من سورة مُحَمَّد –ε–، وأنّ الغالب من الآيات في السورة جاءت وصفاً عامًّا لأحوال الكافرين، أو أحوال المنافقين، أو أحوال المؤمنين.

9.1.1. مسألة النسخ في السورة

النسخ في القرآن الكريم وكما عرَّفه السيوطي (ت: 911هـ): هو الإزالة، كما جاء في قوله –Y–: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾،[126] أو هو

---

[120] محمّد، 47/ 19.

[121] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، XVI، ص.242.

[122] محمّد، 47/ 32.

[123] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، XVI، ص.254.

[124] محمّد، 47/ 38.

[125] ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان*، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 2، 1414هـ، 1993م، 7123، باب ذكر سلمان الفارسي رضي الله عنه.

[126] الحج، 22/ 52.

التبديل، كما جاء في قوله –Y–: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾،[127] أو هو التحويل، كما في تناسخ المواريث، بمعنى تحويل الميراث من الموروث إلى الوارث، والنسخ في الاصطلاح: هو رفع حكم آية بآية أخرى.[128] واختلف العلماء في موضوع النسخ في آية الأسرى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾،[129] من سورة محمد –ε–، فمنهم من قال: أنَّ النسخ وقع فيها، ومنهم من قال: أنَّها مُحْكَمَة ولا نَسْخَ فيها، فذكر النحاس (ت: 338هـ): "أن الآية محكمة معمول بها وهو قول حسن؛ لأن النسخ إنما يكون بشيء قاطع فإذا أمكن العمل بها فلا معنى للقول بالنسخ إذ كان يجوز أن يقع التعبد إذا لقينا الذين كفروا قبل الأسر قتلناهم، فإذا كان الأسر جاز القتل والمفاداة، والمنّ على ما فيه الصلاح للمسلمين وهذا القول يروى عن أهل المدينة، والشافعي، وأبي عبيد (ت:319 هـ)".[130]

وذكر المقري (ت: 410هـ): أن سورة محمّد –ε– تحتوي على آية منسوخة، وهي آية ﴿فَإِمّا مَنّاً بَعدُ وَإمّا فِداءُ﴾،[131] نُسِخَت بآيتين الأولى: آية السيف، والثانية: الآية التي في سورة الأنفال،[132] في قوله –Y–: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾.[133] وذكر ابن حزم (ت: 456هـ) أنَّ سورة محمّد –ε– كلها مُحْكَمَة إلا آية واحدة، وهي قوله –I–: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾؛[134] فإنَّها مَنْسُوخَة بآية السيف.[135] وقوله –Y–: ﴿فإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾،[136] فيها

---

[127] النحل، 16/ 101.

[128] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، *الإتقان في علوم القرآن*، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط:1، 1394هـ، 1974م.، III، ص.67.

[129] محمد، 47/ 4.

[130] النَّحَّاس، أبو جعفر أحمد بن محمّد بن إسماعيل بن يونس، *الناسخ والمنسوخ*، تح: محمّد عبد السلام محمّد، مكتبة الفلاح، الكويت، ط: 1، 1408هـ، ص.668.

[131] محمّد، 47/ 4.

[132] المقري، أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي، *الناسخ والمنسوخ*، تح: زهير الشاويش، محمّد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1404هـ، ص.165.

[133] الأنفال، 8/ 12.

[134] محمّد، 47/ 4.

[135] ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، *الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم*، تح: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1406هـ، 1986م، ص.56.

[136] محمّد، 47/ 4.

قولان: الأول: أنَّ حُكْمَ المَنِّ والفِداء، باقٍ ولم يُنْسَخ، وهذا هو مذهب الإمام أحمد والشافعي. والقول الثاني: أنَّه نسخ بقوله –Y–: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾،[137] وهو قول أبي حنيفة.[138] وقال الهروي (ت: 224هـ): الأمر في الأسارى أنَّه لم يُنْسَخ من أحكامهم شيء؛ لكنَّ الحاكم مُخَيَّرٌ في الذكور البالغين في أربعة أمور فيهم، وهي: القتل، أو الاسترقاق، أو الفداء، أو المنّ؛ ويتحقق ذلك بأنفع المصالح للإسلام وأهله.[139] وخلاصة القول في النسخ في القرآن الكريم، ما قاله الدهلوي (ت: 1176هـ) في كتابه "الفوز الكبير": أنَّ جلال الدين السيوطي عَدَّ النسخ في القرآن الكريم بتسعة عشر آية، غير أنَّه لمّ يَعُدَّ آية المَنِّ والفِداء التي في سورة محمّد –ε–، حيث قال: لا يتعين النسخ إلا في خمس آيات، وعلى ما حرَّرنا فإنَّ النسخ لا يكون إلا في هذه الآيات التي سبق ذكرها.[140] وعليه فمن خلال تحقيق الدهلوي يتبين لنا: أنَّ سورة محمّد –ε– كلّها مُحْكَمَة ولا يُوجَد نسخ فيها، والمَنُّ والفِداء ماضٍ فيها، وهذا يتناسب مع مبادئ الإسلام التي تدعو إلى احترام حقوق الإنسان، ومعاملة الأسير المعاملة الحسنة، وإن كان مع أعدائه، على عكس ما حاولت تلك الفئة الضالة المنحرفة عن هدي الإسلام على تشويه صورته الناصعة الجميلة التي جاء بها النَّبيُّ –ε– وسار عليها الصحابة الكرام.

2.1. دراسة حول مفهوم المقاصد وأنواعها

في هذا المبحث ستكون هناك دراسة مُوْجَزَة لغرض التعريف بالمقاصد الشَّرعيَّة من حيث أنواعها، وأقسامها، وأهميتها، وأهم الطرق التي تُوصِل إلى المقاصد الشَّرعيَّة التي تضمَّنتها سورة مُحَمَّد وذلك من خلال المطالب الآتية:

---

[137] التوبة، 9/ 5.

[138] الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمّد، *المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ*، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 3، 1418هـ، 1998م، ص.53.

[139] الهروي، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله، *الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز*، تح: محمّد بن صالح المديفر، شركة الرياض، الرياض، ط: 2، 1418هـ، 1997م، ص.209.

[140] الدهلوي، أحمد بن عبدالرحيم ولي الله، *الفوز الكبير في أصول التفسير*، دار الغوثاني للدراسات الإسلاميّة، دمشق، ط: 1، 1429هـ، 2008م، ص.59–68.

1.2.1. مفهوم المقاصد الشَّرعيَّة

أولاً: دلالة المقاصد في اللغة:

المقاصد:- أصلها من الفعل الثلاثي: قَصَدَ يَقْصُدُ قَصْداً، والقصد الاستقامة في الطريق، والتوجه نحو الشيء. ذكر الفراهيدي (ت: 170هـ):- أنَّ المقاصد جمع "مَقْصَد"، مأخوذة من مادة: (قَ صَ دَ)، وهو الاستقامة في الطريقة،[141] وهو قصد الشيء،[142] أي: استقامَةُ الطَّرِيقِ، ومنه جاء قوله -I-:﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾،[143] أي: على الله -I- توضيح الطريق المستقيم.[144] والقَصْدُ في الشيء: هو عدم الإسراف وإنَّما التوسط في الأمور كُلِّها، ومنها عدم الجَوْر والأخذ بالأمر الوسط سواء أكان في المعيشة أم في الإنفاق.[145] ومنه قوله -I-: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾.[146] وورد عن ابن جني (ت: 392هـ)،[147] أنَّه قال: أصل "ق ص د"، وموقعها من الكلام العربي هو: الاعتزام والتوجه والنهوض تجاه الشيء، اعتدالاً كان أو جَوْراً، هذا الأصل في الحقيقة، والميل دون الاستقامة هو ما يَخُصُّه غالِباً، فيُقْصَدُ به الميل تارة والاستقامة تارة أخرى، فالعزم والتوجه شامل لكليهما ولأنَّ الذي يقصد شيئاً، رُبَّما يريد الاستقامة أو غير ذلك.[148] كما قال ابن فارس (ت: 395هـ): الْقَافُ وَالصَّادُ وَالدَّالُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ، يَدُلُّ أَحَدُهَا عَلَى إِتْيَانِ شَيْءٍ وَأَمِّهِ، وَالْآخَرُ عَلَى اكْتِنَازٍ فِي

---

[141] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن بن عمرو بن تميم البصري، *كتاب العين*، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دون: ط، V، ص.55.

[142] الجرجاني، *التعريفات*، ص.220.

[143] النحل، 16/ 9.

[144] الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، *تاج العروس من جواهر القاموس*، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، دون، م، دون: ط، IX، ص.35.

[145] الزبيدي، *تاج العروس من جواهر القاموس*، IX، ص.36.

[146] الفرقان، 25/ 67.

[147] هو عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفي ببغداد، عن نحو 65 عاما. من تصانيفه رسالة في "*من نسب إلى أمه من الشعراء*" و "*شرح ديوان المتنبي*" و "*المبهج*" و "*سر الصناعة*". الزركلي، *الأعلام*، IV، ص.204.

[148] ابن سيده، علي بن إسماعيل، *المحكم والمحيط الأعظم*، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1421هـ، 2000م، VI، ص.187. الزبيدي، *تاج العروس من جواهر القاموس*، IX، ص.37.

الشَّيْءِ.[149] والمقاصد لها معاني كثيرة منها: الاستقامة والتوجه في الطريق،[150] وكذلك عدم الإفراط والتوسط في الأمر.[151] تبيَّن لنا مِمَّا سبق ذكره أنَّ من الدلالات التي جاءت في كتب اللغة؛ أنَّ القصد معناه: التوجه نحو الشيء، ومن معانيه أيضاً: الاستقامة والتوسط في الأمر، كما دلَّت على ذلك الآيات القرآنية التي بيَّنَّاها سابقاً.

ثانياً: المقاصد اصطلاحاً:

العلماء الأوائل لم يضعوا تعريفاً صريحاً للمقاصد، ذلك كون المعنى واضحاً لديهم ولا يحتاج إلى تعريف، فقد اكتفوا بذكر جمل وكلمات تشير إلى العلاقة بأقسام وأنواع بعض المرادفات التي تشير إلى معنى المقاصد من ألفاظ جلب المصالح ودرء المفاسد، وكذلك في حفظ الضَّروريات الخمس.[152] وأنَّ جلب المنافع ودفع المضار، هو من تحصيل مقاصد الناس وصلاحهم. والمصلحة: هي ما قصده الشارع الكريم، والمصالح الشَّرعيَّة في مقاصد الناس خمسة: وهي أن تحفظ عليهم الدِّين والنفس والعقل والنسل والمال.[153] فالعلماء الأوائل عبَّروا عن المقاصد بمعاني كثيرة تدل عليها، تصريحاً أم تلميحاً تنصيصاً كان أم إيماءً. والتفات هؤلاء العلماء لهذه المعاني كان مراعاة للمقاصد في فَهْمِ الأحكام والنصوص والاجتهاد والترجيح بين هذه النصوص، ومنها: الحكمة أو المصلحة، المنفعة أو المفسدة، الأغراض أو الغايات أو الأهداف، الأسرار أو المرامي، الضرر أو الأذى، وغير ذلك من المرادفات التي تدل على معنى المقاصد. وذكروا الضَّروريات الخمس التي جاء الإسلام لحفظها وهي: الدِّين والنفس والعقل والنسل والمال.[154]

---

[149] ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم *مقاييس اللغة*، تح: عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، بيروت، دون: ط، 1399هـ، 1979م، V، ص.95.

[150] النحل، 16/ 9.

[151] نور الدين الخادمي، *علم المقاصد الشرعيّة*، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: 1، 1421هـ، 2001م، ص.13.

[152] أحمد الريسوني، *نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي*، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط: 2، 1412هـ، 1992م، ص.5.

[153] الغزالي، أبو حامد محمّد بن محمّد الطوسي، *المستصفى*، تح: محمّد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1413هـ، 1993م، ا، ص.174.

[154] نور الدين الخادمي، *علم المقاصد الشرعيّة*، ص.15.

أمَّا العلماء المعاصرون فقد أطَّروا لهذا العلم إطاراً واضحاً، عندما أحَسُّوا بحاجة معرفة مقاصد الأحكام التي جاءت بها الشَّريعة الإسلاميَّة، وبيَّنوا فيه التعريف الاصطلاحي للمقاصد، وبَرَعُوا في هذا العلم منهم:

1. الطاهر بن عاشور (ت: 1393هـ)، عرَّفها بأنَّها: الحكم والمعاني الملحوظة في جميع أمور الشريعة، فلا يكاد يخلو تشريع الأحكام من الغايات والأهداف التي يحملها في ثناياه.[155]

2. علّال الفاسي، عرَّف المقاصد بأنَّها: الغايات من التشريع، أو الأسرار التي أودعها الشارع الحكيم في الأحكام، التي من أجلها شُرِّعَت الأحكام.[156]

3. أمّا الريسوني فقد عرَّفَها بأنَّها: الغايات التي شُرِّعَت لمصلحة الإنسان.[157]

4. وذكر جاسر عودة، بأنَّ المقاصد هي: الأغراض والحكم الطيّبة التي جاءت بها الشريعة لتحقيقها من خلال طرق مُعَيَّنة، ومن هذه الطرق: الجواب عن أسئلة تخصّ مصلحة المجتمع.[158]

5. وأمَّا القرضاوي فقد عرَّفها بأنَّها: الغايات والأهداف من النصوص التي تخصّ الأمر والنهي والإباحة لتحقيقها في حياة المكلفين، ومن خلال تطبيقها في الأحكام الجزئية.[159]

يتبين لنا أن المقاصد الشرعية هي: الغايات والأهداف التي بثَّها الشارع الكريم في ثنايا الأحكام التي جاءت لتحقيق المصلحة للعباد سواء أكانت بالأمر لفعل الشيء أم النهي عنه، فلم تأتي هذه الأحكام إلا لمصلحة، سواء أكانت هذه المصلحة ملحوظة أم غير ملحوظة.

ثالثاً: الشَّرعيَّة لغة:

---

[155] ابن عاشور، *مقاصد الشريعة الإسلاميّة*، تح: محمّد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، قطر، دون: ط، 1425هـ، 2004م، III، ص.165.

[156] علاّل الفاسي، *مقاصد الشريعة الإسلاميّة ومكارمها*، دار الغرب الإسلامي، الرباط، ط: 5، 1993م، ص.3.

[157] أحمد الريسوني، *نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي*، ص.7.

[158] جاسر عودة، *مقاصد الشريعة فلسفة للتشريع الإسلامي رؤية منظومية*، المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ، لندن، طبع في المملكة المتّحدة، بريدلز المحدودة، في آينغزلين، دون: ط، 1428هـ، 2007م، ص.14.

[159] القرضاوي، *دراسة في فقه مقاصد الشريعة*، دار الشروق، القاهرة، ط: 1، 2006م، ص.20.

إنَّ الدلالة اللغوية للشَّرْعيَّة، مأخوذة من الشَّريعة لأنَّها تُبَيِّن الأحكام التي جاء بها الشَّرع الحنيف، فقد جاءت في كتب اللغة على معان عدَّة نذكر منها:-

جاء في كتاب "الكليات": أنَّ الشَّرعيَّة هي نسبة إلى الشَّرع وهو البيان والإظهار، والمُراد بالشَّرْع المذكور على لسان الفقهاء بيان الأحكام الشَّرعيَّة.[160] وعرَّفها صاحب كتاب "جمهرة اللغة"؛ بأنَّها: شريعة النهر ومشرعته حيث ينحدر الماء منها، ومنه سُمِّيَت شريعة الدِّين؛ لأنَّها المَدْخل إليه، وهي الشِّرْعَة أيضاً.[161] وعرَّف الرَّاغِب الأصفهاني (ت: 502هـ) الشَّريعة بأنَّها: من الشَّرْع وهي مصدر واسم للطريق الواضح، يُقال: شَرَعْتُ له الطريق، أي وضَّحْتُ له الطريق، وهي الطريقة الإلهية.[162] قال -I-: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.[163] وكذلك شريعة ومشرعة: هي مكان لِشُرْب الدَّواب يكون على شاطئ البحر وإذا كان الماء عِدًّا لا انقطاع له سمَّاه العرب شريعة، وشَرَعْتُ في هذا الأمر شُرُوعاً أي: خُضْت، وأشْرَعَ يده في المَطْهَرة إذا أدخلها فيها إشراعاً.[164] وفي ذلك قال ذو الرّمة (ت: 117هـ)،[165]: وفي الشَّرائع من جِلاّنَ مُقْتَنِصٌ ... رثُّ الثياب خفي الشخص منزرب.[166]

رابعاً: الشَّرْعِيَّة في الاصطلاح:

جاء في "التعريفات الفقهية": أنَّ الشَّرْعَ هو الطريق الذي شرَّعه الله -I- لعباده من أمور العبادات في الدِّين ما كان من النَّبيِّ -ε- فهو المُشَرِّع من الله، والشَّريعة هي ما سَنَّ الله -Y- على عباده من عبادات كالصيام، والصلاة، والحج، والزكاة، وسائر أعمال البِّر. والشَّريعة ما

---

[160] الكفوي، أبو البقاء الحنفي، *الكليات*، تح: عدنان درويش، ومحمّد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، دون: ط، ص.524.

[161] الأزدي، ابن دريد، أبو بكر محمّد بن الحسن، *جمهرة اللغة*، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 1، 1987م، II، ص.727.

[162] الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمّد، *المفردات في غريب القرآن*، تح: صفوان عدنان الداودي، الدار الشامية، بيروت، ط: 1، 1412هـ، I، ص.450.

[163] المائدة، 5/ 48.

[164] الفراهيدي، *كتاب العين*، I، ص252. وابن منظور، *لسان العرب*، VIII، ص.175.

[165] هو أبو الحارث غيلان بن عقبة من نسب عدنان، الشاعر المشهور المعروف بذي الرمة، أحد فحولة الشعراء. وله قصيدة "*ما بال عينك منها الماء ينسكب*"؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، IV، ص.11.

[166] الباهلي، أبو نصر أحمد بن حاتم، *ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب*، تح: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، جدة، ط: 1، 1982م، 1402هـ، I، ص.64.

قدَّمه المؤمن من طاعات لله –Y– من خلال التزامه بما أحلَّ الله –Y– والانتهاء عمَّا نهى وأمر، والخشية منه، ورجاءه وقصده وطاعته.[167]

2.2.1. أنواع المقاصد الشَّرعيَّة

ثبت بالاستقراء عند أهل العلم أنَّ مقاصد الشَّريعة على ثلاثة أنواع، ولا يمكن أن تتعدَّاها إلى غيرها، وهذه الأنواع كما ذكرها الشاطبي (ت: 790هـ) في كتابه "الموافقات" هي: إمَّا أن تكون من الضَّروريَّات، أو من الحاجيَّات، أو من التَّحسينيَّات.[168] إذاً فأنواع مقاصد الشَّريعة الإسلاميَّة وِفْقَ متطلبات الناس ثلاثة أنواع، وسنقوم بشيء من التفصيل عنها ولذلك نقول:

أولاً: الضَّروريَّات:

الشَّريعة الإسلاميَّة تُؤَكِد على حفظ الضَّروريَّات للناس، وهي خمسة أشياء، الدِّين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال. والضَّروريَّات: هي التي لابُدَّ منها لقيام مصالح الدنيا؛ لأنَّه بفقدانها لا تجري تلك المصالح في صورتها الصحيحة؛ بل يكون الفساد والموت، والمحافظة عليها يكون من خلال طريقين، الأول: مراعاتها من جانب الوجود، والثاني: من جانب العدم، "ويكون ذلك بإبعاد ما يؤدي إلى إزالتها، أو إفسادها، أو تعطيلها، سواء كان واقعًا أو متوقعًا. فحفظ الدين مثلًا، تحققه من جانب الوجود العقائد الأساسية، والعبادات الرئيسية، من صلاة وزكاة. ويحفظ من جانب العدم بالجهاد، وقتل المرتدين، ومنع الابتداع وأحكام العادات والمعاملات تؤدي إلى حفظ بقية الضروريات من جانب الوجود، وأحكام الجنايات تؤدي إلى حفظها في جانب العدم".[169] فالمقصود من الضَّروريَّات: هي أنَّ الحياة لا تستقيم إلا بوجودها، كضَرورة وجود الماء لبقاء الحياة، فلو امتنع الإنسان عن شرب الماء لأيّام قلائل لمات؛ إذاً فالماء ضَروريٌّ للحياة.

وفيما يلي تفصيل الكلام عن هذه الضَّروريَّات الخمس فنقول:

---

[167] أبو حيان التوحيدي، علي بن محمّد بن العباس، *البصائر والذخائر*، تح: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط: 1، 1408هـ، 1988م، II، ص.212.

[168] الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمّد اللخمي الغرناطي، *الموافقات*، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط: 1، 1417هـ، 1997م، II، ص.17.

[169] أحمد الريسوني، *نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي*، ص.126.

1. حفظ الدِّين:

إنَّ حفظ الدين أهم المقاصد الضرورية، فهو لبُّ المقاصد وروحها، فلا يمكن أن يكون هذا المقصد العظيم معرضا للضياع، أو التبديل أو التحريف، لأن في ضياعه خراب للدنيا بأسرها، كما هو حال واقعنا اليوم عندما نُحي الإسلام جانبا كثُر القتل والدمار للشعوب الفقيرة، وذلك لأجل فرض سلطة القوة عليها، وسلب خيراتها وممتلكاتها، فالإسلام هو وحده من يعيد هذه الحقوق إلى أهلها ويفرض الأمن والسلام. والمحافظة على الدين من جانب الوجود، بما يقيم أركانه ويثبت قواعده، يكون من خلال: النطق بالشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وما أشبه ذلك.[170] وكذلك العمل بالدِّين من ناحية الاعتقاد؛ لأنَّ الاعتقاد الصحيح هو الشرط الأساسي لِقَبُول العمل، ويحافظ على جمال العقيدة الإسلاميّة التي حاول الفلاسفة تشويه صورتها الجميلة. ويكون أيضا من خلال تطبيق الأحكام الشَّرعيَّة التي أمر الله –Y– بها، لقوله: ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.[171] وكذلك من خلال الجهاد في سبيل الله؛ بقتال الكافرين والمنافقين.[172] فحفظ الدِّين من أولويات أمور الشَّريعة التي يجب المحافظة عليه من جانب الوجود من خلال الأسباب التي تحفظه، وتستبقي وجوده؛ لأنَّ الحياة لا تستقيم إلا بالدِّين.

2. حفظ النفس:

يتَحَقَّق حفظ النفس من جانب الوجود بالزواج الشرعي الذي رغَّب الإسلام به، كما جاء في قوله –Y–: ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾،[173] ويكون الحفاظ على النفس كذلك من خلال توفير الطعام والشراب، وأنَّ صفاء النفس يكون بالطعام والشراب، وسائر الأقوات التي يحتاجها الإنسان، لقوله –Y–: ﴿يَاأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.[174] فلابُدَّ للإنسان أن يستعين بالأكل والشرب على قدر ما يحتاجه البدن

---

[170] الشاطبي، *الموافقات*، II، ص.18–20.

[171] المائدة، 5/ 48.

[172] عبدالكريم زيدان، *الوجيز في اصول الفقه*، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1427هـ، 2006م، ص.300. زياد محمّد حميدان، *مقاصد الشريعة الإسلاميّة*، الرسالة، بيروت، ط:1، 1420هـ، 1999م، ص.91.

[173] النساء، 4/ 3.

[174] المؤمنون، 23/ 51.

لِيَتَقَوى على العلم والعمل، ولا يَهْمِل نفسه.[175] وحفظ النفس من جانب العدم يكون بعدم الاعتداء عليها، فقد حرَّم الإسلام ذلك الأمر، وجعله من الأعمال التي تُوجِبُ القِصَاص، فقال –Y–: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾،[176] وقوله –Y–: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾.[177] ومعنى التشبيه في هذه الآية: "حث جميع الأمة على تعقب قاتل النفس وأخذه أينما ثقف والامتناع من إيوائه، كل مخاطب على حسب مقدرته وبقدر بسطة يده في الأرض، من ولاة الأمور إلى عامة الناس. فالمقصود من ذلك التشبيه؛ تهويل القتل وليس المقصود أنه قد قتل الناس جميعا".[178] والمحافظة على النفس وعلى وجودها، يكون بطرق بيَّنتها الشَّريعة الإسلاميَّة من خلال نصوصها المُقَدَّسَة ورغَّبت بها مثل: الزواج الشرعي الذي يتم من خلاله إيجاد النفس، وكذلك وجوب تناول الطعام والشراب وعدم الامتناع عنه، وعقوبة من حاول الاعتداء عليها، ويَحْرُم تعريض النفس للتهلكة.[179]

حفظ النفس، من الضَّروريَّات التي يجب المحافظة عليها؛ لأنَّ قيمتها عند الله عالية؛ لقوله –I–: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾،[180] ففي هذه الآية تحذير عظيم من قتل النفس البريئة، وبيان خطورة هذا العمل الشنيع عند الله تعالى.

3. حفظ النسل:

المحافظة على بقاء النسل ودوامه من مقاصد الشَّريعة الإسلاميَّة الغرَّاء التي جاءت للناس، وهو من سنن الله، ويكون حفظه من جانب الوجود من خلال الزواج الشَّرعي الذي أقَرَّه الإسلام، وتحريم الزنا بُغْية عدم اختلاط الأنساب، ومعاقبة من وقع فيه، وقذف المحصنات.[181] والزواج له فوائد كثيرة، منها: إيجاد الولد الذي هو الأصل الذي وُضِعَ النكاح لأجله، فمقصده إبقاء النسل وديمومته، ويعين على حفظ الدِّين، ويهين به الشياطين، ويَتَحَصَّن به فهو خير

---

[175] الغزالي، إحياء *علوم الدين*، دار المعرفة، بيروت، ط: 4، 2004، II، ص.2.

[176] الأنعام، 6/ 151.

[177] المائدة، 5/ 32.

[178] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، VI، ص.178.

[179] عبد الكرم زيدان، *الوجيز في اصول الفقه*، ص.300.

[180] المائدة، 5/ 32.

[181] عبد الكرم زيدان، *الوجيز في اصول الفقه*، ص.300.

حصين، وسبب للتكثير الذي يُباهي به سيد المرسلين لسائر النَّبيِّين.[182] ويكون حفظ النسل من جانب العدم: بتحريم العلاقات غير الشَّرعيَّة، مثل: الزنا، وكل نكاح حرَّمه الشارع الحكيم؛ لقوله –Y–: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.[183] فالمحافظة على الأنساب يكون بالعلاقة الزوجية التي أقرتها الشَّريعة الإسلاميَّة والتي يتم من خلالها المحافظة على النسل، وليست تلك الطريقة الحيوانية لبعض المجتمعات البعيدة عن الإسلام ومنهجه القويم التي تنتج أفراداً لا آباء لهم يعلمونهم.[184]

4. حفظ المال:

المال عَصَبُ الحياة، فلا تستقيم الحياة إلا به، فبالمال تُبْنى البيوت والمدارس والجوامع والمستشفيات وجميع مرافق الحياة، فهو ضَرورة من ضَرورات الحياة، لذا أُبيحَت المعاملات المختلفة لغرض ايجاد المال، وَوُجِدَ حَدُّ السَّرقة للمحافظة عليه من الضَّياع، وحجر على السفيه والمجنون لعدم إضاعته.[185] وحفظ المال من جانب الوجود: يكون بالكسب الحلال الذي أحَلَّه الله –Y– لعباده، وهذا لا يتم إلا من خلال المُتاجَرَة به، التي تكون سبباً في الرِّبْح الحلال، الذي يجلب الخير والبركة لصاحبه، قال –Y–: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[186] وحفظ المال من جانب العدم: يكون بعدم الإسراف والتبذير، لقوله –Y–: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾.[187] وكذلك يكون بعدم الاعتداء على أموال الناس، من خلال القيام بأعمال حرَّمها الشرع؛ لغرض الاستيلاء على أموالهم بغير وجه حق، قال –Y–: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[188]

5. حفظ العقل:

وحفظ العقل من جانب الوجود: يكون بتحصينه بالإيمان باللّه تعالى هذا أولاً، وثانياً: بالعلوم النافعة، التي تنفع الإنسان في الدنيا والأخرة، قال –Y–: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ

---

[182] الغزالي، *إحياء علوم الدين*، II، ص.34.

[183] الإسراء، 17/ 32.

[184] نور الدين الخادمي، *علم المقاصد الشرعيّة*، ص.84.

[185] عبد الكرم زيدان، *الوجيز في اصول الفقه*، ص.301.

[186] الجمعة، 62/ 10.

[187] الفرقان، 25/ 67.

[188] البقرة، 2/ 188.

وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.[189] فطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، لزيادة العلوم المعرفية لدى الناس، وزيادة العقل من الفَطَانَة والرَّجَاحة فيه، ليَدْرك أمور دينه ودنياه، وَيَتَأتَّى ذلك بتنقية عقله مِمَّا يَشُوبه من الخُرافة، والجَهل، والأوْهام.[190] وأمَّا من جانب العدم: فتكون المحافظة على العقل من خلال تحريم كل ما يكون سبباً في زوال العقل وإتلافه من المُسَكرات وغيرها؛ لقوله –Y–: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[191] ويكون أيضاً من خلال المحافظة على العقول من أن يصيبها خلل حتى لا يُفْسِدها؛ لأنَّ دخول الخلل على العقل مُؤَدٍّ إلى فساد عظيم من عدم انضباط التصرف، فلذلك وجب منع الشخص من تناول المُسَكرات التي تذهب بالعقل، وكذلك منع الأمَّة من أن تنتشر فيها هذه المخدرات.[192] فحُرِّمت المُسَكِّرات معاقبة على مَن يَتَعاطاها حِفاظاً على سلامة العقل وعدم ذهابه؛ لأنَّه إذا فُقِدَ العقل أصبح الإنسان كالحيوان لا يَعْرِف مَعْروفاً ولا يَنْكُر مُنْكَراً.[193] فالعقل مِنَّةٌ مِنَ الله على الإنسان، منحه إيَّاه ليُمَيِّزَه عن الحَيَوان، فبالعقل تُدرَك الأشياء وتُعرَف، والمحافظة عليه من أولويات الشَّريعة الإسلاميَّة.

ثانياً: الحاجيَّات:

عرفَّ الشاطبي الحاجيَّات بقوله: "وأما الحاجيات، فمعناها أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراع دخل على المكلفين الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة".[194] والمقصود من تشريع الحاجيات؛ من أجل رفع الحرج عن المكلفين، وإن فواتها لا يؤدي على مفسدة، وهي تدخل في جميع الواجبات من العبادات مثل: رخص التخفيف: كرخصة المرض والسفر، فقد أجيز الفطر، وقصر الصلاة للمريض والمسافر، وإباحة الصيد والتمتع

---

[189] المجادلة، 58/ 11.

[190] مصطفى كاظم محمود، *دور المقاصد في فهم النص الشرعي*، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلاميّة، بغداد، دون: ط، 2000م، 1430هـ، ص.177.

[191] المائدة، 5/ 90.

[192] ابن عاشور، *مقاصد الشريعة الإسلاميّة*، III، ص.238.

[193] عبد الكرم زيدان، *الوجيز في اصول الفقه*، ص.301.

[194] الشاطبي، *الموافقات*، II، ص.21.

بالطيبات، والحلال في الأكل والشرب واللباس وغيره.[195] فالحاجيَّات يستطيع الإنسان العيش بدونها لكن تحصل المشقة والحرج بفواتها.

ثالثاً: التَّحسينيَّات:

ويُقصَد بها: الأخذ بما يليق من محاسن العادات، ومجانبة الأمور التي لا تأنفها العقول الراجحة، كأخذ الزينة والتطيب وما أشبه ذلك، ومن الأمثلة في العبادات: كالطهارات وستر العورة، وأخذ الزينة، والتقرب بالنوافل والقربات إلى الله، وفي العادات: آداب الأكل والشرب، والتخلق بالأخلاق الفاضلة. وفي المعاملات: منع المتاجرة في النجاسات، وسلب العبد حقه في الشهادة والإمامة، وسلب المرأة منصب الإمامة، والنفقة والنكاح. هذه الأمور كلّها من المُحَسِّنات الزائدة على أصل المصالح الضَّروريّة والحاجيّة، وفقدانها ليس بالضَّروريّ ولا الحاجيّ؛ إنَّما هي من الأمور التَّحسينيَّة.[196] والمصالح التَّحسينيَّة رعتها الشَّريعة الإسلاميَّة في أقسام الدِّين من عبادات ومعاملات وعقوبات. ومقصود ذلك أنَّ الإنسان يأخذ ببعض الأمور التي لا تكون من الحاجيّات، فعدم الأخذ بها لا يُعد ضروريّ ولا حاجيّ؛ إنَّما هو زيادة في الحسن والكمال، لذلك لا تُراعى التَّحسينيّات إذا أدّت إلى خلل في الحاجيّات أو الضَّروريّات، فالحاجيّات مُقَدَّمَةٌ على التَّحسينيَّات فلا يُراعى كشف العورة لغرض التداوي؛ لأنَّ سَتْرَ العَوْرة تحسيني والتداوي من الضَّروريّات، وكذلك الضروريّات يجب أن تُراعى، وعدم الإخلال بها إلا إذا كان الإخلال بضروريّ إلى من هو أهم منه. [197] فالأنواع الثلاثة التي مرَّ ذكرها تكون مرتبة على النحو الذي ذكرناه، فتُقَدَّم الضَّروريّات على الحاجيّات، والحاجيَّات على التَّحسينيَّات.

3.2.1. أقسام المقاصد الشَّرعيَّة

مقاصد الشَّريعة الإسلاميَّة تُقَسَّمُ إلى أربعة أقسام وهي: المقاصد العامّة، والمقاصد الخاصَّة، والمقاصد الجزئية، والمقاصد الكُلِّيَّة.

أولاً: المقاصد العامَّة:

---

[195] نور الدين الخادمي، *علم المقاصد الشرعية*، ص.87.

[196] الشاطبي، *الموافقات*، II، ص.22-23.

[197] عبد الوهاب خلاف، *علم أصول الفقه*، مكتبة الدعوة، القاهرة، ط: 8، ص.207.

والمُراد بالمقاصد العامّة: هي الغايات والأهداف التي جاءت بها الشريعة الإسلاميّة، وقد دلّت على ذلك آيات القرآن الكريم، كما في قوله –I–: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾،[198] فالمقصد العام من خلق الإنسان: هو العبودية لله –I–، وكذلك الهدف الآخر من خلق الإنسان: هو خلافة الله –I– في الأرض، كما جاء في قوله –I–: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾،[199] وهذه الخلافة تكون عليها مستحقّات يجب القيام بها، فالمقصد العام والأعلى للشريعة الإسلاميّة: هو تحقيق خلافة الإنسان لله –I– من خلال إعماره الأرض التي أنزله الله –I– عليها، ويسّر له كل مستلزمات الإعمار من النواحي الماديّة والروحية، فلذلك وجب على الإنسان السعي لإعمار الأرض، والعمل على كل ما يساعد على ذلك، فالمقصد العام للشريعة الإسلاميّة هو إعمار الأرض، وحفظ نظامها السلمي التعايشي، وبقاء صلاحها والمُسْتَخْلَفين فيها وقيامهم بأداء واجباتهم التي كلّفوا بها من إقامة العدل واستقامته. فمجموع الآيات القرآنيّة تُبَيِّن لنا الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب والشرائع، من أجل إرشاد الناس لِمَا فيه فلاحهم، ويكون ذلك بمصدر العدالة الذي يكمن في الشريعة الإسلاميّة.[200] من أجل ذلك شُرِّع الجهاد الذي يكون سببا في قوّة الأمة وحفظ كيانها وأراضيها، وأن تكون مرهوبة الجانب قادرة على الدفاع عن نفسها، حتى لا تكون مَطْمَعاً لكُلِّ مَن هَبَّ وَدَبَّ، فالأمَّة التي لا تكون لها قوة لا تَهابُ منها الدول الطامعة فيها.[201]

والقتال قد يكون ضاراً إذا كان فيه شَقٌّ لعصا الأمّة، وقد يكون نافعاً إذا كان للذَّبِّ عن الدِّين والمُعْتَقَد وَرَدْعِ العدو، كما جاء في قوله –Y–: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾،[202] فكان قتال هؤلاء جزاءا لهم لأنَّهم أرادوا الفساد في الأرض.[203] ومن مقاصد الشَّريعة العامَّة: أنَّها تَمْتازُ بالاعتدال والتوسّط بين التضييق والتساهل،[204] قال –I–: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾.[205] والذي يَسْتَعْرِضُ مواد

---

[198] الذاريات، 51/ 56.

[199] البقرة، 2/ 30.

[200] علّال الفاسي، *مقاصد الشريعة ومكارمها*، ص.45–47.

[201] عمر محمد جبه جي، *مقاصد الشريعة الإسلاميّة أهميتها وأقسامها*، الإمارات، دون: ط، ص.214.

[202] المائدة، 5/ 33.

[203] ابن عاشور، *مقاصد الشريعة الإسلاميّة*، ص.251.

[204] ابن عاشور، *مقاصد الشريعة الإسلاميّة*، ص.268.

[205] البقرة، 2/ 143.

التَّشريع الإسلامي يتبيَّن له أنَّ المقصد العام: هو المحافظة على نظام الأمَّة، واستبقاء صلاحيته بصلاح القائم عليه وهو الإنسان، مُتَمَثِلاً بصلاح عقله وعمله، وما بين يديه من الموجودات في العالم الذي يعيش فيه.[206] جاء في قوله –I–: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللّهِ﴾.[207] وأنَّ المقصد العام من بعثة الأنبياء والرُّسُل: هداية الناس إلى البِّر والخير، وتزكيتهم من الأَرْجَاس والأَدْناس، وفَكِّ القيود والأغلال التي كانت عليهم وتزكيتهم، وتطهيرهم من المُعْتَقَدات الفاسدة والأفعال العُدْوانيَّة، وهذه كلها من مقاصد الشَّريعة الإسلاميَّة العامَّة. والقرآن الكريم عَلَّلَ بعثة النَّبيِّ –ε– في مواضع عدّة في القرآن الكريم، منها قوله –I–: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.[208]

ومن مقاصد الشَّريعة الإسلاميَّة التي من أجلها أُرْسِلت الرُّسُل وأُنْزِلَت الكتب: هي تشريع الأنظمة والقوانين لتصحيح عقائد وتصورات الناس في كُلِّ أحوالهم من عبادات ومعاملات وأحكام جنائية، وإنقاذ البشر من الذين تَسَلَّطوا عليه وسَلَبُوا حَقَّ الله –I– في العبودية للبشر، وتحقيق مبدأ العبودية الخالصة لله –I– سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أو الجماعات.

ثانياً: المقاصد الخاصَّة:

هي الغايات التي تهدف الشَّريعة الإسلاميَّة إلى تحقيقها في مجال واحد من مجالات التشريع الإسلامي، ومنها على سبيل المثال: أحكام العائلة، والتصرفات المالية، والمعاملات المعقودة على الأبدان مثل: العمل والعمال، وأحوال القضاء والشهادة.[209] وإنَّ مجيء الشريعة الإسلاميّة كان رحمة للعالمين، للحفاظ على ما يحتاجون إليه من مصالح. فالقرآن الكريم راعى تلك المصالح التي لم تأت شريعة سماويّة ولم تنزل القوانين ألا لخدمتها والحفاظ عليها؛ لأنَّ قوام أمر الدِّين والدنيا عليها.[210] فهذا الأمر هو من خصائص ومُمَيِّزات الشريعة الغرَّاء، التي كانت تحمل التيسير في طيّاتها، ولا تُوجَد حالة خاصّة أو عامَّة إلا وُجِدَ التشريع المناسب لها، ومصالح الناس الخاصّة والتي تحفظ في اكتسابها بالأفراد، أو المجموعات من دون انخرام في

---

[206] ابن عاشور، *مقاصد الشريعة الإسلاميّة*، ص.273.

[207] هود، 11/ 88.

[208] البقرة، 2/ 151.

[209] أحمد الريسوني، *نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي*، ص.8.

[210] محمّد فهمي علي أبو الصفا، *التشريع الإسلامي صالح للتطبيق في كل زمان ومكان*، الجامعة الإسلاميّة المدينة المنورة، ط: 10، 1397هـ، 1977م، ص.105.

تلك المقاصد، وحفظ حقّ من كان به ضعف مثل بيت المال، والصغير الذي يحتاج إلى حضانة، والقاصر، وغير ذلك.[211] وأيضاً راعت الشريعة الإسلاميّة المقاصد التي تخصّ مجالاً واحداً من مجالاتها، أو فرداً من المجتمع، لتطبيق حكم شرعي خاص به، تبعاً لحالته والتي تحتاج للتيسير في أمره.

ثالثاً: المقاصد الجزئية:

ينبغي أن يُعْلَم بأنَّ الشَّريعة الإسلاميَّة راعت المقاصد أو الأهداف الجزئيّة فيها فجعلت تشريعات خاصَّة بهذه الأحكام، لانتظام الشَّريعة وعدم الإخلال بجزئيّاتها. والمقصود بالمقاصد الجزئية: هي الأحكام الجزئية الخاصّة بأحكام شرعيَّة فرعيَّة، والعائدة على بعض الناس بالنفع والخير ومثالها: الانتفاع بالبيع.[212] وأيضا الرَّهن والقصد منه التوثيق، والنكاح والقصد منه تثبيت وثاق المؤسّسة العائليّة وحمايتها، والطلاق والقصد منه رفع الضرر المستمر. والفقهاء هم أكثر من يعتني بهذا القسم من أقسام مقاصد الشريعة الإسلاميّة، وقد أشاروا إليها بمصطلحات أخرى مثل الحكمة أو المعنى أو غير ذلك.[213] ويتبيّن لنا أنَّ للشَّريعة مقاصدَ عامّة، هي أشبه بالخطوط العريضة للأحكام، مثل: المقاصد العامّة لشريعة الإسلام في التيسير والتخفيف عن الأمَّة، وعدم التضييق وسدّ منافذ السعة التي جاءت بها الشريعة السمحاء، مُسْتَنِدَة إلى حديث النَّبيِّ –ε– فيما رواه أنس بن مالك، عن النَّبيِّ –ε–، قال: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلَا تُنَفِّرُوا»،[214] لا كما يُصَوِّرُه بعض المنتسبين إلى الإسلام أنَّه دِين تضييق على الحُريِّات والتَّصَرُّفات جميعها؛ إنَّما هو في الحقيقة دِينٌ صالحٌ للتعايش في جميع الأمكنة والأزمنة، وقابل للتجديد وملائمة كلّ الطبقات من الناس، وهذا من مُمَيِّزات الشريعة الإسلاميّة، التي جعلها الله خالدة إلى يومنا هذا، وأنَّ الواقع للوجود الإنساني يُثْبِتُ أنَّ دين الإسلام هو دين للإنسانيّة؛ شريعة وعقيدة، فمنذ أن بُعِثَ النَّبيُّ –ε– وإلى قيام الساعة يبقى هو خير وأحسن وأكمل دين، فبعث الله –Y– خير وأفضل الرسل وخاتمهم، فلا نبيَّ بعده، ولا دِينَ غير دِينِ الإسلام.[215]

---

[211] ابن عاشور، *مقاصد الشريعة الإسلاميّة*، III، ص.405.

[212] نور الدين الخادمي، *علم المقاصد الشرعيّة*، ص.193.

[213] أحمد الريسوني، *نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي*، ص.8.

[214] البخاري، محمّد بن إسماعيل أبو عبدالله، *صحيح البخاري*، تح: محمّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط: 1، 1422هـ، 69، باب فضل العلم

[215] أحمد بن عبد الغفور عطار، *أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة*، مكة، دون: ط، 1400هـ، 1980م، ص.20.

رابعا: المقاصد الكليَّة:

وُجِدَت مقاصد ومعان رعتها الشَّريعة الإسلاميَّة لملائمة كل الظروف التي يمرّ بها الإنسان من حالات يسر أو عسر، وهذا هو من الأمور التي ميّزت الشريعة الإسلاميّة عن غيرها من الشرائع، حيث راعت أحوال ومتطلبات الناس، ولم تَهْمِل شيئاً صغيراً كان أم كبيراً، ومن هذه المقاصد هي المقاصد الكلية: التي تعود إلى عموم الأمة كافة أو أغلبها، ومثالها: حفظ النظام، وحماية القرآن والسنة من التحريف والتغيير، وتنظيم المعاملات، وبث روح التعاون والتسامح، وتقرير القيم والأخلاق.[216] وتضمن القرآن الكريم في آياته المقاصد الكلية للتشريع التي يقصدها في مختلف نصوصه، والأحكام التي جاءت بها السنة النبوية لا تعدو هذه المقاصد، لأن القرآن جاء بما يكفل مصالح العباد في الدارين.[217] المقاصد الكلية راعتها الشريعة الإسلامية كما رعت المقاصد الأخرى، وهذا من خصائص دين الإسلام الذي يعتبر النظام الشامل المتكامل لجميع مرافق الحياة.

4.2.1. أهمية المقاصد الشَّرعيَّة

مِمَّا لا شكَّ فيه أنَّ الله –Y– عندما شَرَّعَ القوانين والأحكام، جاءت وِفْقاً لمتطلبات الإنسان واحتياجه في حياته؛ لأنَّ الله خالق البشر وهو وحده عالم بما ينفعهم وبما يضرهم، فَهَيَّأ لهم كل مستلزمات القوة والبقاء من أجل إعمار الأرض والخلافة فيها، فتشريع الأحكام أساسه مبني على المصالح للإنسان، ولم يُشَرِّع الله –Y– حُكْماً على الإطلاق إلا وكانت المصلحة والمنفعة فيه، سواء أكانت ظاهرة جليّة أم مخفيّة في طياتّه، وذكر ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ) في كتابه "مفتاح دار السعادة": أنَّ المقاصد النافعة للإنسان تضمّنتها آيات القرآن الكريم الدالة على هذا الأمر، فجاءت الآيات وفقاً للمصالح المرجوة لهم لتتحقّق السعادة في الدارين، فالقرآن الكريم مليء بحكم الأمر والخلق من المنافع والمصالح، وآياته الشاهدات دلّت على ذلك، ومن تمكن من النظر إلى القرآن الكريم ومعانيه وجد ذلك واضحا كوضوح الشمس في رابعة النهار، والله –Y– عندما خلق الإنسان جعل ذلك في فطرته عدم استواء المتضادّات، فلا يستوي العدل والظلم عنده، وكذلك لا يستوي الصدق والكذب، ولا الإحسان والإساءة، وإذا

---

[216] نور الدين الخادمي، *علم المقاصد الشرعية*، ص.74.

[217] الشنقيطي، أحمد بن محمود بن عبد الوهاب، *خبر الواحد وحجيته*، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط: 1، 1422هـ، 2002م، ص.87.

نظرنا إلى الشَّريعة الغرَّاء وجدناها لا تخلو من الحكم ومصالح العباد والعدل والرحمة؛ لأنَّ الذي خلق الإنسان عَلِمَ ما يُصْلِحُ به عباده ويُسعده.[218]

وذكر لنا الإمام الشاطبي في "الموافقات": أنَّ علم المقاصد الشَّرعيَّة يستحق أن يُطْلَق عليه اسم علم اقتصاد الشريعة؛ لأنَّه يستثمر وِفْقاً لِمَا جاء به من معرفة الغايات التي من جنس أحكامها ومقاصدها والتي تؤدّي إلى الحفاظ على العالم ونظامه، وبهذا العلم يتمّ معرفة الحكمة التي من أجلها شُرِّعَت الأحكام في كلّ جزئيّة من أحكام الشريعة.[219] وكذلك العلم بالمقاصد والغايات يساعد على معرفة دلالة النصوص وتفسيرها، وتحديد معرفة معاني مدلولات الألفاظ؛ لأنَّ العبارات تتعدَّد مدلولات ألفاظها، وتُحَدَّد من قِبَلِ المقاصد الدَّالة على ذلك.[220] وأنَّ المقاصد الشَّرعيّة تعمل أيضاً على تحقيق المصلحة دون الخروج عن مقاييس الإسلام لمعرفة المصلحة الحقيقية من المصلحة المتوهمة، والمقاييس التي وضعها الإسلام هي أمر في غاية الأهمّية، وذلك لعدم الوقوع في الفوضى لمدلولات كلمة المصلحة، والذي يفهمه كل حسب تصوّره، وفكره، ومنهجه، وعدم اعتبار هذه المقاييس هو الذي أوقع الأمَّة في الصِّدام.[221] وكذلك فإنَّ فَهْمَ مقصد الآيات القرآنيّة يُعِين مُفَسِّرَ القرآن على توجيه النص القرآني الوجهة الصحيحة من خلال فَهْمِ مراد الله –Y–، فمقصد الآية من جعل الناس شعوباً وقبائل: هو التعارف فيما بينهم، وليس للتفاخر والتناحر، وأنَّ الميزان الذي يُوزَن به الناس عند الله، هو ميزان التقوى، والتي على أساسها تكون مرتبة العبد عند ربه، وكما جاء في قوله –I–:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.[222] فالغاية من جعل الناس شعوبا وقبائِلَ هي التعارف بينهم في النسب، ولِيَعْرِفَ بعضهم بعضاً في قُرْبِ القرابة منه وبُعده، لا أن يتفاخر بعضهم على بعض في النسب، وإنَّما ميزان التفاضل بين الناس التقوى.[223] وهنالك فوائد وأغراض كثيرة لمعرفة المقاصد الشَّرعيَّة نذكر منها:

---

[218] ابن قيم الجوزية، محمّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، *مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة*، تح: عبدالرحمن بن حسن بن قائد، دار علم الفوائد، مكة المكرمة، ط:1، 1432هـ، II، ص.22.

[219] الشاطبي، *الموافقات*، I، ص.2.

[220] عمر محمّد جبه جي، *مقاصد الشريعة الإسلاميّة*، ص.33.

[221] علّال الفاسي، *مقاصد الشريعة الإسلاميّة ومكارمها*، ص.193.

[222] الحجرات، 49/ 13.

[223] الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير، *جامع البيان في تأويل القرآن*، تح: أحمد محمّد شاكر، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ط: 1، 1420هـ، 2000م، XXII، ص.312.

1. اظهار حكم وأسباب تشريع الأحكام الكليّة والجزئيّة، عمومها وخصوصها في أغلب صنوف الحياة، وفي ضروب الشريعة المختلفة.[224]

2. مساعدة الفقيه وفقاً لمقاصد التشريع، وإعانته على استنباط الأحكام وفهمها وتحديدها وتطبيقها.[225]

3. أنَّ المقاصد من الأفعال هي لتبين الحكم عليها، فالسجود إن كان يُقْصَد به للَّه –Y–، فهو إيمان، وإن كان لغير الله –Y–، فهو كفر.[226]

4. العلم بالمقاصد من الأفعال التي تُعِين المُكَلَّف على أداء الواجب الشَّرعي على أتمّ وجه؛ إذ إنَّه إذا عَلِمَ أنَّ المقصد من الحجّ، هو إظهار أخلاق الإسلام التي تدعو إلى التَّمثُّل الكامل بالأخلاق الفاضلة، سيكون ذلك أدعى أن يُعمَل للحصول على أعلى المراتب من الأجر الجزيل للحجّ المبرور.[227]

5. نظريّة المقاصد، تجد سندها القريب فيما نطقت به النصوص القطعيّة، ثبوتا ودلالة، من تعليلات إرسال الرسل وإنزال الكتب وشرع الشرائع، وهي تعليلات تنبؤنا أنَّ الله –Y– إنَّما أراد بهذا كلّه الرحمة للعالمين، وتزكية الناس وتعليمهم، وإقامة القسط بينهم، وحفظ فطرتهم في إيمانها ومكارم أخلاقها.[228]

6. تُساعِد على بناء عقليّة الفقيه الذي يحاول الغوص في بحار الشريعة الإسلاميّة، للوقوف على الحكم والغايات التي شُرِّعَت لها الأحكام التي لا يكتفي بظاهر النَّص منها، وإنَّما يحاول أن يستخرج الأحكام من أدلتها التفصيلية لأنَّ الله الحكيم لم يخلق شيئاً عبثاً؛ إنَّما خلق كلّ شيء لحكمة، وكذلك لم يُشَرِّع شيئاً إلا لحكمة.[229] العلم بالمقاصد يساعد على التقليل من الاختلاف والنزاع الفقهي، والتعصب المذهبي، وذلك باعتماد علم المقاصد في عملية بناء الحُكم، وتنسيق الآراء المختلفة، ودرء التعارض بينها، فمن خلال فهم الغاية والمقصد للحُكم يستطيع الفقيه والمشرّع أن يضع الحكم الشرعي وفقاً لغاية الحكم ومقصده.

---

[224] نور الدين الخادمي، *علم المقاصد الشرعيّة*، ص.51.

[225] ابن بن عاشور، *مقاصد الشريعة الإسلاميّة*، ص.9.

[226] الشاطبي، *الموافقات*، III، ص.9.

[227] نور الدين الخادمي، *علم المقاصد الشرعيّة*، ص.51.

[228] أحمد الريسوني، *نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي*، ص.17.

[229] القرضاوي، *دراسة في فقه المقاصد الشرعيّة*، ص.11.

5.2.1. طرق الكشف عن المقاصد الشَّرعيَّة

المقاصد الشَّرعيَّة يمكن الوصول إليها بطرق عدّة، ومن هذه الطرق التي ذكرها الشاطبي:-

أولاً: فَهْمُ اللغة:

الوصول إلى مقاصد الشارع من خلال فَهْمِ لغة اللسان التي أُنْزِلَ القرآن بها، وهو اللسان العربي، كما قال -I-: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾،[230] يعني أنه أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة، وأساليب معانيها، وأنها فيما فطرت عليه من لسانها، فهي تخاطب بالعامّ تريد به ظاهره على وجه، والخاصّ على وجه، والظاهر تريد غير ظاهر، وهذا كلّه يُعرَف من أوّل ما تخاطب به، أو وسطه، أو آخره، وكلام تتكلم به يخبر أوله عن آخره، أو بالعكس، ويُعرَف الشيء بالمعنى مثلما يُعرَف بالإشارة، واسم الواحد يُسمَّى بأسماء كثيرة، والأسماء الكثيرة تُسمَّى باسم واحد، وهذا معروف كله في أساليب اللغة العربية،[231] وإن النصوص تُفهَم من خلال ظاهر الكلام الذي يُفهَم المقصود منه؛ لأنَّ اللغة جاءت للتفاهم بين الناس، وأصل الكلام مقصوده إلى ما يُشار إلى أذهان الناس ومعانيه التي تكون في طياته، فإن الأصل فيه أن يُحمل على ما يتبادر إلى الأذهان من معانيه، وهو الظاهر، إلا إذا كانت هنالك قرينة تصرف النص عن ظاهره،[232] وبما أنَّ معرفة اللغة العربية ومعرفة أسرارها هي العنصر الأول في معرفة المقاصد والغايات للخطاب الشرعي، فإنَّ المعاني هي التي يتم التركيز عليها واستخلاص الأحكام منها، والمعاني هي مقصود الخطاب الشرعي المبثوثة فيه؛ لأنَّ العرب كانت تعتني بالمعاني، وجاءت الألفاظ من أجلها،[233] وجاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾،[234] ففي هذا النَّص دلالة تحريم التأفف للوالدين واضحة الدلالة، تُفْهَم من خلال الألفاظ التي جاءت بها اللغة، وكذلك فإنَّ الحُرْمَة تَثْبُت في سائر أنواع

---

[230] يوسف، 12/ 2.

[231] الشاطبي، *الموافقات*، II، ص.103.

[232] نعمان جغيم، *طرق الكشف عن مقاصد الشارع*، دار النفائس، عمان، ط:1، 1435هـ، 2014م، ص.60.

[233] الشاطبي، *الموافقات*، II، ص.74.

[234] الإسراء، 17/ 23.

الكلام، ويُتوصَّل بها إلى فَهْمِ مُرادِ النَّص لِمَن كان له نظر في اللغة سواء أكان فقيها أم غير فقيه.[235]

ثانياً: الرَّبْط بين نصوص الشَّريعة:

يمكن الوصول إلى المقاصد الشَّرعيَّة من خلال الربط بين نصوص الشَّريعة وأحكامها بعضها البعض، فمن أراد أن يفهم مقاصد الشَّريعة، عليه أن يربط بين نصوصها لا أن ينظر إليها وهي مُجزَّئَة، فإنَّ الشريعة جاءت وِحْدَة مُتكامِلَة في العبادات والمعاملات والجنايات والأحكام. والفقيه عليه أن يربط بين هذه الأحكام ليتوصل إلى مراد النصوص، وينبغي أن يُراعى فَهْم النصوص الشَّرعيَّة من خلال ربطها بالواقع وما تقتضي المصلحة للعباد؛ لأنَّ الشريعة جاءت لكل الأزمنة والعصور، فهي ملائمة لكل الأوقات، ويُوجَد علاج لكُلِّ حالة من حالاتها في صيدليّتها الواسعة، فما أنزل الله من داء إلا وأنزل معه الدواء، والإسلام وصل إلى كل الحضارات القديمة، فلم يعجز لقضية، ولم ييأس من حلّ مشكلة، بل وجد الفقهاء ما يصلح أحوال الناس ويسعد حياتهم.[236] إنَّ الرَّبْط بين أجزاء الشَّريعة الإسلاميَّة في غاية الأهمية وذلك للوصول إلى استنباط الأحكام الشَّرعيَّة التي تكون متوافقة مع منهج الدِّين الإسلامي للوصول إلى الغايات والحكم العظيمة في التشريع من خلال ربطها بالواقع؛ لأن الشريعة كلها عدل، ورحمة، وحكمة، ومصالح.

ثالثاً: معرفة تعليل الأحكام الشَّرعيَّة:

من الطرق التي تساعد الوصول إلى المقاصد الشَّرعيَّة، معرفة تعليل الأحكام الشَّرعيَّة، وهذه العلل إما أن يكون الشارع قد نص عليها صراحة في نصوصه وأحكامه، وإما أن يكون قد ترك استنباطها للمجتهد من خلال القرائن اللفظية والمعنوية والعقلية، ودلالة النص: هي أهم كاشف لما يقصده الشارع في خطابه، فإنها تبين مراد الشارع من خلال تعليلها للأحكام وذلك كأن يقال: لعلة كذا، أو لسبب كذا، أو لأجل كذا. وجعلها الآمدي (ت: 631هـ) خمسة: اللام، والكاف، ومن، وإن، والباء، وزاد البعض، أن، والفاء، ولعل، وإذا، وحتى. كما جاء في قوله – I–: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ

---

[235] السرخسي، محمّد بن أحمد بن أبي سهل، *أصول السرخسي*، تح: أبو الوفا الأفغاني، دار المعرفة، بيروت، ط:1، 1414هـ، 1993م، ا، ص.242.

[236] القرضاوي، *دراسة في فقه المقاصد الشرعيّة*، ص.149.

وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾،[237] والعِلَّة جاءت مُنَبِّهَة لاستنباط الأحكام،[238] وقوله –I–: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾،[239] فالآية صريحة في أن المقصد من تكليف الرسل بتبليغ الوحي الإلهي إلى الناس هو جعل ذلك الرسول وسيلة لبيانه، والبيان هنا بمعناه الواسع الذي يكون بالقول والفعل والقدوة، حتى يسهل على الناس فهم الوحي الإلهي والتزامه في واقع الحياة، وقوله –I–: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾،[240] دلت الآية على أن المقصد من ابتلاء المؤمنين بالحرب، ونقص الأموال والأنفس والثمرات، هو تمحيص إيمانهم ليتميز الصادق من الكاذب.[241] وتمّ استدلالنا على المقاصد في سورة محمد من خلال تعليل بعض الآيات فتوصلنا إلى استنباط الأحكام منها، كما سيأتي ذكرها.

2. دراسة موضوعية تطبيقية للمقاصد الشَّرعيَّة الخاصّة بأحوال الكافرين والمنافقين في السورة

هذا الفصل يَتَضَمَّن دراسة موضوعيّة حول المقاصد الشَّرعيَّة وتطبيقاتها الخاصّة بأحوال الكافرين والمنافقين، التي تضمَّنتها سورة مُحَمَّد–ε–، ويتكون من مبحثين، الأول: المقاصد الشَّرعيَّة في أحوال الكافرين والثاني: المقاصد الشَّرعيَّة في أحوال المنافقين.

---

[237] الحشر، 59/ 7.

[238] الغزالي، *شفاء الغليل*، تح: أحمد الكبيسي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط:1، 1390هـ، 1971م، ص.24.

[239] النحل، 16/ 44.

[240] محمد، 47/ 31.

[241] نعمان جغيم، *طرق الكشف عن مقاصد الشارع*، ص.153–156.

1.2. المقاصد الشَّرعيَّة وتطبيقاتها المتعلّقة بأحوال الكافرين

في هذا المبحث سنبين أبرز المقاصد الشَّرعيَّة التي جاءت في سورة مُحَمَّد–ε– التي تضمَّنت وصف الكافرين وأعمالهم التي استحقوا عليها العقوبة من الله–I–. فالكفر هو الذي يُخْرِجُ من ملة الإسلام، ويُخَلِّدُ صاحبه في النار، والكافر: هو من أنكر معلوماً من الدِّين بالضرورة، كأنَّه أنكر شيئاً من خلق الله تعالى، ومن شَبَّهَ الله بأحد من خلقه في صفاته، أو أنكر صفة من صفات الله التي سمَّى الله بها نفسه، أو أنكر أنَّ القرآن كلام الله فقد كفر، ومن كان عالماً في قلبه أنَّ الله واحد، وأنَّ هذا الدِّين حَقٌّ، ولم ينطق بها لسانه تَكَبُّراً وعناداً وجحوداً فهو من الكافرين.[242] والكفر يكون على أقسام:

القسم الأول: كفر الإنكار والتكذيب:

الإنكار ضد الإقرار وهو إنكار شيء مع العلم به.[243] ودليل ذلك قوله –Y–: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾.[244] ومعنى الآية: أنَّ الجاحدين بالحجج والبراهين التي تدلُّ على توحيد الله وربوبيته، وبما جاءت به الرُّسُل والأنبياء من الآيات الشاهدات على ذلك، سيكون مصيرهم الخلود في نار جهنم.[245] وقال أبو بكر الباقلاني (ت: 403هـ): الكفر ضد الإيمان، وهو جهل باللّه تعالى، وهو المُغَطي للقلب من معرفة الحق، ويأتي الكفر بمعنى: التكذيب، والجحود، والإنكار، وعبادة غير الله.[246] وهذا هو القسم الأول من أقسام الكفر والذي مارسة المشركون في بداية دعوة النبي–ε– عندما قابلوه بالإنكار والتكذيب.

---

[242] الأذرعي، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الصالحي الدمشقي، *شرح العقيدة الطحاوية*، تح: شعيب الأرنؤوط، عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 10، 1417هـ، 1997م، ا، ص.85. الجويني، إمام الحرمين أبي المعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني، *العقيدة النظامية في الأركان الاسلامية*، تح: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، دون: ط، 1412هـ، 1992م، ص. 84–85.

[243] البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي، *التعريفات الفقهية*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1424هـ، 2003م، ص. 37،69.

[244] النمل، 27/ 14.

[245] الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، ا، ص.552.

[246] أبو بكر الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي المالكي، *تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل*، تح: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ط: 1، 1407هـ، 1987م، ص.394.

القسم الثاني: كفر الاستكبار:

الاستكْبارُ: "الِامْتِنَاع عَن قبولِ الحقِّ معاندةً وتكَبُّراً".[247] ودليل ذلك قوله –Y–: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.[248] "والمراد من الذين كفروا هم أهل الكتاب، وكانت لهم أعمال قبل الرسول فأحبطها الله تعالى بسبب تكذيبهم الرسول ولا ينفعهم إيمانهم بالحشر والرسل والتوحيد، والكافر المشرك أحبط عمله حيث لم يكن على شرع أصلا ولا كان معترفا بالحشر".[249] الاستكبار خطره كبير؛ لأن إبليس وصفه الله أنه من الكافرين، فهو لم ينكر وجود الله، بل استكبر من تحية آدم عليه السلام، فكانت نتيجته أنه أصبح من الكافرين.

القسم الثالث: كفر الشكّ:

الشك: "هو التردُّد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك"،[250] وكفر الشك وهو كفر الظن،[251] والدليل قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾.[252] الشك نوع من أنواع الكفر؛ لأنه ضدَّ الإيمان والذي يعني التصديق بأن الله موجود، وهو واحد لاشريك له، ودينه حق، وكل ما نطق به رسوله حق وإلا فلا يكون هنالك إيمان، بل يكون الكفر.

القسم الرابع: كفر الصدّ والإعراض:

---

[247] أبو منصور، محمّد بن أحمد بن الهروي، *تهذيب اللغة*، محمّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 2001م، X، ص.121.

[248] البقرة، 47/ 34.

[249] الرازي، أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، *مفاتيح الغيب*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 3، 1420هـ، XXVIII، ص.60.

[250] البركتي، *التعريفات الفقهية*، ص.124.

[251] النجدي، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، *الرسالة المفيدة*، تح: محمد بن عبد العزيز المانع، رئاسة إدراة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ص.454.

[252] الكهف، 18/ 35.

وهو أن يعرض عن الحق فلا يسمعه ولايقبله. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾،[253] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾،[254] بعد أن أُقِيمَ الدليل على خلق السموات والأرض وما بينهما من قبل الله –Y–، أعرض الكافرون، فكان هذا الإعراض سبباً في كفرهم وصَدِّهِم عن الدِّين.[255] أعرضوا عن إنذار القرآن لهم، ولم يتفكروا فيما شاهدوه من الحكمة لنظام العالم، فلم يتعظوا بسماعهم الوحي، ولم يعتبروا بالنظر في العلم المشهود.[256] وقد يكون صاحب هذا القسم جرمه عظيم؛ لأنه لم يكتفي أنه كفر، بل قام بصدِّ من أراد أن يدخل في الإسلام.

القسم الخامس: كفر النِّفاق:

النفاق: هو ستر الرجل كفرَه بقلبه وإظهاره إيمانَه بلسانه فهو منافقٌ،[257] ودليل ذلك قوله –Y–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿25﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (26﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿27﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.[258] المنافقون في الظاهر مؤمنون، وذلك عندما يرون المؤمنين فيُقِرُّون لهم بالإيمان، وفي سرائرهم يخفون الكفر وخاصّة عندما يلتقون بالمشركين، فطبع الله وختم على قلوبهم بتصرفهم هذا.[259] وللكفر أضرار يتسبب بعدة عقوبات منها:

1. الكفر يُسَبِّب لصاحبه اللعنة والخلود في النار لقوله –Y–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿161﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾.[260] الذين كفروا وماتوا على الكفر؛ فإنَّ اللعنة تستمر معهم حتى الممات وإلى يوم القيامة، وتصاحبهم في دخولهم النار، فلا يُخفَّف عليهم من عذاب نار جهنم ولا ساعة واحدة، ولا ينقص من عذابهم، بل هو دائم مستمر متواصل، ولا يختلف أحد في جواز

---

[253] محمد، 47/ 34.

[254] الأحقاف، 46/ 3.

[255] الزجاج، *معاني القرآن وإعرابه*، IV، ص.437.

[256] المراغي، *تفسير المراغي*، XXVI، ص.4.

[257] البركتي، *التعريفات الفقهية*، ص.230.

[258] محمد، 47/ 25–28.

[259] الخازن، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، IV، ص.297.

[260] البقرة، 2/ 61–62.

لعن الكافر، وكان عمر والأئمة من بعده يلعنون الكفار في القنوت وغيره.[261] وقوله –Y– بحقٍّ الذين كفروا من بني إسرائيل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.[262] طُرِدَ الذين كفروا من بني اسرائيل، من رحمة الله ومن مرتبة العِزَّة التي كانوا بها، وعلى لسان أنبيائهم داود وعيسى لأنَّهم عصوا الله –Y– ولم يمتثلوا لأوامره، وينتهوا عن نواهيه، وكانوا في أنفسهم يتجاوزون ويعتدون، ولا ينهى بعضهم بعضاً عن المنكرات التي كانوا يفعلونها، فبذلك استحقوا الطرد واللعن، وجلبوا لأنفسهم أنواع العذاب والنكال.[263]

2. عدم قبول توبتهم، قال –Y–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾.[264] ففي هذه الآية فيها أربعة تأويلات: الأول: قول قتادة: أنَّهم اليهود لَمَّا كفروا بعيسى وازدادوا كفرا بمحمّد –عليهما السلام– فلن تُقْبَل توبتهم عند موتهم، والثاني: قول أبي العالية: هم أهل الكتاب، لن يَقْبَل الله توبتهم، وذلك لذنوب اقترفوها مع كفرهم، والثالث: قول ابن عباس: إنهم قوم ارتدوا بعد إسلامهم ثمَّ استخدموا التورية بإظهارهم التوبة مع عزمهم على كفرهم، فأخبر الله –Y– نبيَّه على سرائرهم، والرابع: قول الحسن: هم اليهود والنصارى لَمَّا آمنوا بالنَّبيِّ قبل بعثته، وكفروا به بعدما بعث، وازدادوا به كفرا حتى موتهم[265]. إن الذين كفروا بعد أن منّ الله عليهم بالإيمان، وآثروا الحياة الدنيا على الآخرة، واتباع أهوائهم على مُراد الله –Y– وأنكروا على أهل الإيمان، وغرقوا في ظلماتهم، لن يقبل الله توبتهم، فلا تُقْبَل الأمانة بعد ظهور الخيانة، وأولئك قد ضلوا عن طريق الحقِّ.[266]

---

[261] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري، *تفسير القرآن العظيم*، تح: سامي بن محمّد سلامة، دار طيبة، الرياض، ط: 2، 1420هـ، 1999م، ا‌ا، ص.473.

[262] المائدة، 5/ 78.

[263] النخجواني، نعمة الله بن محمود، *الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية*، دار ركابي للنشر، مصر، ط: 1، 1419هـ، 1999م.، ص.202.

[264] آل عمران،3/ 90

[265] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمّد بن محمّد بن حبيب، *تفسير الماوردي، النكت والعيون*، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، دون: ط، ا، ص.408.

[266] القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، *تفسير القشيري*، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط: 3، ا، ص.258.

3. استحقاقهم العذاب الأليم، قال –Y–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.[267] الآيات المقصودة في هذه الآية، هي بعثة النبي محمّد –ε– والقرآن، فالذين كذَّبُوا بها سيدخلهم الله –Y– نار يصليهم بها، ومن شدّة العذاب أنَّ جلودهم تَتَبدَّل في النار ليذوقوا العذاب الأليم، فالمقصود تعذيب الأبدان وإيلام الأرواح.[268]

4. إصابتهم بالرُّعب والخوف، قال –Y–: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿12﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿13﴾ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾.[269] الذين يخالفون أوامر الله ورسوله، تصيبهم الذلة والهوان والخوف والهلع الشديد بسبب إعراضهم وصَدِّهِم عن سبيل الله، وسينالهم العذاب الشديد يوم القيامة.

5. الدعاء يوم القيامة على أنفسهم بالويل، قال –Y– على لسانهم: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.[270] يوم القيامة يَدْعُو الكفّار على أنفسهم ويتلاومون أنَّهم كانوا في غفلة من هذا الأمر، بل يصفون أنفسهم أنَّهم كانوا ظالمين، ويُخْبِرُهُم الله –Y– أنَّهم سيكونون حطب لجهنم هم وما يعبدون غير الله.[271]

6. ومن آثار الكفر: أنَّ الكافرين يُصابُون باليأس من رحمة الله –Y–، حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[272]

7. يجعل الله –Y– أعمالهم ضلالاً على غير هدى ورشاد، قال –Y–: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿8﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.[273] والكافرين بسبب كفرهم استحقُّوا التوبيخ والتقريع من قبل الله –Y– فالتعس هو العثار والهلاك الذي

---

[267] النساء، 4/ 56.

[268] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، V، ص.254.

[269] الأنفال، 8/ 12–14.

[270] الأنبياء، 21/ 97.

[271] النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمّد بن حسين، *غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1416 هـ، V، ص.54–55.

[272] العنكبوت، 29/ 23.

[273] محمّد، 47/ 8–9.

يصيبهم، وكفار قريش يُصابُون بمثل ما أصاب أسلافهم من الدَّمار والهلاك.[274] فقد حصل الطَّبْع من قبل الله –Y– على قلوبهم، بسبب اجترائهم على النِّفاق الذي هو من الكبائر بل أكبرها، حتى تَمَرَّنُوا عليه واستحكموا فيه، فأصبحوا لا يُمَيِّزون بين الحقِّ والباطل وبين الصواب والخطأ لأنَّ قلوبهم قد ختم الله عليها.[275]

إنَّ الكفر باللّه–Y– هو من أعظم ما يأتي به العبد يوم القيامة، وهو الخسران العظيم، الذي بسببه يخسر الإنسان نفسه وأهله؛ لأنَّه سيخلد في جهنم، لقوله تعالى: ﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾،[276] ولا ينفع مع الكفر عملاً، لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿103﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿104﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿105﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾.[277] وينقسم الكفّار تجاه المسلمين إلى قسمين رئيسين، ولكلّ قسم منهما أحكام خاصّة به يتمّ التعامل معه من خلال هذه الأحكام، وهذه الأقسام هي:

أولا: المحاربون:

وهم الكفّار الذين ليس بينهم وبين المسلمين عهد ولا موثق، يجب على المسلمين قتالهم إن هم اعتدوا على أرضهم، أو دمائهم،[278] قال –Y–: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ باللّه وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾.[279]

ثانيا: المسالمون:

---

[274] الغرناطي، *التسهيل لعلوم التنزيل*، II، ص.281.

[275] البقاعي، *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، XX، ص.79.

[276] الزمر، 39/ 15.

[277] الكهف، 18/ 103–106.

[278] أبو فيصل البدراني، *الولاء والبراء والعداء في الإسلام*، ص.29.

[279] التوبة، 9/ 29.

وهم الذين لا يقاتلون المسلمين ولا يعتدون عليهم، ويجب على المسلمين برهم والإحسان إليهم، قال –Y: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، [280] وهم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أهل الذمَّة، وهم الرعايا للدول المسلمة، رضوا بحكم الإسلام، فلهم ما للمسلمين من حقوق، وعليهم ما على المسلمين من واجبات.[281] والقسم الثاني: أهل الأمان، وهم الرعايا للدول غير مسلمة، والمحاربة للمسلمين؛ لكن هناك اتفاقيات بعدم الاعتداء عليهم، والقسم الثالث: أهل الهُدنة، وهم الرَّعايا للدول غير مسلمة، وغير مقاتلة للمسلمين، وبينهم وبين المسلمين اتفاق صلح، وكل هؤلاء يجب على المسلمين عدم الاعتداء عليهم، والالتزام بالعهود والمواثيق التي عُقِدَت معهم.[282] ذكر ابن قيم الجوزية: أنَّ النَّاس في زمن النَّبيِّ –ε– انقسموا إلى عدَّة أقسام اتجاه النَّبيِّ –ε–، فمنهم من آمن به ومنهم من كفر، فصار الكفار مع النَّبيِّ –ε– يوم قَدِمَ المدينة ثلاثة أقسام، قسم عُقِدَ معهم الصُّلح على أن لا يحاربوه، ولا يعينوا أحداً على حربه، فسلموا بهذا العهد على دمائهم وأموالهم وهم على كفرهم، وقسم حاربوه وناصبوا له العداوة والبغضاء، وقسم تركوه ولم يوالوه ولم يحاربوه، وانتظروا ما يؤول إليه حاله مع أعدائه، ولكل طائفة منهم له معها تعامل خاص.[283] والسورة الكريمة تضمّنت عدداً من المقاصد التي تخصّ الكافرين، والتي سبَّبَت لهم العقوبات. وفي هذا المبحث سنتناول هذه العقوبات التي استحقّوها بسبب كفرهم باللّه –I– وبالدِّين الذي جاء به النَّبيُّ مُحَمَّد –ε–:

1.1.2. ضَلال الأعمال

وأصل "الضلال": الغيبوبة. يقال ضل الماء في اللبن، إذا غاب وغلب عليه، فلم يتبين.[284] استحق الكافرون إضلال أعمالهم، وذلك لأنهم كفروا باللّه –I–، وصدّوا الناس عن الإسلام، ويدلُّ على هذا المقصد النصّ في قوله –Y–: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

---

[280] الممتحنة، 60/ 8.

[281] التويجري، محمّد بن إبراهيم بن عبد الله، *موسوعة الفقه الإسلامي*، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط:1، 1430هـ، 2009م، V، ص.511.

[282] التويجري، *موسوعة الفقه الإسلامي*، V، ص.511.

[283] ابن قيم الجوزية، *زاد المعاد في هدي خير العباد*، دار التوزيع والنشر الإسلامي، القاهرة، دون: ط، 1424هـ، II، ص.66.

[284] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، *غريب القرآن لابن قتيبة*، تح: سعيد اللحام، ص.352.

أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.[285] والمقصود من الكافرين: هم أهل مكة لمَّا كفروا بتوحيد الله، وصدَّوا الناس وأنفسهم عن الدخول في الإسلام أو الدخول في مكة، منعوا الناس من قصد بيت الله الحرام، فاستحقوا إبطال أعمالهم من مكارم الأخلاق، مثل: صلة الأرحام، وفك الأسير، وإقراء الضيف، والإحسان إلى الجار.[286] والكافرون استحقوا هذه العقوبة بسبب اتباعهم للباطل بكل صوَرِهِ، ويدلُّ على هذا المقصد قوله –Y–: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾.[287] "أبطل الله أعمالهم يعني نفقتهم فى غزاة بدر ومسيرهم ومكرهم أبطل الله ذلك كله في الآخرة، أبطل أعمالهم التي عملوها في الدنيا؛ لأنها كانت في غير إيمان.[288] والباطل هو الشرك باللّه –I– من خلال عبادتهم للأصنام. بيَّن الله –Y– في هذه الآية أنَّ الذي أبطل عمل الكافرين، هو اتباعهم للباطل المُتَمَثِّل بالشرك باللّه –I.[289] وفي هذا المعنى قوله –I–: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.[290] وإحباط الأعمال أعمٌ من إضلالها، وكل ذلك تَسَبَّب به الكفر الذي مارسه أهل مكة ومن حولها، ولم يجعل لهم حظاً في الآخرة، فحَبِط عملهم بسبب كُرْهِهم لِمَا أنزل الله –Y–؛ ولأنَّهم لا يرجون النفع بها في الآخرة فهم لا يؤمنون باليوم الآخر، فعلوها لترضى عنهم أصنامهم ليعيشوا بسلامة هم وأولادهم.[291] واستحقوا كذلك اللَّعْن، أصله الإبعاد والطرد، واللَّعْنَة من الله تَعَالَى إبعادٌ،[292] لقوله –Y–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿161﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾.[293]

---

[285] محمّد، 47/ 1.

[286] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، XVI، ص.223.

[287] محمّد، 47/ 3.

[288] مقاتل بن سليمان، أبو الحسن بن بشير الأزدي البلخي، *تفسير مقاتل بن سليمان*، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط: 1، 1423هـ، IV، ص.43.

[289] ابن عباس، *تنوير المقباس من تفسير ابن عباس*، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، دون: ط، ص.427.

[290] محمّد، 47/ 9.

[291] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، XXVI، ص.87.

[292] الأزدي، *جمهرة اللغة*، II، ص.949.

[293] البقرة، 2/ 61–62.

2.1.2. الهَلاك والدَّمار

"الهلاك: أعم من الفناء وهو خروج الشيء عن الانتفاع المقصود به سواء بَقيَ أو لم يبق أصلاً، بأن يصير معدوماً بذاته أو بأجزائه وهو الفناءُ"،[294] استحق الكافرون بكفرهم وصَدِّهم عن دين الله–Y– الهلاك والدمار، فقد بيّن هذا المقصد قوله –Y–: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.[295] جاء معنى التَّعْس في اللغة: أنَّه الهلاك، وأصله الكَبُّ، وهو ضِدُّ الانتعاش.[296] وبيَّن الله –Y– سبب ذلك الهلاك؛ لأنَّهم كَرِهوا ما أنزل الله –I– من الكتب السماوية، فأحبط أعمالهم الخيرية التي كانوا يعملونها من مكارم الأخلاق

3.1.2. عدم حصول المغفرة

من جزاء الكافرين هو عدم حصولهم على المغفرة للذنوب من قبل الله –I–؛ وذلك بسبب كفرهم، وصدّهم عن سبيل الله، وموتهم على الكفر، فكانت عاقبتهم أنَّهم لم يحصلوا على المغفرة من الله. يدلُّ على هذا المقصد قوله –Y–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾.[297] عَدَمُ المغفرة من قبل الله –I– للكافرين هو بسبب موتهم على الكفر، فباب التوبة مفتوح لا يُغلَق إلا بالموت، أو خروج الشمس من مغربها، والآية ظاهرها العموم؛ إلا أنَّها نزلت في أهل القليب،[298] فحكمها عام لكل من مات على الكفر.[299] إن الذين كفروا بعد أن منّ الله عليهم بالإيمان، وآثروا الحياة الدنيا على الآخرة، واتبعوا أهوائهم على مُراد الله –Y– وأنكروا على أهل الإيمان، وغرقوا في ظلماتهم، لن يقبل الله توبتهم، فلا تُقْبَل الأمانة بعد ظهور الخيانة، وأولئك قد ضلوا عن طريق الحقِّ.[300] لقوله –Y–: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا

---

[294] البركتي، *التعريفات الفقهية*، ص.242.

[295] محمّد، 47/8–9.

[296] الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 4، 1407هـ، 1987م، III، ص.910.

[297] محمّد، 47/ 34.

[298] القليب هو الموضع الذي ألقيت فيه جثث الكافرين الذين قتلوا في معركة بدر. ابن هشام، *السيرة النبوية لابن هشام*، I، ص.638.

[299] القِنَّوجي، أبو الطيب محمّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني، *فتحُ البيان في مقاصد القرآن*، المَكتبة العصريَّة، بَيروت، دون: ط، 1412هـ، 1992م، XIII، ص.78.

[300] القشيري، *تفسير القشيري*، I، ص.258.

وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُم﴾،[301] وقوله –Y–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾.[302] ففي هذه الآية أربعة تأويلات: الأول: قول قتادة: أنَّهم اليهود لَمَّا كفروا بعيسى وازدادوا كفرا بمحمّد –عليهما السلام– فلن تُقْبَل توبتهم عند موتهم، والثاني: قول أبي العالية: هم أهل الكتاب، لن يَقْبَل الله توبتهم، وذلك لذنوب اقترفوها مع كفرهم، والثالث: قول ابن عباس: إنهم قوم ارتدوا بعد إسلامهم ثمَّ استخدموا التورية بإظهارهم التوبة مع عزمهم على كفرهم، فأخبر الله –Y– نبيَّه على سرائرهم، والرابع: قول الحسن: هم اليهود والنصارى لَمَّا آمنوا بالنَّبيِّ قبل بعثته، وكفروا به بعدما بعث، وازدادوا به كفرا حتى موتهم.[303] إنَّ الذين كفروا وخرجوا عن طاعة الله –Y–، زيَّن لهم الشيطان أعمالهم، فهم يَرون ما يعملون من أعمال قبيحة؛ أنَّها حسنة في تصوراتهم، وهذا نوع من الاستدراج إلى الغواية، ومن ثمَّ توصلهم إلى نتيجة وخيمة وهي البعد عن الله، يتبيَّن لنا هذا المقصد في قوله –Y–: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾،[304] فهذا التزيين جاء بسبب كفرهم، ومعصيتهم للرسل، واتباع أهوائهم، وأنَّ أهل البدع والضلالات زيَّن لهم الشيطان أعمالهم القلبية، فلم يَتَوصَّلوا إلى الإيمان باللّه، ولا إلى الجنة، والبَيِّنة هي النور الذي يُمَيِّزُ بها المسلمُ القولَ الحقّ من الوَسْوَسَة، وهذا لا يكون إلا لأهل الحقيقة الإيمانية.[305] الذين يخالفون أوامر الله ورسوله، تصيبهم الذلة والهوان والخوف والهلع الشديد بسبب إعراضهم وصَدِّهِم عن سبيل الله، وسينالهم العذاب الشديد يوم القيامة.

4.1.2. دخول نار جهنم

وعد الله –I– الكافرين نار جهنم يدخلونها إنْ هم ماتوا على الكفر، فاستحقوا أن تكون النار مثوى لهم، يدل على هذا المقصد قوله –Y–: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾.[306] حيث قال في حقِّ الكافرين: "والنار مثوى لهم بصيغة تُنْبِئ عن الاستحقاق لأنَّ الإحسان لا يستدعي أن يكون عن استحقاق، فالمُحْسِن إلى من لم يُوجَد منه ما

---

[301] محمد، 47/ 1.

[302] آل عمران، 3/ 90.

[303] الماوردي، *تفسير الماوردي، النكت والعيون*، ا، ص.408.

[304] محمّد، 47/ 14.

[305] أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى، *روح البيان*، دار الفكر، بيروت، دون: ط، VIII، ص.506.

[306] محمّد، 47/ 12.

يُوجِب الإحسان كريمٌ، والمُعَذِّب من غير استحقاق ظالمٌ".[307] الذين كفروا وكذَّبُوا سيدخلهم الله –Y– نارا يصليهم بها، قال تعالى: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾،[308] أي حارا شديد الغليان، إذا دنا منهم شوى وجوههم، ووقعت فروة رؤوسهم، فإذا شربوه قطع أمعاءهم وأخرجها من دبورهم، ومن شدِّة العذاب أنَّ جلودهم تَتَبدَّل في النار ليذوقوا العذاب الأليم، فالمقصود تعذيب الأبدان وإيلام الأرواح.[309] الذين كفروا وماتوا على الكفر؛ فإن اللعنة تستمر معهم حتى الممات وإلى يوم القيامة، وتصاحبهم في دخولهم النار، فلا يخفف عليهم من عذاب نار جهنم ولا ساعة واحدة، ولا ينقص من عذابهم، بل هو دائم مستمر متواصل.[310] وقوله –Y– بحق الذين كفروا من بني إسرائيل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.[311] طُرد الذين كفروا من بني اسرائيل، من رحمة الله ومن مرتبة العزة التي كانوا بها، وعلى لسان أنبيائهم داود وعيسى لأنهم عصوا الله –Y– ولم يمتثلوا لأوامره، وينتهوا عن نواهيه، وكانوا في أنفسهم يتجاوزون ويعتدون، ولا ينهى بعضهم بعضا عن المنكرات التي كانوا يفعلونها، فبذلك استحقوا الطرد واللعن، وجلبوا لأنفسهم أنواع العذاب والنكال.[312] والكفر بالله–Y– هو من أعظم ما يأتي به العبد يوم القيامة، وهو الخسران العظيم، الذي بسببه يخسر الإنسان نفسه وأهله؛ لأنه سيخلد في جهنم. وإنَّ هذه التطبيقات للمقاصد الشرعية الخاصة بالكافرين جاءت لحَفِظَ الدِّين من جانب العدم وذلك بمحاربة الكافرين الذين يَتَربَّصُون الدوائر بالإسلام للقضاء عليه،[313] وتَوَعَّدَهُم بأشد أنواع العذاب والتنكيل وإحباط أعمالهم؛ بل إنَّ الله –I– كتب عليهم الذُّلَّ والخُسْران في الدنيا، والعذاب وسوء العاقبة في الآخرة؛ لأنهم بَذَلَوا الغالي والنفيس في محاربة الإسلام، والقضاء عليه؛ ولكنَّ الله –I– حَفِظَ دِينَهُ بالرِّجال الصَّادقين الذين أقاموا بهذا الدِّين خير إقامة.

---

[307] الرازي، *مفاتيح الغيب*، XXVIII، ص.45.

[308] محمد، 47/ 15.

[309] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، V، ص.254.

[310] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، II، ص.473.

[311] المائدة، 5/ 78.

[312] النخجواني، *الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية*، ص.202.

[313] أحمد الريسوني، *نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي*، ص.126.

2.2. المقاصد الشَّرعيَّة وتطبيقاتها المتعلقة بأحوال المنافقين

إنَّ سورة محمّد –ε– كغيرها من سور القرآن المدنية، تضمنت الحديث عن المنافقين الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر، والنِّفاق الأكبر يُخَلِّدُ صاحبه في نار جهنم، وذلك لأنَّه يُظْهِر إسلامه وإيمانه باللّه وحده لاشريك له وبمحمد رسولا، وهو في باطنه لا يُؤْمِن بذلك؛ بل مُكَذِّب به، ولا يُؤْمِن بأنَّ الله تكلَّم بكلام أنزله على بشر جعله رسولاً للناس، يهديهم بإذنه وينذرهم بأسه ويخوفهم عقابه،[314] والقرآن الكريم في بداية سورة البقرة استعرض فيها أوصاف المنافقين؛ بل شَنَّ حملة تَعْرِيَة ضِدَّهُم، حتى ينكشف أمرهم للمسلمين، ولا ينخدعوا بهم، فجاءت آيات طوال تُعْرِض حالهم، كما بيَّن الله –I– ذلك في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللّه وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿8﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿9﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿10﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿11﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿12﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿13﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿14﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿15﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.[315] بيّن الله –Y– الذين أظهروا الإيمان في قولهم، وأبطنوا الكفر في صدورهم، وهم الذين قال فيهم: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾.[316] فسمَّاهم بالمنافقين، فصاروا أخبث الكفار؛ لأنَّهم خلطوا بالكفر تمويهاً وتدليساً، فنعى الله –I– عليهم خبثهم ومكرهم، وفضحهم وسفههم، واستجهلهم، واستهزأ بهم، وتهكم بفعلهم، فصار أمرهم مكشوفا للمسلمين.[317] عَرَضَت السورة أوصاف المنافقين، وكيف كانوا يتعاملون مع النَّبيِّ –ε– وأصحابه، فاستحقوا أن يعاقبوا على أفعالهم بعقوبات منها:

---

[314] ابن قيم الجوزية، محمّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، *مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين*، تح: محمّد المعتصم باللّه البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 3، 1416هـ، 1996م، ا، ص.355.

[315] البقرة، 2/ 8–16.

[316] النساء، 4/ 143.

[317] الزمخشري، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، ا، ص.54.

1.2.2. الطَّبْعُ على القلوب

من المقاصد التي بيَّنتها السورة، التي خَصَّت المنافقين وأحوالهم، هو الختم والطبع على قلوبهم بسبب الاستهزاء بالدِّين، وبالنَّبيِّ –ε– وأصحابه، يدل على هذا المقصد قوله –Y–: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾.[318] فبسبب هذا الاستهزاء وادعائهم أنَّهم لم يسمعوا كلام النَّبيِّ –ε– كان جزاؤهم أن طبع الله –I– على قلوبهم الكفر، فهم لا يسمعون ولا يَعُون ما يقول النَّبيُّ –ε–. حيث ما كان قَصْدُ المنافقين إلا السُّخْرية والاستهزاء على أنَّ كلام النَّبيِّ –ε– لا يُؤْبَه به، ثمَّ بيَّن سبب استهزائهم وتهاونهم بما سمعوا، فهؤلاء هم الذين ختم الله على قلوبهم، فلا يهتدون للحقِّ الذي بعث الله به رسوله –ε–، واتبعوا شهواتهم وما دعتهم إليه أنفسهم، فلا يرجعون إلى حُجَّة ولا بُرْهان.[319] النِّفاق الذي مارسه المنافقون سبب في إقفال قلوبهم عن فَهْمِ القرآن وتَدَبُّرِه، يدل على هذا المقصد في السورة، قوله –Y–: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.[320] حصلت الغِشاوة وهي غطاء على القلب يمنع الحقَّ من الوصول إليه، فكأنَّه أصَمّ وأعْمَى لا يَسْمَع ولا يَفْقَه شيئاً وإنَّ الله –Y– أقفل على قلوب الكافرين، فلا يداخلها زاجر التنبيه، ولا ينبسط عليها شعاع العلم، فلا يحصل لهم فَهْمُ الخطاب، وكيف ذلك إذا كان الباب مُقْفَلاً، فلا يدخل فيه شيء ولا يخرج منه، كذلك فإنَّ قلوب الكافرين مُقْفَلَة، فلا يخرج الكفر الذي فيها، ولا الإيمان الذي يُدعون إليه يدخل في قلوبهم.[321] "وذِكْر الأقفال استعارة، والمراد أن القَلْب يكون كالبيت المُقفَل لا يَصِلُ إليه الهُدى. قال مجاهد: الرّان أيسرُ من الطَّبْع، والطَّبْع أيسرُ من الإقفال، والإقفال أشَدُّ ذلك كلّه.[322] قال الله –Y–: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[323]

---

[318] محمّد، 47/ 16.

[319] المراغي، *تفسير المراغي*، XXVI، ص.61.

[320] محمّد، 47/ 24.

[321] القشيري، *تفسير القشيري*، III، ص.413.

[322] الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، *زاد المسير في علم التفسير*، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 1، 1422هـ، IV، ص.120.

[323] البقرة، 2/ 7.

2.2.2. التهديد والوعيد

من المقاصد التي تخصّ المنافقين وكما بيَّنتها السورة الكريمة، هو عدم الصدق مع الله –Y– في أقوالهم، وأفعالهم، فاستحقوا بذلك التهديد والوعيد، تبيَّن ذلك في قوله –Y–: ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴿20﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾.[324] سبب هذا التهديد هو عدم صدقهم مع الله، فلو صدقوا مع الله –I– لما جعل على قلوبهم غشاوة من عدم فهمهم لما يقول النَّبيّ –ε–. تُبيِّن هذه الآية الكريمة أنَّه إذا أنزلت سورة محكمة، لم يكن للنسخ فيها مجال، فهي محكمة الآيات والمعاني، وجاء الأمر فيها بالقتال، تَسَبَّبَ عن ذلك أنَّ الذين في قلوبهم مرض من شكٍّ ونفاق، ينظرون كنظر الإنسان الذي يُغشى عليه لأنَّه في سياق الموت.[325] حصل الطبع من قبل الله –Y– على قلوبهم، بسبب اجترائهم على النفاق الذي هو من الكبائر بل أكبرها، حتى تمرنوا عليه واستحكموا فيه، فأصبحوا لا يميزون بين الحق والباطل وبين الصواب والخطأ لأن قلوبهم قد ختم الله عليها. والقرآن يهدى إلى أقوم الأعمال وأفضلها، التي جاءت من الله –Y– متمثلة بأوامره ونواهيه، فمن سَمِعَ القرآن وَوَعاه، وامتثل بجميع ما جاء، وتقبَّل الرِّسالات الإلهية وتدبَّرها، كانت له الجنَّة خالداً فيها أبدا، ومن عصى الله ورسوله من عدم الامتثال لأمرهما واجتناب نهيهما؛ فإنَّ له نار جهنم خالداً فيها جزاء وفاقاً؛ لتكذيبه وإعراضه وسوء صنيعه.[326] والله –I– رَتَّبَ عاقبة حسنى للمطيعين، فإنَّه رَتَّبَ عاقبة سوء للعاصين الذين خالفوا أوامر الله ورسوله، ولم يُقَدِّمُوا لهما الطاعة، لأنَّ الطاعة شرط من شروط الإسلام، وشرط لتحصيل الهداية من الله –Y– والفوز في الدنيا والآخرة.

3.2.2. إغواء الشيطان

كشف الله –I– لنبيه –ε– ما تُخبّئ صدور المنافقين من الكفر، والاستهزاء، والكُرْه، فبسبب هذا الكُرْه للإسلام وأهله كان من السَّهل على الشيطان أن يُغْويهم، ويستدرجهم إلى طريقه ليكونوا من حزبه، يدل على هذا المقصد قوله –Y–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿25﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ

---

[324] محمّد، 47/ 20–21.

[325] الشنقيطي، *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، VII، ص.255.

[326] الحجازي، محمّد محمود، *التفسير الواضح*، دار الجيل الجديد، بيروت، ط:10، 1413هـ، III، ص.764.

اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾.[327] فهؤلاء المنافقون الذين رجعوا على أعقابهم كُفَّاراً باللّه من بعد ما تبيَّن لهم الحقّ وقصد السبيل، عرفوا حججه الواضحة، ثم آثروا الضلال على الهدى، عناداً لأمره –I– فهو يعلم ما أسَرُّوا من النِّفاق، على خلاف ما أمر به وأمر رسوله، إذ يُسِرُّون الكفر باللّه ومعصية الرسول، والله يعلم إسرارهم لهذا القول.[328] فاستحقَّ المنافقون أن يصفهم الله –I– بأنَّهم ارتدّوا عن الإسلام من بعد ما تبيَّن لهم الحقُّ الذي جاء به النَّبيُّ –ε–، وذلك بسبب كُرْهِهِم لِمَا أنزل الله من الآيات البيِّنات.

4.2.2. إحباط الأعمال

إنَّ الله –Y– أحبط عمل المنافقين كما أحبط عمل الكافرين من قبلهم، وذلك بسبب تركهم لدين الله بعد ما عرفوه لأنَّهم كَرِهُوا هذا الحق، فكانت عاقبتهم أليمة، وهي أنَّ الملائكة يتوفّونهم بأشدِّ حالات الإهانة والتنكيل، قال –I–: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿27﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.[329] ومعنى ذلك أنَّهم كيف يفعلون ويدفعون ضرر رِدَّتِهِم إذا جاءتهم الملائكة يقبضون أرواحهم فيضربون وجوههم وأدبارهم التي ولّوها عن الله –Y– إلى أعدائه، وذلك بسبب اتباعهم ما أسخط الله –Y– من طاعة أعدائه، فأحبط أعمالهم التي كانت تفيدهم النجاة من ذلك الضرب، ومن الفضائح الدنيوية.[330] إنَّ في ذلك إشارة إلى أنَّ التوفّي الحاصل للمنافقين هو بسبب اتباعهم ما يغضب الله –Y– من الأعمال، وعصيانهم أوامره، وكرههم رضوانه من الإيمان باللّه والجهاد في سبيله، فأدَّى ذلك كله إلى عدم قبول أعمالهم.[331] ذلك الهول الذي يرونه من أجل أنهم انهمكوا في المعاصي، وزُيّنت لهم الشهوات، وكرهوا ما يرضى الله من الإيمان به والعمل على طاعته والإخلاص له في السر والعلن، فأحبط ما عملوه من البر والخير، كالصدقات، والأخذ بيد

---

[327] محمّد، 47/ 25–26.

[328] الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، XXII، ص.182.

[329] محمّد، 47/ 27–28.

[330] القاسمي، *محاسن التأويل*، VIII، ص.477.

[331] البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، V، ص.124.

الضعيف، ومساعدة البائس الفقير وإغاثة الملهوف إلى نحو أولئك، إذ هم فعلوه وهم مشركون فلم تكن لله ولا بأمره، بل بأمر الشيطان للفخر وحسن الأحدوثة بين الناس.[332]

5.2.2. كشف الأسرار

كشف الله –I– عن هوية المنافقين لنبيه –ε–، وفي ذلك إشارة لهم بأنَّ أمرهم مكشوف، وأنَّهم لا يخدعون الرسول لأنَّه يَعْرِفُهُم من لَحْنِ القول، كما أخبر الله –Y–: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿29﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾.[333] وبعدما نزلت هذه الآية، فلا يمكن لأحد أن يتكلم عند النَّبيِّ –ε– إلا انكشف أمره، ويُعْرَفُ من كلامه على ما في ضميره من الفساد والنِّفاق لأنَّ الله مُطَّلِعٌ على أحوال عباده، يعلم منهم أعمالهم ونياتهم فيها، ومقاصدهم عنها، فيجازيهم على مقتضى علمه.[334] وإنَّ الله –I– حفظ الدِّين من جانب العدم وذلك بالتطبيقات المتعلقة بتهديد المنافقين، وكشف أسرارهم بما أخفوا عدواتهم للإسلام والمسلمين؛ لأنَّهم أشدُّ خَطَراً من الكافرين، فَتَوَعَّدَهُم الله –I– بإحباط أعمالهم، والمِيتَةُ السُّوء التي ستكون من نصيبهم، تبين ذلك بسوء عملهم، وكل هذا يأتي من باب حفظ الضرورة الأسمى، وهي حفظ الدِّين من جانب العدم؛ وذلك بمحاربة المنافقين، وفضح كل مخططاتهم ضد الإسلام، فضلاً عن الوعيد الشديد بالنار يوم القيامة. "فيجازيهم بحسب قصدهم، وهذا وعد للمؤمنين، وبيان لكون حالهم على خلاف حال المنافقين، فكان للمنافق قول بلا عمل، وللمؤمن عمل ولا يقول به، وكان المؤمن يعمل الصالحات ويتكلم في السيئات مستغفرا، وكان المنافق يتكلم في الصالحات ويعمل السيء، والله تعالى يسمع الأقوال الفارغة من المنافقين ويعلم الأعمال الصالحة من المؤمنين".[335]

---

[332] المراغي، *تفسير المراغي*، XXVI، ص.71.

[333] محمّد، 47/ 29–30.

[334] النخجواني، *الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية*، II، ص.331.

[335] الجاوي، محمد بن عمر نووي، *مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد*، تح: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1417هـ، II، ص.420.

3. دراسة موضوعية للمقاصد الشَّرعيَّة وتطبيقاتها الخاصة بأحوال المؤمنين في السورة

في هذا الفصل نبين أهم المقاصد الشَّرعيَّة التي جاءت بها السورة الكريمة والخاصّة بأحوال المؤمنين، حيث أمرهم الله –Y– بأوامر وتكاليف بثّها في السورة الكريمة، سنحاول أن نركّز على أبرز ما جاء فيها من الأحكام والتوجيهات الربانيّة إلى الجماعة المسلمة التي سعى رسول الله –ε– على تربيتها وتوجيهها الوجهة الصحيحة.

1.3. المقاصد الشَّرعيَّة وتطبيقاتها المُتَعَلِّقَة بأحوال المؤمنين

الإيمان كما عرّفه العلماء: بأنَّه التصديق الجازم بالقلب، والنُّطق بالشهادتين، والاعتراف التامّ بما جاء به النَّبيُّ محمّد –ε– من أمر ونهي، والانقياد له ظاهرا وباطنا.[336] إذاً فالإيمان هو تصديق بالقلب بكلّ ما جاء به القرآن الكريم، من أحكام، وتشريعات، وتوجيهات، ونصائح وإرشادات، وكل ما أُخبرَ به النَّبيُّ–ε– من ربه –Y–، فهو صدق وعدل، وعمل بالجوارح من خلال تطبيق هذه الأحكام تطبيقا عمليّا. وللإيمان أركان يَسْتَنِد إليها، وهي تُمَثِّلُ عقيدة المسلم التي يَرْتَقِي بها إلى مرتبة أعلى من مراتب الدِّين، وهي مرتبة الإيمان، والتي تُعَدُّ أعلى من مرتبة الإسلام، فليس كُلُّ مسلم مؤمن وإنَّما كل مؤمن مسلم، ودليل ذلك قوله –Y–: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.[337] والقرآن الكريم ذكر أربعة من أصول الإيمان صراحة – وهي: الإيمان باللّه، والملائكة، والكتب السماوية، والرسل– في هذه الآية: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ باللّه وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾،[338] والإيمان باليوم الآخر ذُكر في آيات أُخرى، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾،[339] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ

---

[336] الباقلاني، القاضي أبي بكر محمد بن الطيب، *الإنصاف فيما يجب اعتقاده وما لا يجوز الجهل به*، تح: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الازهرية للتراث، مصر، دون: ط، 1412هـ، 1992م، ص.52. الصلابي، *فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم*، دار المعرفة، بيروت، ط: 2، 1436هـ، 2005م، ص.162.

[337] الحجرات، 49/ 14.

[338] البقرة، 2/ 285.

[339] النساء، 4/ 136.

مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾،[340] والإيمان بالقدر خيره وشرّه، يدّل عليه من خلال قوله –I–: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾،[341] وقوله –I–: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾،[342]

فالإيمان باللّه يعني الاعتقاد بأنَّ الله واحد في أسمائه وصفاته وأفعاله، وأنَّه حيٌّ عليم قدير على كل شيء، والإيمان بالملائكة: يستلزم الإيمان بوجودهم وأنَّهم مَعْصُومُون ومُطَهَّرُون من الأخطاء، وهم السَّفَرَة البَرَرَة، وهم وسائط بين الله ورسله، والإيمان بالكتب السماوية المُنَزَّلَة على رُسُلِ الله هي حَقٌّ من عند الله سبحانه وتعالى، يجب الإيمان بكل ما جاء بها، والإيمان بالرُّسُل: أنَّهم رُسُل من الله، أرسلهم إلى البشر ليخرجوهم من الظلمات إلى النور.[343] والإيمان باليوم الآخر وهو الإيمان بما أخبر به النَّبيُّ –ε– بكلّ ما سيكون بعد الموت، من عذاب القبر ونعيمه، وإعادة الروح إلى الجسد، والنفخ في الصور للصَّعق والنُّشور، وقيام الناس من قبورهم، ودنو الشمس من رؤوس الخلائق، ونصب الموازين، ونشر الدواوين، والصحف والأعمال، وورود الحوض، واجتياز الصراط المضروب على متن جهنّم، ثم دخول الناس الجنّة، أو دخولهم النار.[344] الإيمان بالقدر خيره وشره وهو فرض لازم عظيم الشأن بين المؤمنين، والقدر يُقَدِّرُه الله –I– من قضايا كتبها في اللوح المحفوظ من قبل أن يخلق الخلق، وكُلُّ شيء سائر بقضاء الله وقدره، وأنَّ الله –I– يرضى بالطاعة والإيمان، ووعد الثواب عليهما، ولا يرضى بالكفر والمعاصي، ووعد النار على فاعلهما، والقدر هو من أسرار الله –I– التي لم يَطَّلِع أحدٌ عليها، لا نبيٌّ مُرْسَلٌ، ولا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ.[345] وفي السُّنَّة المُطَهَّرة جاء ذكر أركان الإيمان من خلال حديث النبي–ε–، الذي أورده الإمام مسلم في صحيحه، عندما سأله جبريل –عليه السلام– عن الإيمان فقال –ε–: «أَنْ تُؤْمِنَ باللّه، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، وَتُؤْمِنَ

---

[340] التوبة، 9/ 18.

[341] النساء، 4/ 78.

[342] التوبة، 9/ 51.

[343] الخازن، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، ا، ص.219.

[344] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله، *العقيدة الواسطية*، تح: أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، ط: 2، 1420هـ، 1999م، ص.39–99.

[345] ملا علي القاري، بن سلطان محمد، نور الدين الملا الهروي، *مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح*، دار الفكر، بيروت، ط: 1، 1422هـ، 2002م، ا، ص.3.

بِالْقَدَرِ كُلِّهِ».[346] كما بيَّنت سورة محمّد –ε– أحوال الكافرين والمنافقين، وما تَرَتَّبَ عليهم جرّاء كفرهم باللّه –I– وصَدِّهم عن دِيْنِه، فقد بَيَّنَت أحوال المؤمنين، وما حصلوا على جوائزَ من الله –I– بسبب إيمانهم، واتباعهم للنَّبيِّ محمّد –ε–، جاء ذلك في عدد من الآيات التي سنوردها فيما يلي:

1.1.3. تكفير السيئات وإصلاح البال

بيَّن الله –I– أنَّ المؤمنين يكون لهم تكفير سيّئاتهم وإصلاح بالهم، وذلك بسبب إيمانهم باللّه وما أنزل على رسوله، وقيامهم بالأعمال الصالحات، جاء هذا المقصد في السورة المباركة من خلال قوله –Y–: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى محمّد وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾.[347] فبيَّن الله –I– أنَّ المؤمنين هم الذين صدَّقُوه، وأطاعوه في أمره ونهيه، واتّبعوا شرعه ظاهراً وباطناً، وعَمِلُوا بالأعمال الصالحة التي تُرْضيه، وصدَّقوا بما جاء به القرآن الذي أُنْزِل على نبيِّه مُحَمَّد –ε–، وبما قاله النَّبي محمَّد –ε–، فيكون هذا الإيمان سبباً في محو الذنوب عنهم وغفرانها لهم، وأصلح من شأنهم وحالهم في الدنيا والآخرة، "أصلح بالتوحيد حالهم في سعة الرزق"،[348] كلّ ذلك لاتّباعهم الحقّ الذي أمر اللَّه، من التوحيد والإيمان وعمل الطاعات،[349] وفي هذا تنبيه بأعمال الصالحين والمُصَدِّقين بما أُنْزِل على النَّبيِّ –ε–، وفيه إشعار بأنَّ الله –Y– يُكَفِّرُ عنهم سيِّئاتهم، ويُصْلِح بالهم، والتهدئة من رَوْعِهِم، وتعليل للتوبة والإيذان، فالمؤمنون مُهْتَدون مُتَّبِعُون للحَقِّ، ويُجازون حسب ما يُطابق خطّتهم وعملهم.[350] والمقصد الآخر الذي دلَّت عليه السورة هو هدايتهم وإصلاح أحوالهم، كما بيَّن ذلك قوله –Y–: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾.[351] قال المفسرون في معنى هذه الآية: "سُتِرَ

---

[346] مسلم، بن الحجاج أبو الحسن، صحيح *مسلم*، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون: ط، 1، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر.

[347] محمّد، 47/ 2.

[348] مقاتل بن سليمان، *تفسير مقاتل بن سليمان*، IV، ص.43.

[349] الزحيلي، وهبة مصطفى، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*، دار الفكر، دمشق، ط: 2، 1418هـ، XXVI، ص.80.

[350] دروزة محمّد عزت، *التفسير الحديث*، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دون: ط، 1383هـ، VIII، ص.299.

[351] محمّد، 47/ 5.

بإيمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم وأصلح حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدِّين، وبالتسليط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد".[352] وسيهديهم الله –Y– إلى ما فيه نفعهم في الدنيا والآخرة، ويوفقهم إلى الأعمال الصالحة، ويرشدهم إلى الجنة دار الأخيار الصالحين، ويصلح من شأنهم وحالهم، فكان هذا بسبب إيمانهم، واتباعهم الحق.[353] فهذا هو المقصد الخاص بالمؤمنين والذي بيَّنته السورة، وهو تكفير السيّئات التي عملها المؤمنون فيما مضى، وكذلك إصلاح شأنهم في أمورهم كلّها، فلا يَقْدِمون على معصيته، بل يتيسَّر لهم أمر طاعته، فهذه هي عناية الله –I– بعباده المؤمنين الذي يسَّر لهم طريق الطاعات، وقوله –Y–: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.[354] وبيَّن الله –I– أنَّه سيُوْصِل المؤمنين إلى النَّعيم المقيم، والفضل العظيم، ثواباً لتلك الأعمال التي عملوها في الدنيا، والتي خُتِمَت بالشهادة في سبيله، وسيثبت –I– هدايتهم في الدنيا، ويحفظهم –I– ويصونهم عمَّا يورث الضلال ويحبط الأعمال.[355]

2.1.3. الزيادة في الهدى والتقوى

ومِمَّا يَحْصُل عليه المؤمنون جزاء لإيمانهم وتقواهم، زيادة في إيمانهم وتقواهم، يدل على هذا المقصد قوله –Y–: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾.[356] ففي هذا النَّص القرآني بيَّن الله –I– حال المؤمنين الذي يستمعون إلى الحقِّ، فهم كُلَّما سَمِعُوا من رسول الله –ε– مِمَّا جاء به عن الله –I– يُصَدِّقون فيزيدون بذلك هدى مع هدايتهم، وإيماناً مع إيمانهم، وَوَفَّقَهُم للعمل بما أمرهم به وهو التقوى.[357] إنَّ للمؤمنين حُجَّة واضحة بيّنة، فهم يعبدون الله –Y– على دليل واضح، وهذا من العطاء الإلهي الذي يَمْتَنُّ به على من يشاء من عباده، فكان هذا العطاء هو بسبب الإيمان الذي ثبت عليه أصحابه، جاء قوله –Y–: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ

---

[352] الزمخشري، *الكشاف عن غوامض التنزيل*، IV، ص.315.

[353] الصابوني، *صفوة التفاسير*، III، ص.192.

[354] محمّد، 47/ 4.

[355] الألوسي، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، XIII، ص.199.

[356] محمّد، 47/ 17.

[357] الخازن، علاء الدين علي بن محمّد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، *لباب التأويل في معاني التنزيل*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1415هـ، IV، ص.144.

كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾.[358] وإنَّ الله –I– كما حفظ الدِّين من جانب العدم بمحاربة الكافرين والمنافقين والفاسقين، وجعل أمرهم خسراناً في الدنيا وهلاكاً في الآخرة، فإنَّ الله –I– حفظ هذا الدِّين من جانب الوجود؛ وذلك بتشريع آيات القتال، والحظ عليه، والوعد بأعلى الدرجات يوم القيامة، وبالفوز العظيم بالجنة، فضلاً عن الهداية وإرشاد السبيل الحقِّ في الدنيا للمؤمنين الممتثلين لأوامره –I–، كلُّ ذلك جاء من باب حفظ الضرورة الأولى، وهو حفظ الدِّين، من جانب الوجود، ومن جانب العدم، وهي الضرورة التي يجب أن تَسْتَنْفِرَ كل الطاقات لحفظها، من نفس، ومال، ونسل، وعقل.

3.1.3. الابتلاء

من المقاصد الشَّرعيَّة التي ذكرتها سورة مُحَمَّد –ε–، هو الابتلاء، والذي تضمّنته الآية بقوله –Y–: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾،[359] والابتلاء: هو الاختبار، أو الامتحان، أو التمحيص، "البَلَاء، الاسم من بَلَاه يَبْلُوه: إذا اختبره"،[360] قال اللّه –Y–: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾.[361] "يُقال: بلي الثوب بلى، وبلاء: إذا أخلق، وأبليته أنا، والبلاء أيضاً: الاختبار".[362] والبلاء من حيث الاصطلاح هو الاختبار، قال الله –Y–: ﴿ولنَبْلُوَنَّكُم﴾،[363] فمعناه: ولنختبرنكم. وقال –Y–: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾،[364] أي بمعنى: اختبرناهم بالخير والشر. وقال –Y–: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾،[365] أي: يوم تُخْتَبَرُ السَّرائر.[366] ومن مُرادِفات البلاء: الفتنة التي تدل على نفس المعنى، "والفتنة: أن يُفْتِنَ الله قوماً

---

[358] محمّد، 47/ 14.

[359] محمّد، 47/ 31.

[360] الحميرى، *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*، ا، ص.616.

[361] الصافات، 37/ 107.

[362] القيسي، أبو علي، الحسن بن عبد الله، *إيضاح شواهد الإيضاح*، تح: محمّد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1408هـ، 1987م، اا، ص.604.

[363] محمّد، 47/ 31.

[364] الأعراف، 7/ 168.

[365] الطارق، 86/ 9.

[366] الأنباري، أبو بكر، محمّد بن القاسم بن محمّد بن بشار، *الزاهر في معاني كلمات الناس*، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1412هـ، 1992م، ا، ص.246.

أي يبتليهم".[367] واسْتَعْمَلَ القرآن الكريم هذه المُرادفات للابتلاء، مثل: الفتنة، قال –Y–: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾،[368] وأصل الفتنة: البلوى والاختبار ويأتي معنى الفتنة: "ما يتبين به حال الإنسان من الخير والشر، يُقال: فتنت الذهب بالنار، إذا أحرقته بها لتعلم أنه خالص أو مشوب".[369] والابتلاء من سنن الله –Y–، الذي يكشف به حقيقة المؤمن من غيره، كما أخبر بذلك –Y–، ولم يَسْلَم أحد من الاختبار، حتى النَّبيّ مُحَمَّد –ε– وأصحابه تعرَّضوا للامتحان، والتمحيص والتصفية من الذنوب، كما جاء في قوله –Y–: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾.[370] الابتلاء هو سنّة الله الجارية في أصحاب دعوته، يبتليهم الله –I– بأقسى أنواع الابتلاءات ليُمَيِّز الخبيث من الطيب، وليزدادوا صلابة وقوة لتحّمل ما سيُلْقى عليهم من مشاق وتبعات لدينهم الذي حملوه على عواتقهم، وهذا واضح من خلال الآيات التي بثها الله –I– في القرآن الكريم، والدليل على ذلك قوله –Y–: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾.[371] نزلت هذه الآية في فقراء المهاجرين، عندما اشتدّ عليهم ضرر الكافرين بالقتل والتهجير والجوع والفقر، وهذه هي سنّة الله في الذين سبقوهم من المؤمنين عندما ابتلاهم الله بشتى أنواع الابتلاءات، من الفقر والجوع والمرض، حتى استبطؤوا النصر، فقال الله لهم: إنِّي ناصر أوليائي لا محالة.[372] فهذه سنّة الله –Y– التي جرت في عباده المؤمنين، فلا يُمَكَّن لأهل دعوته إلا بعد أن يمروا بمراحل الابتلاء المختلفة، وأن ينصهروا في بوتقة الأحداث التي تمر بهم، فيظهر المعدن الطيب من المعدن الخبيث.[373] وفي قصة طالوت يظهر لنا مدى تأثير الاختبار الذي قام به طالوت ليعرف ما خبي من صفات في نفوس أصحابه لأنَّه سيخوض معركة مع أُناس جبَّارين أقوياء، كما بيّن ذلك قوله –Y–: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا

---

[367] الفراهيدي، *كتاب* العين، VIII، ص.127.

[368] الأنفال، 8/ 28.

[369] الكفوي، *الكليات*، ص.165.

[370] الأحزاب، 33/ 10.

[371] البقرة، 2/ 214.

[372] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمّد بن علي الواحدي، *الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط: 1، 1415هـ، ا، ص.162.

[373] الصلابي، *فقه النصر والتمكين*، ص.384.

مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿249﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿250﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾.[374] ففي هذا المشهد تتبيّن حكمة الله –Y– من اختيار طالوت ملكاً على بني إسرائيل؛ فهو مُقْدِم على معركة صعبة وشرسة، وجنوده من أمّة مغلوبة توالت عليها النكبات والهزائم مرّات متوالية، وهو يواجه جيشاً قوياً وجبّاراً، فلا بُدَّ من أن يقوم باختبار يختبر فيه جنوده؛ ليخرج الكامن في نفوسهم من القوّة والإرادة، والتغلب على الشهوات والنزوات، وتصمد أمام الحرمان، وتكون الطاعة والولاء هي السمة الظاهرة، وليعلم من يصبر ويتحمل البلاء.[375] فقال –Y–: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿2﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.[376] والمتأمّل لهذه الآيات يجد أنَّ الناس بين أمرين، إذا أُرْسِلَت إليهم الرُّسُل؛ إمَّا أن يؤمنوا بهم، وإمَّا أن لا يؤمنوا، ويستمّروا على الكفر والسيء من الأعمال، فالذي يؤمن لا بُدَّ له من الامتحان والاختبار ليتبيّن الصادق من الكاذب، والمؤمن يصيبه الأذى في البدء ثمّ تكون له العاقبة الحسنى في الدنيا والآخرة، وسُئِلَ الإمام الشافعي عن أيها أفضل للمؤمن، التمكين أولاً أم الابتلاء، فقال: لا يُمَكَّن حتى يُبْتَلى، ولقد ابتلى الله رُسُلَه من أولي العزم، إبراهيم، ونوحاً، وموسى، وعيسى، ومحمّداً؛ فلمَّا صبروا مَكَّنهم.[377] وإنَّ طريق الدعوة إلى الله –Y– ليس طريقاً مَفْروشاً بالورود، وليس طريقاً سهلاً مَيْسُوراً؛ بل هو طريق يَكْثُر فيه الخصوم، والمعارضون، والمكذبون، والمعاندون، ولولا هذه المحن والابتلاءات لسَهُلَ ادعاء المدعين أنَّهم أهل دعوة وحقّ، ولا يمكن تمييّز دعوة الحَقِّ إلا بالابتلاءات والمحن، وعندئذ تتميز دعوة الحقّ من دعوى المبطلين، وتمضي دعوة الحقّ برجالها الذين صبروا، وثبتوا عليها.[378]

مِمَّا سبق ذكره يتبيّن لنا أنَّ الابتلاءات بِكُلِّ مفاهيمها جاءت لترسيخ قضيّة واحدة ومهمّة في طريق الدعوة إلى الله –Y– ألا وهي تنقية وتمحيص الصف الداخلي للمؤمنين، من أجل أن يخرج من كان في قلبه غرض دنيوي، من مال أو جاه أو منصب أو مصلحة يريد

---

[374] البقرة، 2/ 251.

[375] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، ا، ص.168.

[376] العنكبوت، 29/ 2–3.

[377] ابن قيم الجوزية، *زاد المعاد في سيرة خير هدي العباد*، III، ص.13.

[378] علي بن نايف الشحود، *الأحكام الشرعيّة للثورات العربية*، دون، م، ط: 1، 1432هـ، 2011م، ص.808.

جنيها من خلال وجوده في صفّ المؤمنين، ولأنَّ هذه الدعوة ربانيّة، يرجع سلطانها إلى الله –Y– فإنَّه لا يقبل للمنتسبين إليه من أن يصيبهم شيء من أدران الدنيا، والذي لا يجعل فيها بركة ولا خيراً، فالابتلاء جاء من أجل التصفية والتنقية.

4.1.3. العزاء والتسلي

جاءت الآيات التي تذكر حال المنافقين تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن قولهم عن القرآن الكريم سحر وشعر وأساطير، بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم. وفي هذا تسلية للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم من حزنه على مسارعتهم في الكفر.[379] كما جاء في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴿23﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿24﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿25﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿26﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿27﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿28﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿29﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾.[380] وإنَّ المنافقين يَدَّعُون أنّهم لا يسمعون، أو يفهمون ما يتلوا عليهم النَّبيّ –ε– من القرآن، تغافلًا عمَّا يدعوهم إليه من الإيمان، وما كان مقصدهم من ذلك إلا السُّخْرِية والاستهزاء بما يقول، وأنَّه مِمَّا لا ينبغي أن يُؤْبَه به، أو يُلْقى لمثله سَمْع، فعاقبهم الله –I– بأن ختم على قلوبهم فهم لا يفقهون شيئاً مِمَّا يسمعون.[381] استحق المنافقون الطرد من رحمة الله –Y–، كان ذلك نتيجة في إفسادهم في الأرض، وتقطيعهم للأرحام، كما وصفهم بذلك القرآن في قوله –Y–: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿22﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾.[382] وإنَّ الله –Y– قد نهى عن الفساد في الأرض عموماً، وعن قطع الأرحام خصوصاً، بل قد أمر الله –Y– بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال، فسبب الطرد من رحمة الله –Y– هو تقطيعهم للرحم التي أمر الله –Y– أن تُوصَل،

---

[379] الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ص.549.

[380] محمد، 47/ 23–30.

[381] الهرري، *تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*، XXVII، ص.151.

[382] محمّد، 47/ 22–23.

وكذلك عن أعمالهم الفاسدة التي عملوها في الدنيا.[383] والمنافقون لضعفهم في الدين وحرصهم على الدنيا، أحقاء بأن يتوقع ذلك منهم، وهو الإفساد في الأرض، وتقطيعهم الأرحام، ومقاتلة الأقارب، تناحرا على الولاية وتجاذبا لها، ففي ذلك إشارة إلى المذكورين، الذين لعنهم الله لإفسادهم وقطعهم الأرحام، فأصمهم عن استماع الحق، وأعمى أبصارهم فلا يهتدون سبيله.[384]

5.1.3. النصر والتمكين

النصر: هو الظفر بالأعداء، ويكون ضِدّ الخُذلان.[385] والتمكين: هو مقام الثبات والاستقرار على النصر، وما دام العبد في الطريق فهو صاحب تمكين لأنَّه يرتقي من حال إلى حال، وينتقل من وصف إلى وصف، فإذا وصل واتّصل فقد حصل التمكين.[386] ومن المقاصد الشرعية التي بيَّنتها هذه السورة الكريمة الخاصَّة بأحوال المؤمنين: هو تحقيق شرط نصر الله –Y– والذي يكون من خلال طاعته وطاعة رسوله –ε–، جاء ذلك المقصد من خلال قوله –Y–: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.[387] وأنَّ الله –Y– أراد من المسلمين من قتالهم الكفار أن ينصروا دينه بخضد شوكة أعدائه الذين يصدّون الناس عنه، وأتبعه بالترغيب في نصر الله –Y–، والوعد بتكفّل الله –Y– لهم بالنصر إن نصروه، وأنّه سيخذل الذين كفروا بسبب كراهيتهم ما شرَّعه من الدِّين.[388] وإنَّ النصر على الأعداء له أسباب توصل إليه، وهذه الأسباب هي شرط لتحقيق نصرة الله –Y– لعباده المؤمنين، وهي: الإيمان باللّه، والعمل الصالح، ووحدة المسلمين وعدم تفرقهم، وكذلك للنصر والتمكين أهداف وغايات يسعى المسلمون إلى تحقيقها بعد أن يمكّنهم الله –I– من النصر على أعدائهم، ومن هذه الأهداف: إقامة المجتمع المسلم، الذي تتمثل فيه قيم الدين الإسلامي الحنيف ومبادئه، وكذلك الدعوة إلى الله، والقرآن الكريم وضع أُسسا خاصّة بالمؤمنين تجعلهم متميزين عن غيرهم لأنَّ هذه القواعد مُسْتَوحاة من القرآن الكريم، ومُطَبَّقَة من قِبَلِ الرسول –ε– وخلفائه الراشدين – رضوان الله عليهم– والسلف الصالح من المؤمنين، والإيمان لا قيمة له إلا إذا خالطه العمل

---

[383] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، VII، ص.318.

[384] البيضاوي، *أنوار التنزيل وأسرار التأويل*، V، ص.123.

[385] البركتي، *التعريفات الفقهية*، ص.228.

[386] الجرجاني، *التعريفات*، ص.67.

[387] محمّد، 47/ 7.

[388] ابن عاشور، التحرير والتنوير، XXVI، ص.84.

الصالح، وظهر ذلك على الجوارح بأداء العبادات، والتعامل بالمعاملات الشَّرعيَّة، والتخلق بالأخلاق الإسلاميَّة. إن الله –Y– بيَّن لنا في كثير من آياته أنَّ الفرقة والاختلاف لا تزيد الأمَّة إلا تباعدا وتنافرا، وهو –Y– يدعونا إلى الوحدة وعدم التفرق، يدل على ذلك قوله –Y–: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.[389] لأنَّ الاختلاف بينهم يؤدي إلى إضعاف قلوبهم، ومن ثمَّ تذهب دولتهم، ونصرهم وتأييد الله لهم. ومعنى ريحكم، أي ريح النصر التي يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله، أو تذهب دولتكم من قولهم ذهبت ريحه أي ذهبت دولته.[390] والسبب الرئيسي في عدم نصرة الله –I– للمؤمنين، هو عدم السماح لهم بتطبيق شريعة الله على الأرض؛ وإنَّما يُسْمَح بممارستها في المساجد، ولا يُسْمَح لها أن تكون منهجاً تُطَبَّقُ فيه تعاليم الحياة كلها، وعدم تحكيم قِيَمِهِ في حياة البشر؛ بل ويُحْرَم عليهم أن يطالبوا بتحكيم شريعة الله في حياتهم، فهو بذلك تعطيل لألوهية الله في الأرض.[391] ومن أسباب ضَعف المسلمين: تخليهم عن مصدر قوتهم، وعزهم وشرفهم، وهو القرآن، حيث قال –Y–: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؛[392] فإنَّ من الأسباب المهمّة في النصر الذي يتنزّل من الله –I– إلى المؤمنين، أن يكونوا موحدين، ومتعاضدين غير متفرقين، كالجسد الواحد كما وصفهم الله بذلك في قوله –Y–: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾،[393] وكما وصفهم النبي –ε– بقوله: «إِنَّمَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَالْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ شَيْءٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».[394] ولأنَّ القرآن هو المصدر الذي يَمُدُّ أصحابه بالقوة والعزيمة، ففيه خير نظام، وخير قانون، لا يحتاج الناس إلى جهد كبير في كتابة الدساتير والقوانين لأنَّ القرآن يحوي كل ذلك، فالالتزام بمنهج الله –Y– هو الشرط الرئيسي من شروط وحدة الأمة وعدم تفككها، ولا يتحقق نصر

---

[389] الأنفال، 8/ 46.

[390] الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي، *أحكام القرآن*، تح: محمّد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون: ط، 1405هـ.، IV، ص.251.

[391] سيد قطب، *معالم في الطريق*، المركز العربي للدراسات والأبحاث، الدوحة، ط: 1، 1433هـ، 2012م، ص.104.

[392] الأنبياء، 21/ 10.

[393] الصف، 61/ 4.

[394] القضاعي، أبو عبد الله محمّد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون، *مسند الشهاب*، تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 2، 1407هـ، 1367، باب مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم.

وتمكين لهذه الأمَّة إلا إذا التزمت وطبقت منهج ربها الذي ارتضاه لها، فكان قانونا لها تسير عليه.

أهداف النصر والتمكين:

والإسلام في منهجه ودعوته جاء بأهداف وغايات بثّها في ثنايا أحكامه، فالنصر والتمكين لهما أهداف كثيرة نستطيع أن نجمل بعضاً منها من خلال النقاط التالية:

أولاً: إقامة مجتمع إسلامي:

إنَّ أوَّل هذه الأهداف التي أتى بها الإسلام للبشرية كدستور ومنهاج: هو إقامة مجتمع مسلم يتمثل فيه تحقيق العبودية الكاملة والشاملة لله –I–، ولا يكون ذلك إلا بعد أن يُوجَدَ أفراد مسلمون، يتمثل الإسلام فيهم عقيدة، ومنهجاً، وسلوكاً في حياتهم، ومن ثمَّ يؤدي ذلك إلى إيجاد أُسَر إيمانيَّة ربَّانيَّة تَتَحَلَّى بهذه المفاهيم والقيم؛ لتكون لَبِنة المجتمع المسلم، ومن خلال هذه اللبنات يتكون المجتمع الإسلامي المنشود، ويكون القرآن هو مصدره الوحيد في تشريعاته، وأسسه، ونظامه. ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾.[395] إنَّ الإسلام هو الذي يبني الأمَّة المسلمة على أساس التجمع العضوي الحركي، والآصرة التي يتكون بها هذا التجمع، هي العقيدة الإسلاميّة والتي تقوم على شهادة لا إله إلا الله محمّد رسول الله، ويقوم على إبراز خاصية الإنسانية لدى المسلم، وإعلائها على الجوانب الأخرى.[396] والمجتمع المسلم إذا قام بتمكين الله له، عمل على إقامة شرع الله، من العبادات والمعاملات، بيّن ذلك قوله –Y–: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.[397] ولذلك فإقامة المجتمع المسلم من واجبات الدولة التي مكّنها الله –Y– في الأرض، وتكون الآصرة الرابطة لهذا الدولة هي آصرة المعتقد. والعقيدة الإسلاميّة هي الأساس في بناء المجتمع الإسلامي بغض النظر عن الطائفة، أو اللغة، أو الإقليم، أو الحرفة، وتقديم الإسلام لهذا الأساس كان حدثاً تاريخياً لم تعمل به الشعوب التي سبقت، فقد بنت دولها على أساس عرقي طائفي قومي، مِمَّا أدَّى إلى زيادة الظلم والبغي وإهدار للكرامة الإنسانيّة، وبنوا أباطيلهم ومزاعمهم على ذلك الأساس، ولَمَّا

---

[395] محمد، 47/ 38.

[396] سيد قطب، *معالم في الطريق*، ص.50.

[397] الحج، 22/ 41.

جاء الإسلام بهذا النظام كان انقلاباً على نظام البشريّة تكريماً للإنسان، ووضع الأمور على نصابها.[398] ويمكن أن تُبْنى مجتمعات على غير أساس العقيدة الإسلاميّة، وإنَّما تكون على أساس المواطنة التي تشترك فيها كل الأديان، والقوميات، والملل، والنحل، شرط أن تُحْتَرَم الديانات والمعتقدات الأخرى، وتكون الإدارة للدولة على أساس المشاركة الفاعلة للكلّ بدون استثناء، أو إقصاء، أو تهميش، فالمواطنة هي الأساس في بناء الدولة المدنيّة المعاصرة. والإسلام أولى اهتماماً كبيراً بالأسرة لأنَّ كيان المجتمع يقوم عليها، وبمجموعها يتكوّن المجتمع، وبذلك بصلاح الأسرة يكون صلاح المجتمع، وبفسادها يكون المجتمع فاسداً.

ثانياً: الدعوة إلى الله:

إنَّ الدعوة إلى الله –I– في نشر الدِّين الإسلامي الذي يعْنى بتوحيد الله وترك ما نهى الله عنه، والالتزام بما أمر، هي مسؤوليّة عظيمة تجاه المكلّفين بذلك، وهي تحقّق الفلاح في الدنيا والآخرة، وهي من نتائج تمكين الله –Y– للمسلمين، قال الله –Y–: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾،[399] وقوله –I–: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[400] فالدعوة إلى الله هي من جانب الوجود لحفظ الدِّين، وهي أحسن الأعمال التي يؤديّها المسلم، وهي من الأعمال الواجبة، والدعوة إلى الله من إقامة البراهين القطعية، والدلائل اليقينيّة، هي من أحسن الأقوال.[401] جاء في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿10﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾.[402] وإنَّ كُلَّ إنسان إذا عَلِمَ مُنْكَراً يجب أن يعمل على إزالته حسب ما يستطيع، فإن استطاع على تغييره وإزالته بيده فليفعل، سواء أكان بيده أم بيد غيره بأمره، ومن لم يستطع على ذلك الأمر فليغيره بلسانه من خلال نهي فاعله عن هذا العمل مع بيان خطره وضرره، ويرشده إلى الخير بدل هذا الشرّ، فإن لم يستطع عن هذه المرتبة فليغيّره بقلبه، بأن ينكر ويبغض هذا المنكر وصاحبه على فعله، ولو قدر على إزالته باليد أو باللسان لأزاله، والتغيير بالقلب أضعف مراتب الإيمان في تغيير المنكر، ومن أهم وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زماننا

---

[398] عبدالكريم زيدان، *أصول الدعوة*، ص.100.

[399] فصلت، 41/ 33.

[400] آل عمران، 3/ 104.

[401] الرازي، *مفاتيح الغيب*، XXVII، ص.564.

[402] محمد، 47/ 10–11.

يكمن في أن ننكر هذا العمل في قلوبنا أولا، ثم نقوم ببيانه لمن حولنا من ابنائنا ونسائنا ومن هم ضمن مسؤوليتنا، وأن نقوم بالنصح والإرشاد في كل الوسائل السلمية المتاحة لنا.

6.1.3. التولّي

ومن المقاصد التي بينّتها السورة الكريمة أيضاً: التولّي والإعراض، الذي يدل عليه النَّص الشَّرعي في قوله –Y–: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾،[403] حيث جاء هذا الوعيد من الله –I– للمؤمنين بالاستبدال إن هم أعرضوا عن الإنفاق في سبيله بعدما دعاهم لينفقوا من أموالهم في سبيل الله –Y–. ومعنى التَّولي: "تَوَلَّى العملَ، أي تقلّد. وتَوَلَّى عنه، أي أعرض. وولى هاربا، أي أدبَرَ. وقوله –Y–: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾،[404] أي: مستقبلها بوجهه.[405] والتولّي: هو الإدبار والإعراض، ومنه قوله –Y–: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾،[406] أي قالت اليهود: ما عَدَلَ المسلمين عن قبلة بيت المقدس.[407] ورد في القرآن الكريم التَّولي على أنواع منها: التَّولي عن الدِّين، هو نوع من أنواع الكفر باللّه، وهو أن يُعْرِض الشَّخْص عن دين الله، وعن شريعته وآياته، وجاء الوعيد في القرآن الكريم لهؤلاء المُعْرِضين، كما في قوله –Y–: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾.[408] نزلت هذه الآية بِمَن كَذَّب بالرُّسُل من الأمم السابقة، وتأويلها أن لا أحد أظلم مِمَّن وعظ بآيات الله ثُمَّ أعرض عنها، فلو اعتبر بما جاءه لكان فيه نجاته أو أن يكون تذكيره بآيات ربه وهو ما أقام من حُجَجِه وبَراهِينه على توحيده ورسالة الرُّسُول، فلم يقبلها ولم يصدقها؛ بل كفر بها وصَدَّ عنها.[409] وكذلك جاء قوله –Y–: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴿128﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.[410] والمقصود من هذه الآية بيان أنَّ

---

[403] محمّد، 47/ 38.

[404] البقرة، 2/ 148.

[405] الجوهري، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، VI، ص.2529.

[406] البقرة، 2/ 142.

[407] ابن سيده، *المحكم والمحيط الأعظم*، X، ص.460.

[408] الكهف، 18/ 57.

[409] الماتريدي، محمّد بن محمّد بن محمود، أبو منصور، *تفسير الماتريدي*، تح: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1426هـ، 2005م، VII، ص.187.

[410] التوبة، 9/ 128–129.

الكفَّار لو أعرضوا ولم يقبلوا هذه التكاليف لم يدخل في قلب الرسول حُزْنٌ ولا أَسَف، لأنَّ الله حَسْبُه وكافيه في نصره على الأعداء.[411] والنوع الثاني من التولّي الذي جاء في القرآن الكريم هو التَّولي عن الواجبات والشرائع التي كلَّف الله –Y– بها عباده، فتولَّوا عن أدائهم هذه الواجبات، كما جاء في قوله –Y– حاكياً عن بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾.[412] حيث أمر الله –Y– بني إسرائيل بأوامر، منها: عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، والإحسان إلى الوالدين والأقارب، وأمرهم: أن يقولوا للناس قولاً حسناً، وأن يقيموا الصلاة ويأتوا الزكاة، فأخبر أنَّهم تولَّوا عن كل ذلك وتركوه وراء ظهورهم، وأعرضوا عنه على عمد بعد العلم به، إلا القليل منهم.[413] وقوله –Y– في الذين تخلّفوا عن الجهاد في سبيل الله في معركة أحد، فقال –Y– عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾.[414] فبيَّن –Y– في هذه الآية أنَّ الذين استدبروا وتخلَّفوا منكم أيَّها المؤمنون جُبْناً وَرَهْبَة بلا شائبة كفر ونفاق، وقت التقاء الصَّفين للقتال؛ إنَّما استزّلهم الشيطان، وأزال قدمهم عن التثبّت وذلك بسبب شؤم بعض أعمالهم المتعلقة بالتسهيلات التي زيَّنَت لهم نفوسهم، والتي هي من جند الشياطين.[415] وإنَّ للتَّولي والإعراض أسباب كثيرة وقع فيها كثير من الناس، ومنها: ضَعْف الإيمان باللّه –Y–. يعيش العبد في الدنيا مُتَراوِحاً بين شهواته ونفسه الأمَّارة بالسوء، وبين الشيطان المغوي له وأصحاب السُّوء الذين يُصاحِبُهُم، وضَعْف في الإيمان واليقين، وضَّعْف في القلب ومرارة الصبر، وميل النفس إلى زهرة الحياة الدنيا، فكُلُّ هذه الأسباب تُعيق من ثباته على الإيمان.[416] فَحُبُّ الدنيا والرُّكُون إليها يكون سبباً في الإفضاء إلى خاتمة سوء، وهو غلبة الفرح بأسبابها مع ضعف الإيمان المُوْجِب لضعف حُبِّ الله –I–، فمن كان في قلبه حُبُّ الله غَلَبَ على حُبِّ الدنيا، وإن كان يُحِبُّ الدنيا أكثر فهو في خَطَرٍ؛ لأنَّ حُبَّ الدنيا رأس كل خطيئة وهو المَرَض

---

[411] الرازي، *مفاتيح الغيب*، XVI، ص.179.

[412] البقرة، 2/ 83.

[413] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، ا، ص.317.

[414] آل عمران، 3/ 155.

[415] النخجواني، *الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية*، ا، ص.131.

[416] ابن قيم الجوزية، *إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان*، تح: محمّد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، دون: ط، 1395هـ، 1975م، اا، ص.164.

العِضَال، وقد أصاب كثير من الخلق، وذلك كُلُّه لِقلَّة المعرفة باللّه –Y–.[417] ومن الأمراض الجليَّة التي تكون سبباً في الإعراض عن دين الله –Y– هو الاستكبار والاستعلاء على الدِّين وعلى من يقومون بالدعوة من الأنبياء والمرسلين والدعاة إلى دين الله –I–، كما قال الله –Y– عن قوم نوح لما صدّوا عن دعوة نبيهم نوح –υ–: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴿5﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴿6﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾.[418] حيث بيَّنت هذه الآية أنَّ سيِّدنا نوح عليه السلام دعاهم ليلاً ونهاراً، دائباً من غير فتور، مُسْتَغْرِقاً كل الأوقات، فلم تزدهم هذه الدعوة إلا هَرَباً منه، فازدادوا عنده فراراً، فزادهم رِجْساً إلى رِجْسِهِم، دعاهم ليتوبوا عن كفرهم فيغفر الله لهم، فسدّوا مسامعهم عن استماع دعوته، واستغشوا ثيابهم وتغطّوا بها، كأنَّهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم، أو تغشيهم لِئَلَّا يبصروه كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم في دين الله، واستكبروا وأخذتهم العزّة من اتّباع نوح وطاعته.[419] وقال –Y–: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾.[420] إنَّ هؤلاء أضمروا الاستكبار والعناد عن دين الحَقِّ في قلوبهم، كما قال –Y–: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾،[421] والعتو هو مجاوزة الحَدِّ في الطغيان، وبلوغ أقصى غاياته، وهكذا من جَهِلَ قَدْرَ نَفْسِهِ ولم يقف عند حَدِّه، ومن جَهِلَت نَفْسُه قَدْرَه رأى غيرَه منه ما لا يَرى.[422] إنَّ للتَّولي عن دِين الله نتائج كثيرة تَعْقُب من أعرض وتولَّى عن ذكر الله –I–، فقد ذكر القرآن آيات في أحوال المعرضين، منها قوله –Y–: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴿124﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴿125﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾،[423] فالمُعْرِضُ عن دين الله تكون حياته ضيقة يعتريها القلق والكدر، كُلُّ ذلك بسبب إعراضه عن منهج الله، وكذلك يحشره الله يوم القيامة أعمى لا يستطيع أن يبصر في ذلك اليوم، الذي يكون فيه الناس بأمسِّ الحاجة إلى من ينقذهم.

---

[417] الغزالي، *إحياء علوم الدين*، IV، ص.176.

[418] نوح، 71/ 5–7.

[419] الزمخشري، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، IV، ص.616.

[420] الفرقان، 25/ 21.

[421] غافر، 40/ 56.

[422] القنوجي، *فتح البيان في مقاصد القرآن*، IX، ص.297.

[423] طه، 20/ 124–126.

7.1.3. دخول الجنة وتعريفها للمؤمنين

وعد الله –I– المؤمنين من عباده أن يدخلهم الجنّة، ويقوم بتعريفها لهم من خلال بيان مسكن كلّ واحد منهم، جاء ذلك المقصد في قوله –Y–: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾.[424] فمن كرامات المؤمنين عند الله –I– هي تعريفه لهم مساكنهم وأزواجهم من غير استدلال عليها فكأنَّهم سُكَّانها منذ خُلِقُوا، فيكون المؤمن أهدى إلى منزله وزوجته وخدمه ودرجته منهم إلى منزله وأهله في الدنيا.[425] وقال –Y–: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.[426] فالجنة وعدها الله المؤمنين، هي لهم ثواب بحكمه ووعده الذي وعده إيَّاهم.[427] وإنَّ الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الآخرة جنات تجري من تحتها الأنهار، مُجازاة لهم على إيمانهم وعملهم الصالح وصدقهم للَّه ولرسوله، فالمكافأة الربانية لهم يوم القيامة هي تلك البساتين العظيمة التي تجري من تحتها الأنهار، فيعطي ما شاء من كرامته أهل طاعته، وما شاء من الهوان أهل معصيته.[428] فإنَّ أعلى هدف للمؤمن في هذه الحياة بعد تحقيق العبودية للَّه –Y– هو أن يدخله الله الجنة التي هي دار القرار، حيث يتقرب إليه –Y– بكل عمل برٍّ وصلاح، ليفوز الفوز العظيم الذي يجعله خالداً فيها. بَشَّرَ الله –Y– المؤمنين بأنَّه سيُدْخِلهم الجنّة، بسبب أنَّهم صدَّقوا باللّه ورسوله، وقاموا بالعمل الصالح الذي يحبه الله ويرضاه، يدل على هذا المقصد قوله –Y–: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.[429] وإنَّ أهل التوحيد والإيمان جعلوا أعمالهم كُلَّها في مرضاة الله –Y–، وما يجلب لهم النفع يوم القيامة، فلم يلتفتوا إلى شهواتهم وأمنياتهم؛ بل فضلوا تطبيق أوامر الله –I– في سائر أحوالهم وتصرفاتهم، فوعدهم الله بأن يقضوا شهواتهم التي منعوها عن أنفسهم يوم القيامة، في جنات فيها البساتين، والأنهار التي تجري من تحتها.[430] جاء هذا الوعد للمؤمنين بعدما ثبتوا على طريق الحقِّ والرَّشاد الذي أرْسَل الله به الرُّسُل وأنزل الكتب، فمنعوا أنفسهم من حطام الدنيا الفانية، وتعلَّقوا بما عند الله من مغفرة للذنوب، وجنات وعدها الذين اتقوا

---

[424] محمّد، 47/ 6.

[425] المظهري، محمّد ثناء الله، *التفسير المظهري*، تح: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، باكستان، دون :ط، 1412هـ، VIII، ص.425.

[426] محمّد، 47/ 12.

[427] القرطبي، الجامع *لأحكام القرآن*، XII، ص.21.

[428] الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، XVIII، ص.579.

[429] محمّد، 47/ 12.

[430] الماتريدي، *تفسير الماتريدي*، IX، ص.269.

ربهم، وكما وعد الله –Y– المؤمنين بالجنة وما فيها من أنهار متنوعة؛ وعدهم بالثمرات من كل الأنواع، ولهم المغفرة من جميع الذنوب، جزاء لهم عن إيمانهم وتصديقهم باللّه –Y–: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾.[431] وإنَّ المؤمنين يحصلون على فنون الشراب الذي لا يتغير طعمه ولا يفسد، وليس كحال أشربة الدنيا التي يتغير طعمها ولونها، فهي لا تشبهها في الطعم، فشراب الجنة يختلف طعمه عن شراب الدنيا، ولهم من كل أنواع الطعام، ومن كل أصناف الثمار، ولهم مغفرة عظيمة من ربهم.[432] ولا تتحقق ولاية الله –Y– للمؤمنين إلا إذا نصروا دين الله، فولاية الله لا تكون إلا لعباده المؤمنين، وسبب هذه الولاية فإنَّهم جُنْدُ الله المنصورون الظاهرون على الكافرين، يدل على هذا المقصد قوله –Y–: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾.[433] من الثوابت الإيمانية التي أشارت إليها هذه الآية في كل زمان ومكان من كان الله مولاه فلا غالب له، وإنَّ سبب تدمير الكافرين وإظهار المؤمنين ونصره عليهم، كان ذلك بسبب أنَّ الله تولى من آمن به وأطاع رسوله،[434] وإنَّ الله –Y– تولَّى الذين آمنوا برحمته، فأخرجهم من الظلمات إلى النور، وتولَّى جزاءهم ونصرهم وهداهم إلى سبل السلام.[435] فالعبادة لله –Y– تعني الحُبَّ الخالص، والتذلل في العبادة كلهاّ له، من التوكّل، والخوف، والرجاء، والرجوع إليه، والاستئناس بذكره، والفرار إلى جواره، ونشاطه في جوارحه، بإقامة شرعه ودينه، وإيثار محبته وطاعته على من سواه، وضبط سلوكه وأفعاله، فبهذا يتحقّق معنى العبودية لله.[436]

2.3. الأحكام الشَّرعيَّة الخاصَّة بالمؤمنين

فرض الله –Y– على المؤمنين تكاليف وواجبات بينتها سورة محمد –ε– يتم الاستدلال على هذه الأحكام من خلال دلالة النصوص التي جاءت في السورة، وهنالك ارتباط وثيق بين المقاصد والأحكام الشرعية. فالمقاصد الشرعية هي: الغايات والأهداف من النصوص التي

---

[431] محمّد، 47/ 15.

[432] ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمّد بن المهدي الحسني، *البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، وحسن عباس زكي، القاهرة، دون: ط، 1419هـ، V، ص.364.

[433] محمّد، 74/ 11.

[434] الهرري، *حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن*، XXVII، ص.142.

[435] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1420هـ، 2000م، ص.785.

[436] عبد الكريم زيدان، *أصول الدعوة*، ص.21.

تخصّ الأمر والنهي والإباحة لتحقيقها في حياة المكلفين، ومن خلال تطبيقها في الأحكام الجزئية، ويمكن أن يطلق على هذه المقاصد اسم الحِكَم التي تُطلب من وراء تشريع الأحكام.[437] والأحكام الشرعية: هي خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير. أما الاقتضاء فإنه يتناول اقتضاء الوجود واقتضاء العدم إما مع الجزم أو مع جواز الترك فيتناول الواجب والمحظور والمندوب والمكروه وأما التخيير فهو الإباحة. والحكم الشرعي له أقسام تنوعت حسب طلب الشارع، "فالقسم الأول وهو من وجوه خطاب الله –Y– إذا تعلق بشيء فإما أن يكون طلبا جازما أو لا يكون كذلك، فإن كان جازما فإما أن يكون طلب الفعل وهو الإيجاب أو طلب الترك وهو التحريم وإن كان غير جازم فالطرفان إما أن يكونا على السوية وهو الإباحة وإما أن يترجح جانب الوجود وهو الندب أو جانب العدم وهو الكراهة".[438] وفي هذا المبحث سنقوم ببيان الأحكام الشرعية في السورة والخاصة بالمؤمنين؛ وبيان المقاصد التي جاءت بها الأحكام؛ لأن الله –Y– لم يُشرّع حكما إلا لهدف يكون وراءه، ومن هذه الأحكام:

1.2.3. القتال

إنَّ القتال من الأحكام الشَّرعيَّة المهمّة التي جاءت بها الشَّريعة الإسلامية لحفظ الضَّروريَّات، من الدِّين، والنفس، والمال، والنسل، فتارة يُسْتَخْدَمُ القتال كوسيلة لحفظ الدِّين، كما حدث في المعارك التي خاضها المسلمون في بداية الأمر للحفاظ على عقيدتهم، وتارة يُسْتَخْدَمُ لحفظ النفس والمال، كما حصل في معركة الأحزاب، عندما جاءت الجيوش لِتَسْتَأصِلَ المسلمين جميعهم لكنَّ الله –Y– رَدَّ عدوانهم ولم ينالوا شيئاً، فالقتال هو السِّمَة البارزة في سورة مُحَمَّد –ε–، وهو العنصر الأساسي الذي تدور عليه السورة، ويدل على هذا الحُكم قول الله –Y–: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾.[439] أن كلمة "لَقِيتُم" المذكورة في الآية تعني عندما

---

[437] القرضاوي، *دراسة في فقه مقاصد الشريعة*، دار الشروق، القاهرة، ط: 1، 2006م، ص.20.

[438] الرازي، أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، *المحصول*، تح: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 3، 1418هـ، 1997م، ص89– 93.

[439] محمّد، 47/ 4.

تقابلون أشخاصًا وأنتم في حالة الحرب، والمقصود في هذه العبارة هم المشركون.[440] والقتال: مأخوذ من مادَّة قتل، وهو إزالة الروح كالموت لكنّه إذا كان بفعل المتولّي يُقال له قَتْل، وإذا كان بفعل فَوات الحياة يُقال له موت، ويأتي بمعنى الإذلال، يُقال: قتلت الخمر بالماء، أي: مزجتها، وقتلت فلاناً، أي: أذللته، والقتلة "بكسر القاف" تعني الهيئة.[441] وقال ابن فارس: قتل: "القاف، والتاء، واللام"، أصل صحيح يدلّ على إذلال وإماتة، يُقال: قتله قتلاً، والقتلة: هي الحال التي يُقتَل عليها والمواضع التي يُصابُ بها الإنسان، يُقال: لها مُقاتِل.[442] لذلك فالقتال: "هُوَ الصَّدُّ عَنْ الشَّيْءِ بِمَا يُؤَدِّي إلَى الْقَتْلِ".[443] ومعنى "ضَرْبَ الرِّقَابِ": أي اضربوا الرِّقاب ضرباً، منصوب على الأمر، وتأويله أُقتلوا الذين كفروا إذا لقيتموهم، بضرب أعناقهم، وهو كناية عن التشنيع من قتلهم، إذ ليس المقصود به ضرب العنق فقط لأنَّ الله –Y– يقول في موضع آخر: ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾،[444] فأعلمهم الله –Y– كيف القصد من القتل.[445] وضَرْبَ الرِّقاب: هو المجاز المُرْسَل عن القتل، وصُوِّر له بأبشع الصور؛ لأنَّ الرأس أشرف موضع في الجسم، فإذا قُطِعَ الرأس وَضَلَّ مُلقى على الأرض، فتلك الصورة يبقى أثرها شنيعاً، ومنه تشجيع المؤمنين على قتال الكافرين في الحرب.[446] والقتال هو القسم الأخير من أقسام الجهاد، وهو استخدام السلاح في الحرب ضدّ الأعداء، ويَقْصُد به أكثر العلماء أنَّه الجهاد، غير أنَّه مُغاير في الاشتقاق اللغوي عن الجهاد.[447] وعرضت سورة محمد تطبيقات خاصة باحوال الكافرين والتي آلت إليها أحوالهم، بسبب محاربتهم للنبي وأصحابه، ومن هذه التطبيقات: القتل والأسر.

القتل والأسر:

---

[440] هاشم أوزداش، *Kur'ân Âyetleri Işığında Savaş Esirlerinin Durumu* (*حالة أسرى الحرب في ضوء الآيات القرآنية9*، ص.15.

[441] المناوي، زين الدين محمّد بن علي الحدادي، *التوقيف على مهمات التعاريف*، عالم الكتب، القاهرة، ط: 1، 1410هـ،1990م، ص.268.

[442] ابن فارس، معجم *مقاييس اللغة*، V، ص.56.

[443] ابن العربي، القاضي محمّد بن عبد الله أبو بكر المعافري، *أحكام القرآن*، تح: محمّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 3، 1424هـ، 2003م، II، ص.428.

[444] الأنفال، 8/ 12.

[445] الزجاج، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل، *معاني القرآن وإعرابه*، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط: 1، 1408هـ، 1988م، V، ص.6.

[446] الآلوسي، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، XIII، ص.196.

[447] القرضاوي، *فقه الجهاد*، مكتبة وهبة، القاهرة، ط:3، 2009م، I، ص.55.

إنَّ الأمر بقتل وأسر الأعداء هو من التطبيقات الشَّرعيَّة التي جاءت بحق الكافرين، والتي عرضتها سورة محمّد في الآية الرابعة منها، يدل على هذا الحكم الشرعي قوله –Y–: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾.[448] والقتل والأَسْر للأعداء جاء من جانب العدم لحفظ الدِّين، الذي يُعَدُّ من الضروريّات التي يجب المحافظة عليها، والذي يكون من مخلّفات الحرب، والأسير في كتب اللغة، وهو الذي يُربط بالْقِدّ،[449] حتى صار أسيراً، ومنه يُقال: أسرت الرجل أسراً وإساراً، فهو أسيراً ومأسور، والجمع أسرى وأسارى.[450] أمّا في الاصطلاح: الأسير: هو الذي وقع في أيدي المسلمين، وكان من الرجال الذين يقاتلون في المعركة يُسمَّى أسيراً، وهو المأخوذ قهراً، أصله الشدُّ، فإنَّ من أُخِذَ قهراً شُدَّ غالباً، فسُمِّيَ المأخوذ أسيراً وإن لم يُشَدّ الأسير، والأسارى: هم الذين جاؤوا بالوثاق والسجن.[451] فَشُدُّوا الْوَثَاقَ: بالفتح، وتجيء بالكسر، اسم الشيء الذي يوثق به كالرباط.[452] وهنالك ألفاظ لها صلة بمعنى الأسر نورد منها:

1. السَّبْي: هو الأسر، وسبيت العدو سبياً وسباء، إذا أسرته، والمرأة تُسْبِي قلب الرجل أي تأسره. وسبيت الخمر سباء لا غير، إذا حملتها من بلد إلى بلد، فهي سبية.[453]

2. الرَّهينة، وهي من المرادفات اللغوية عن الأسر، وكما ذكر تعريفها ابن الأثير: هي الرَّهن، والهاء جاءت للمبالغة، كالشتيمة والشتم، ثمَّ استعملا بمعنى المرهون، فقيل: هو رُهِنَ بكذا، ورهينة بكذا.[454] وجاء تعريف الرَّهينة في "معجم اللغة العربية المعاصرة": وهو الشخص الذي تسلمه سلطة إلى سلطة أخرى لتظهر حسن النية في تنفيذها لمعاهدات، أو ولاءات، أو إجراء عمليات ضغط على حكومات ما لتنفيذ رغباتها.[455]

---

[448] محمّد، 47/ 4.

[449] "القدُّ" وهو سير يُصنَع من جلد غير مَدْبوغ. الفراهيدي، *كتاب العين*، V، ص.17.

[450] الجوهري، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، II، ص.578.

[451] الكفوي، *الكليات*، ص.114.

[452] القِنَّوجي، محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله، *نيل المرام من تفسير آيات الأحكام*، تح: محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، 2003م، ص.419.

[453] الجوهري، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، VI، ص.2371.

[454] ابن الأثير، الجزري مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمّد، *النهاية في غريب الحديث والأثر*، تح: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمّد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ط:1، 1399هـ، 1979م، II، ص.285.

[455] أحمد مختار، معجم *اللغة العربية المعاصرة*، II، ص.953.

3. الحَبْس: وهو من المرادفات الأخرى للأسر ويعني موضع للمحبوس، فالمحبس يكون سجناً ويكون فعلاً كالحبس. والحبيس في سبيل الله هي الفرس تجعل في سبيل الله.[456]

4. المَنّ: جاء تعريف المَنّ في كتب اللغة: المنّ، منّ يَمُنُّ مَنَّاً، وهو الصنيع الجميل، والمنّة من باب القوة التي بها قوام الإنسان.[457] المَنُّ: بمعنى الإنعام، ويأتي بمعنى التقريع، مثل ما جاء في قوله –I–: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾،[458] ويأتي المَنُّ بمعنى القطع.[459] وجاء أيضاً في تعريف المَنِّ: أنَّه من العطاء؛ أنَّ المنة تأتي بمعنى الإحسان الذي لا يطلب الجزاء عليه.[460] وجاء في "التوقيف على مهمات التعاريف": المنّ، وهو أن يتم إطلاق سراح الأسير الكافر الذي يقع في أيدي المسلمين من غير مقابل.[461]

5. الفداء: جاء تعريف الفداء في كتاب "العين": بأنَّه جمع فدية وهي ما تفدى به، وتفادي وفديته، وتفدية، وأفديك وتفادى القوم، أي أستتر بعضهم ببعض.[462] والفداء من باب فكاك الأسير، يقال: فداه يفديه فداء، والمفاداة، إذا أعطى فداءه وأنقذه، أو فداه بنفسه، أو يُقال: المُفاداة هي فكاك الأسير بأسير مثله.[463] وفي "التعريفات للجرجاني" الفداء: هو أن يترك الأمير الأسير الكافر ويأخذ مالاً أو أسيراً مسلماً مقابله، والفدية والفداء: هو البدل الذي يكون بدلاً عن إنسان يدفع من مكروه توجه إليه.[464] والفداء: هو ما يُقدَّم من مال لخلاص الأسير، ومنه قوله –Y–: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾،[465] والفداء ما يُقدَّم جزاء لتقصير العبد تجاه الله –I–، مثل كفارة الصوم وغيرها.[466]

---

[456] الفراهيدي، *كتاب العين*، III، ص.150.

[457] ابن فارس، معجم *مقاييس اللغة*، V، ص.267.

[458] الحجرات، 49/ 17.

[459] الحميري، نشوان بن سعيد اليمني، *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*، تح: حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي الإرياني، يوسف محمّد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط: 1، 1420هـ، 1999م، IX، ص.6198.

[460] ابن الأثير، الجزري، *النهاية في غريب الحديث والأثر*، IV، ص.365.

[461] المناوي، *التوقيف على مهمات التعاريف*، ص.317.

[462] الفراهيدي، كتاب العين، II، ص.82.

[463] ابن الأثير، الجزري، *النهاية في غريب الحديث والأثر*، III، ص.421.

[464] الجرجاني، *التعريفات*، ص.165.

[465] محمّد، 47/ 4.

وذكر الماوردي (ت: 450هـ): الأسرى، هم مقاتلوا الكفار الذين ظفر بهم المسلمون من خلال حرب حصلت بينهم.[467] ودين الإسلام شُرِّع لكل شيء فيه قانوناً خاصاً به، وهو من المقاصد الجزئية التي عالجت كل مفردة من مفرداته، والأسير: هو المقاتل الذي وقع في الحرب أسيراً من جيش العدو وكان من المحاربين، له أحكاماً خاصة به في الفقه الإسلامي تنوعت على تنوع المذاهب، فكل مذهب له رأي في الأسرى، وإن يَكاد يكونوا مجتمعين على الخيار للحاكم بين القتل والمنّ والفداء، إشارة إلى قوله –Y–: ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾،[468] واختلفوا بين الأولويات في الأحكام، ولكنهم اتفقوا على ما جاء في الآية، نورد الآراء للمذاهب لنتعرّف على مذاهبهم في الأسرى من الكفّار الذي صاروا في أيدي المسلمين:

ذهب الحنفية إلى أن حكم الأسير هو القتل أو يجعل فيئاً، او يُفادى به من أسرى المسلمين، والأمر للإمام يفعل الذي فيه خير للمسلمين، وكانوا يكرهون أن يُفادى أسرى المشركين بالمال.[469] وأمَّا النساء والذَّراري،[470] فلا يجوز قتلهم سواء كانوا من العرب أو من العجم؛ لأنَّ بقائهم يعود بمصلحة للمسلمين.[471] وأما مذهب الشافعيّة فأَمْرُ الرِّجال مَرهون في اجتهاد الحاكم يخير بين قتلهم، أو استرقاقهم، أو المنّ عليهم، أو فدائهم، أو حبسهم حتى يرى في أمرهم، وأمَّا النساء والذَّراري، يُسْتَرقون بنفس السَّبي.[472] لإنَّ الله أنزل في أمرهم المنّ والفداء، فجعل أمرهم للنَّبيِّ –ε– بالخيار إن شاء قتلهم، أو استعبدهم، أو فاداهم، ولا يكون فرق بين

---

[466] سعدي أبو حبيب، *القاموس الفقهي لغة واصطلاحا*، دار الفكر، دمشق، ط: 2، 1408هـ، 1988م، ص.281.

[467] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، *الأحكام السلطانية*، دار الحديث، القاهرة، دون: ط، ص.207.

[468] محمّد، 47/ 4.

[469] الشيباني، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد، *السير*، تح: مجيد خدوري، الدار المتحدة، بيروت، ط: 1، 1975، ص.249–250.

[470] الذراري، جمع ذرية، وهي الأولاد. ابن منظور، *لسان العرب*، ا، ص.80.

[471] السمرقندي، محمّد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين، *تحفة الفقهاء*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2، 1414هـ، 1994م، III، ص.302.

[472] الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمّد، *نهاية المطلب في دراية المذهب*، تح: عبد العظيم محمود الدّيب، دار المنهاج، جدة، ط: 1، 1428هـ، 2007م، XVII، ص.434.

كافر وآخر.[473] وكل ما حصل مما غنم من أهل دار الحرب قسم كله إلا الرجال البالغين فالإمام فيهم بالخيار بين أن يمنَّ على من رأى منهم، أو يقتل، أو يفادي، أو يسبي، وكذلك فعل رسول الله –ε– في أسارى بدر: منَّ عليهم، وفداهم، والحرب بينه وبين قريش قائمة. وعرض على ثمامة: أن يمن عليه، وهو يومئذ وقومه في حرب مع رسول الله –ε–.[474] أمَّا مذهب الحنابلة فإنَّ الحاكم مخير، إن رأى قتلهم، أو منَّ عليهم وأطلقهم بلا عوض، أو على مال يأخذه منهم، أو فادى بهم، أو استرقهم، أي ذلك رأى فيه نكاية للعدو وحظا للمسلمين فعل، هذا بالنسبة لأسرى أهل الكتاب والمجوس؛ أمَّا بالنسبة إلى بقية الكفار فيُخيَّرُ الحاكم بين القتل والمنّ والفداء، أمَّا الاسترقاق ففيه روايتان، الأولى إن أسلموا استرقوا في الحال، ولا يُوجَد تخيير، وإن فادوا أنفسهم بأموال فهي من الغنائم، والأطفال والنساء فيكونوا من الرقيق بنفس السبي.[475] ومذهب المالكيّة في الأسرى، الحاكم مُخيَّر في أمرهم في خمس خصال، الأولى: قتلهم، والثانية: استرقاقهم، والثالثة: المنّ عليهم، والرابعة: فدائهم، والخامسة: عقد الذمة فيهم، ومن أسلم منهم فأرضه ملكاً له، ومن فُتِحَت أرضهم عُنْوة فلا تُرَدُّ إليهم وتكون غنيمة للمسلمين.[476] ذكر ابن الأثير: أنَّ التخيير في أمر الأسرى ليس أمر هوى، لكنَّه مَحَطُّ اجتهاد في نظر المسلمين، فإذا كان الأسير من أهل النجدة والفروسية والفتك بالمسلمين، قتله حاكم المسلمين، وإن لم يكن على الصفة المبينة جاز أن يُسْتَرَقَّ للمصلحة، ويُقْبَل فيه الفداء، إن بُذِلَ فيه أكثر من قيمته، وإن لم تُبْذَل قيمته، جاز عتقه مثل المرضى والضعفاء الذين لا طاقة لهم بالفداء.[477] استحقّ الكافرون القتل والأسر بسبب كفرهم وصدّهم عن دين الله–Y–، فأمر الله –Y–المؤمنين

---

[473] أبو البقاء، كمال الدين، محمّد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري، *النجم الوهاج في شرح المنهاج*، تح: لجنة علمية، دار المنهاج، جدة، ط: 1، 1425هـ، 2004م، IX، ص.343.

[474] البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، *أحكام القرآن للشافعي – جمع البيهقي*، كتب هوامشه : عبد الغني عبد الخالق، قدم له : محمد زاهد الكوثري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط : 2 ، 1414هـ، 1994م، ص.159.

[475] ابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ثم الدمشقي الحنبلي، *المغني لابن قدامة*، مكتبة القاهرة، دون طبعة، 1388هـ، 1968م، IX، ص.315، والكلوذاني، محفوظ بن أحمد بن الحسن، أبو الخطاب، *الهداية على مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل الشيباني*، تح: عبد اللطيف هميم، ماهر ياسين الفحل، مؤسسة غراس، دون، م، ط: 1، 1425هـ، 2004م، ص.210.

[476] القاضي، عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي، *التلقين في الفقة المالكي*، تح: أبي أويس محمّد بو خبزة الحسني التطواني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1425هـ، 2004م، ا، ص.95.

[477] ابن رشد، أبو الوليد محمّد بن أحمد القرطبي، *المقدمات الممهدات*، تح: محمّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1408هـ، 1988م، ا، ص.367.

بأسر الأعداء إذا أكثروا من قتلهم، حتى يضعفوا ويثقلوا عن النهوض ويحكموا من شدّ وثاقهم، وأنَّ الله –Y– بيّن الغاية من تشريع القتال والأَسر، حتى يضع الأعداء المحاربون أوزارهم، وهو سلاحهم بالهزيمة أو الموادعة. وروي عن الحسن (ت:110هـ)،[478] وعطاء (ت:114هـ)،[479] أنهما قالا: "في الآية تقديم وتأخير، والمعنى: فضرب الرقاب حتى تضع الحرب أوزارها، فإذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق".[480] فأباح الله –Y– بهذه الآية أسرهم إذا أثخنتهم الجراح، وبيَّنَ أن أمرهم إلى الإمام، فإن شاء منّ عليهم بإطلاق من غير فداء، وإن شاء فادى، وإن شاء قتل، على ما يراد الأصلح للإسلام والمسلمين.[481] والإسلام يعامل الأسرى معاملة إنسانية رحيمة، فمن أساسياته الإكرام والإحسان لهم، فقد امتدح القرآن من برَّهم وأسدى لهم معروفا،[482] لقوله –Y–: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾،[483] ولقوله –ε–«فُكُّوا الْعَانِيَ، وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ».[484] وقد ذكر الزمخشري (ت:538هـ) في تفسيره، أنَّ رسول الله –ε– كان يدفع بالأسير إلى بعض أصحابه ويقول، أحسن إليه، فيُؤْثِر به على نفسه، ويكون عنده اليوم واليومين. ويجوز الإحسان إلى الكفار في دار الإسلام.[485] وكان –ε– يرحم الأسير عندما يرى اضطراره.[486] لم يفعل المسلمون شيئا جديدا في قانون الأسر الذي كان سائدا في ذلك الوقت، حيث كان موضوع الأسرى بين القتل والاسترقاق شائعا بين العرب، بل كان النبي –ε– يطلق

---

[478] هو أبو سعيد، الحسن بن يسار البصري، تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء، ولد بالمدينة، وشبَّ في كنف علي بن أبي طالب؛ الزركلي، *الأعلام*، II، ص.226.

[479] عطاء بن أسلم بن صفوان: تابعيّ، من أجلاء الفقهاء. كان عبدا أسودا، ولد في جند "باليمن" ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم، وتوفي فيها؛ الزركلي، *الأعلام*، IV ص. 235.

[480] الشوكاني، محمّد بن علي بن محمّد بن عبد الله اليمني، *فتح القدير*، دار ابن كثير، دمشق، دون: ط، V، ص.37.

[481] الكيا الهراسي، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، أحكام القرآن، تح: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2، 1405هـ ص.373.

[482] السيد سابق، *فقه السنة*، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط: 21، 1420هـ، 1999، III، ص.63.

[483] الإنسان، 76/ 8.

[484] الدارمي، أبو محمّد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد، *سنن الدارمي*، تح: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، الرياض، ط: 1، 1412هـ، 2000م، 2508، باب في فكاك الأسير.

[485] الزمخشري، الكشاف *عن حقائق غوامض التنزيل*، IV، ص.668.

[486] الخركوشي، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، *شرف المصطفى*، دار البشائر الإسلامية، مكة المكرمة، ط: 1، 1424هـ، VI، ص.337.

سراح من وقع أسيرا بيد المسلمين من غير عوض، واستمر على ذلك حتى وفاته، كما تصرف الخلفاء الراشدون بهذه الطريقة.[487] وإنَّ العالم اليوم كله بحاجة إلى أن يعرف أنَّ الإسلام يتعامل بالإحسان حتى مع أعدائه الذين يحاربوه، فهذا من محاسن الإسلام، وسُمو تعاليمه السماوية التي تدعو إلى الرفق حتى بأعدائه.[488] وعُرِضَ على النَّبيِّ –ε– رأيان في أسرى معركة بدر، الأول: وهو رأي أبي بكر الصديق، إذ قال نفاديهم، والثاني: قول عمر بن الخطاب، الذي قال بقتلهم، فمال النَّبيُّ –ε– إلى رأي أبي بكر، وذلك لما فيه من الرحمة التي غَلَبَت الغضب، وحصول الخير الكثير من إسلام أكثر الأسرى الذين كانوا بيدي المؤمنين، وخروج المسلمين من أصلابهم، وحصول القوة للمسلمين بالمال الذي فادوا به، وكان رأي أبي بكر هو الأرجح، وذلك لاستقرار الأمر عليه؛ ولموافقة الله –I– عليه، وجاء ذلك من نظرة أبي بكر للأمر، حيث إنَّ جانب الرحمة تغلب جانب العقوبة.[489] وذكر ابن قيم الجوزية في مسألة بكاءه –ε–؛ أنَّها لم تكن في عدم الأخذ برأي عمر، فقال: وفي مسألة بكاء النَّبيِّ –ε– وأبي بكر الصديق، فكان رحمة لنزول العذاب على من أراد الدنيا، وليس المقصود به رسول الله –ε– وأبي بكر؛ وإنَّما أراد بعض الصحابة لأنَّ الفتنة لا تصيب خاصّة، وإنَّما تكون الإصابة بها عامّة.[490] والمنّ على الأسير من مكارم الأخلاق، ولهذا كانت العرب تفتخر به، كما قال شاعرهم: ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم.[491] وفي وقتنا الحاضر أصبحت عهود ومواثيق بين الدول تُوجِب الرِّفق بالأسرى، والإسلام ليس ببعيد عن هذا الأمر؛ لأنَّ الرِّفق بالأسير من ثوابته،[492] وهو من مقاصد الشريعة الإسلامية التي تحافظ على النفس من جانب الوجود، فمعاملة الأسرى بالحسنى تُبَيِّن جمالية الشريعة الإسلامية التي تتعامل بالرفق حتى مع أعدائها الذين شهروا السلاح بوجه دعاتها، وتفنيد أقوال الذين يَزْعُمون أنَّ دين الإسلام دين وحشية

---

[487] هاشم أوزداش، *Kur'ân Âyetleri Işığında Savaş Esirlerinin Durumu (حالة أسرى الحرب في ضوء الآيات القرآنية)*، رسالة قدمت لنيل شهادة الدكتوراة من جامعة وان يوزنجوبيل، معهد العلوم الاجتماعية، قسم العلوم الإسلاميّة الأساسية، شعبة التفسير، الجمهورية التركية، 2019م. ص.128.

[488] الشنقيطي، محمّد الأمين بن محمّد المختار بن عبد القادر الجكني، *أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن*، دار الفكر، بيروت، دون: ط، 1415هـ، 1995م، VIII، ص.395.

[489] ابن قيم الجوزية، *زاد المعاد في هدي خير العباد*، II، ص.63.

[490] ابن قيم الجوزية، *زاد المعاد في هدي خير العباد*، II، ص.63.

[491] الشوكاني، *فتح القدير*، V، ص.37.

[492] هاشم أوزداش، *Kur'ân Âyetleri Işığında Savaş Esirlerinin Durumu (حالة أسرى الحرب في ضوء الآيات القرآنية)*، ص.196.

وهمجية وبربرية ولا يعرف إلا القتل والدمار، فآراؤهم مردودة عليهم؛ لأنَّ العالم اليوم اصطلح على وجوب معاملة الأسير معاملة حسنة، وهذا ما دعا إليه الإسلام منذ أن جاء به نبينا محمد-ε-. ومَنَّ رسول الله -ε- على بعض أسرى بدر بغير مال، وكان معهم أبو عزة عمر بن عبدالله الجمحي عندما اشتكى حاله إلى النَّبيِّ-ε- فقال: صاحب عيال ومحتاج، فطلب من النَّبيِّ أن يَمُنَّ عليه، فَمَنَّ عليه رسول الله، وأنشد يقول:

"من مبلغ عنّي الرّسول محمّدا..... بأنّك حقّ والمليك حميد

وأنت امرؤ تدعو إلى الحقّ والهدى... عليك من الله العظيم شهيد

وأنت امرؤ بوّئت فينا مباءة..... لها درجات سهلة وصعود".[493]

والحكمة من الأَسْرِ أنَّها تُعْتَبَر كسر لشوكة العدو، ودفع آذاه، والابتعاد به عن ساحات القتال، وكذلك لفكّ قيد من أُسِرَ من المسلمين من خلال المفاداة بأسرى العدو الذين بين يدي المسلمين، وكذلك لبيان سماحة وعدل الإسلام من خلال المعاملة الجيدة للمأسورين الذين وقعوا بين أيديهم.[494] من ثمَّ فإنَّ الشريعة الإسلاميّة قد حرصت على حفظ النفس، وإن كانت من جانب العدو لأنَّ الشريعة الإسلاميّة قصدت حفظ النفس قصداً أصلياً، وهو المقصد الثاني بعد حفظ الدين، ولَمَّا لم يكن على الدِّين ضرر من حفظ نفس الأعداء، حفظته.

مقاصد القتال:

كُلُّ أمر من أمور الشريعة الإسلاميّة جاء لهدف، فلم يُشَرَّع حكم من أحكام الإسلام، سواء أكان من خلال أمر المسلمين أم نهيهم، إلا لمقصد أراده الله -Y-، ومن هذه المقاصد التي جاء بها الإسلام من خلال تشريع القتال:

أولاً: حماية حُرِيَّة العقيدة:

إنَّ لتشريع القتال أهداف سامية منها: حماية حريّة الدخول في دين الإسلام، إن كان هناك استضعاف للمسلمين في غير ديارهم، قال -Y-: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿39﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ

---

[493] الشامي، محمّد بن يوسف الصالحي، *سبل الهدى والرشاد*، في سيرة خير العباد، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1414هـ، 1993م، IV، ص.71-72.

[494] علي بن نايف الشحود، *الخلاصة في أحكام الأسرى*، دون، م، ط: 2، 1433هـ، 2012م، ص.5.

الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.[495] وشُرِّع الجهاد أيضاً: لإعلاء كلمة الله، ورفع رايته، وهيمنة شرعه، وهذا ما يعنيه قوله-Y-: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾،[496] والحكمة من تشريعه: هو للقضاء على الفتنة أينما وُجِدَت، في دولة أو قوة كافرة تصدّ الناس عن دين الله -Y-. وشُرِّعَ الجهاد أيضاً: حماية للمستضعفين من المسلمين في ديار الكافرين، قال -Y-: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾،[497] وكذلك شُرِّعَ الجهاد للدفاع عن النفوس والمحرمات والأوطان،[498] قال -Y-: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿39﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿40﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.[499] إذاً فتشريع الجهاد في سبيل الله جاء حماية لحرية العقيدة لمن آمن بالإسلام دستوراً ومنهاجاً للحياة، وقرَّر أن يدخل في هذا الدِّين، فَمِنْ واجب المسلمين القادرين على حمايته أن يوفروا له الأمن من كل قوة تهدده في حرية اعتناق عقيدته، ولا يعني ذلك إكراه الناس على الإيمان؛ وإنَّما استعلاء دين الله بحيث لا يخاف من أراد الدخول فيه من أيِّ قوة في الأرض.[500] وحماية حرية العقيدة ليس للمسلمين فحسب؛ إنَّما لكل صاحب عقيدة لهم الحق من أداء الشعائر والطقوس الخاصة بهم، سواء أكانوا ضمن الحكم الإسلامي أم غيره، إن اختار الإسلام يجب أن يكون عن قناعة ورضا، لا قهراً وإرغاماً، ذلك حتى تظل العقيدة قائمة في القلب والضمير، لأنَّها إن فُرِضَت بالقوة فسُرعَانَ ما تزول ولا يَبْقى لها أثر في القلب،[501] قال -Y-: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[502]

---

[495] الأنفال، 8/ 39-40.

[496] التوبة، 9/ 33.

[497] النساء، 5/ 74.

[498] عبدالله بن ابراهيم بن علي الطريقي، *الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي*، الرياض، ط: 2، 1414هـ، ص.98-99.

[499] الحج، 22/ 39-41.

[500] سيد قطب، *في ضلال القرآن*، I، ص.187.

[501] الزحيلي، وهبة مصطفى، *الفقه الإسلامي وأدلته*، VIII، ص.6209.

[502] يونس، 10/ 99.

ثانياً: حماية الشعائر والعبادات:

إنَّ من أهداف تشريع الجهاد في سبيل الله، حماية الشعائر العبادية، قال الله –Y–: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾.[503] حيث بيَّن الله –Y– في هذه الآية أنَّه يَدْفَع السوء والأذى عن المؤمنين بدينه إيماناً حَقّاً، بيَّن ذلك في مواضع عدّة من القرآن،[504] كما جاء في قوله –Y–: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾،[505] وقوله –Y–: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾،[506] وقوله –Y–: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾،[507] وقوله –Y–: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[508] وكذلك دفع الفساد في الأرض، قال –Y–: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.[509] لذلك فمن أساسيّات الإسلام عدم قبوله الإفساد في الأرض، بل جاء مُحارِباً للفساد والفاسدين، دلَّت على ذلك آيات كثيرة في القرآن الكريم، منها: قوله –Y–: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾.[510] ومن مقاصد الجهاد: تأمين دعوة الإسلام لذلك الدِّين الذي ارتضاه الله –I– ليكون المنهج القويم الذي تسير عليه الأمم، قال –Y–: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾،[511] وكذلك تأمين المسلمين الذين يدخلون في دين الإسلام، من بطش الأعداء، وتأمين منحهم لحقوقهم في الإعلان عن دينهم.[512]

ثالثاً: الابتلاء والتربية والإصلاح:

---

[503] الحج، 22/ 38.

[504] حكمت بن بشير بن ياسين، *موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور*، دار المآثر، المدينة المنورة ط:1، 1420 هـ، 1999 م، III، ص.418.

[505] الطلاق، 65/ 3.

[506] التوبة، 9/ 14.

[507] غافر، 40/ 51.

[508] الروم، 30/ 47.

[509] البقرة، 2/ 250.

[510] البقرة، 2/ 205.

[511] المائدة، 5/ 167.

[512] ابو شهبة، *السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة*، II، ص. 76.

من المقاصد العامّة للقتال: اختبار المسلمين وتربيتهم على الانقياد للأوامر الإلهيّة، قال –Y–: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾.[513] ولذلك فإنَّ الله –Y– قادر على أن يأخذ الكافرين بشتى أنواع العذاب من خَسْفٍ، أو رِيحٍ، أو غَرَقٍ، أو أيِّ نوع آخر، لكن جاء قتل الكافرين على أيدي المؤمنين ليختبر المؤمنين؛ فيتبيَّن الصابرون فيجزيهم على صبرهم المراتب العليا في الدنيا من النصر والظهور على الأعداء، وفي الآخرة يرفعهم أعلى الدرجات في الجنّة.[514] فاقتضت حكمة الله –Y– أن يختبر ويمتحن النفوس ويبتليها؛ ليظهر الطيّب من الخبيث، ويظهر من هو أجدر أن يكون من أولياء الله –Y– وأهل كرامته ومن لا يصلح لهذه الوظيفة العظيمة، ويكون ذلك من خلال الامتحان الذي يخضع له المؤمنون؛ ليخلصوا بكير الاختبار، مثل الذهب الذي يخلص من الشوائب عند تعرضه للنار الحامية؛ لأنَّ أصل النفس تحمل الجهل والظلام، ولا يخرج هذا الجهل والظلام إلا بالامتحان، فإذا نقي العبد من الذنوب أَذِنَ الله –Y– له بالدخول في الجنة.[515]

رابعاً: إرهاب الكفار ودفع عدوانهم:

إنَّ من مقاصد الجهاد في سبيل الله: هو إرهاب الكفار وجعلهم يحسبون للمسلمين حساباً في ميزان القوة والغلبة، والهدف من ذلك هو عدم قيام الكافرين بالاعتداء على المسلمين، قال –Y–: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.[516] أمر الله –Y– بإعداد القوة للأعداء بعد أن أكد في تقدمة التقوى؛ فإن الله –Y– لو شاء لهزمهم بالكلام، والتفل في الوجوه، وحفنة من تراب، كما فعل رسول الله –ε– ولكنه أراد أن يبلي بعض الناس ببعض، بعلمه السابق وقضائه النافذ؛ فأمر بإعداد القوى والآلة في فنون الحرب التي تكون لنا عدة، وعليهم قوة، ووعد على الصبر والتقوى بأمداد الملائكة العليا.[517]

خامساً: إقامة حكم الله ونظام الإسلام:

---

[513] محمّد، 47/ 4.

[514] القنوجي، *فتحُ البيان في مقاصد القرآن*، XIII، ص.52.

[515] ابن قيم الجوزية، محمّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، *زاد المعاد في سيرة خير العباد*، دار التوزيع والنشر الإسلامي، القاهرة، دون: ط، 1424هـ.، II، ص.40.

[516] الأنفال، 8/ 60.

[517] ابن العربي، *أحكام القرآن*، II، ص.421.

ومن مقاصد الجهاد في سبيل الله: هو إقامة حكم الله-Y-، ونظام الإسلام، لقوله -Y-: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾.[518] ومن مقاصده أيضاً: نشر السلام في الأرض، وتأمين أصحاب الأديان كل على دينه، مع احترام معتقداتهم؛ لأنَّ الإسلام ألزم المسلمين أن يؤمنوا بجميع الأنبياء والرسل وجميع الكتب المنزلة عليهم.[519] فالجهاد شُرِّع لدفع عدوان الكافرين، وجاء قوله-Y- تبياناً لذلك فقال: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿74﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾.[520] ومن أهدافه أيضاً: إعلاء كلمة الله -Y- لحديث النبي-ε- الذي قال فيه: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»،[521] ولنصرة المظلومين، ولرد عدوان من اعتدى على المسلمين وحرماتهم.[522] وجاء التوجيه للجماعة المسلمة بالقتال لحماية هذا المنهج، والتنديد بالمنافقين المتباطئين بالجهاد في سبيل الله، فجاء بيان أهداف القتال أنَّه لأجل إنقاذ المستضعفين من المؤمنين في دار الكفر إلى دار الإسلام؛ لتمتيعهم بالحياة الكريمة في ظل منهج الإسلام القويم، وبيان حقيقة الأجل والقدر؛ لتطهير القلوب من الخوف لغير الله.[523] فما أجمل تلك المقارنة بين حال المؤمنين الذين يقاتلون في سبيل إعلاء لكلمة الله -Y- ونشر رسالة السماء بين الناس، وبين الكافرين الذين يقاتلون في سبيل الطاغوت، سواء أكان هذا الطاغوت هو الشيطان، أم ما يمثله من خرافة وظلم وجهل وفسق وعبادة للأوثان.[524] من هنا يتبين لنا أنَّ أهداف الجهاد ومقاصده هي أهداف وغايات عظيمة وهي: تحرير الإنسان من كل مظاهر العبودية لغير الله، وكذلك لنشر دين الإسلام في الأرض كُلِّها، من مشرقها إلى مغربها، وبيانه للناس على الوجه الذي ارتضاه الله-Y-، من أجل أن يُنْعَمَ الناس بتعاليمه السمحة.

---

[518] النساء، 5/ 105.

[519] ابوشهبة، *السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة*، II، ص.78.

[520] النساء، 5/ 74-75.

[521] البخاري، *صحيح البخاري*، 2810، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

[522] سعيد بن علي بن وهف القحطاني، *الجهاد في سبيل الله*، مطبعة سفير، الرياض، دون: ط، ص.33.

[523] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، II، ص.606.

[524] الزحيلي، وهبة مصطفى، *التفسير المنير في العقيدة والشريعة*، V، ص.159.

2.2.3. الجهاد

ومعنى الجهاد من حيث اللغة: هو استفراغ الجُهْدِ في طلب الأعداء، وغُلِبَ استعماله شَرْعاً في الذَّبِّ عن دِين الإسلام.[525] فالجهاد مصطلح ديني يُرادُ به أن يقاتل المسلم في سبيل إعلاء كلمة الله –Y–، وتحقيق العدل والسلام، وهو أعمّ من القتال؛ لأنَّ القتال يكون بالسلاح من خلال المواجهة بين طرف الحقّ مع الباطل أو بالعكس، "وفيه بيان كيفية الجهاد، وما يجب التمسك به في محاربتهم، فبيّن أولا ما يجب عند لقاء الكفار، والمنعة قائمة، وهو ضرب الرقاب، لأن عند ذلك تجب هذه الطريقة"،[526] وينقسم الجهاد إلى ثلاثة أقسام: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الأعداء من الكفار والمنافقين، وكما بيَّن ذلك ابن قيم الجوزية في كتابه "زاد المعاد": فجهاد النفس يكون من خلال مجاهدة المسلم لنفسه في منعها من الوقوع في المنكرات، واقتراف السيئات؛ لأنَّ النفس تشبه العدو الذي يحاول أن يُوقِعَ خَصْمَه في المَهالِك، أخبر النَّبيُّ –ε– أنَّ النفس عَدُوَّةً لصاحبها، كما جاء في الحديث: «لَيْسَ عَدُوُّكَ الَّذِي إِذَا قَتَلَكَ أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ، وَإِذَا قَتَلْتَهُ كَانَ لَكَ نُوراً، أَعْدَى عَدُوٍّ لَكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ».[527] وجهاد النفس له مراتب، الأولى: أن يُجاهِد المسلم نفسه على تَعَلُّم الدِّين الحَقِّ والهدى، الذي يجلب له الفلاح في الدنيا والآخرة، والثانية: أن يُجاهِد نفسه على العمل بعدما تعلَّم العلم؛ لأنَّ مجرد العلم لا ينفع بشيء بدون عمل، والثالثة: أن يُجاهِد نفسه على الدعوة إلى دين الله، بعدما تعلَّم الدِّين وعمل به، والرابعة: أن يُجاهِد نفسه على الصبر على الأذى الذي يصيبه من جراء مشقة الدعوة إلى الله من قبل الناس، ويصبر على أذاهم، فإنْ أتَمَّ هذه المراتب كُلَّها أصبح من الرَّبَّانيين الذين يَعْلَمون الحقّ، ويَعْمَلُون له، ويَدْعُون إليه.[528] ويجب على المسلم جهاد الشيطان لأنَّه عدو مبين ظاهر العداوة، كما بيَّن ذلك –Y– في كتابه، حيث قال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾،[529] وقال صاحب تفسير "فتح البيان في مقاصد القرآن" عن تفسير هذه الآية: إنَّ الشيطان عدو ظاهر في عداوته، فقد فعل بأبينا آدم ما فعل، وجاء التنكير للتعظيم من عداوته العامّة والقديمة والتي تدلّ على الاستمرار، وأمرنا الله –I– أن

---

[525] المناوي، *التوقيف على مهمات التعاريف*، ص.133.

[526] الكيا الهراسي، *أحكام القران*، IV، ص.373.

[527] الخرائطي، أبو بكر محمّد بن جعفر بن محمّد بن سهل بن شاكر السامري، *إعتلال القلوب*، تح: حمدي الدمرداش، نزار مصطفى الباز، الرياض، ط: 2، 1421هـ، 2000م، ص.26.

[528] ابن قيم الجوزية، محمّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، *زاد المعاد في سيرة خير العباد*، دار التوزيع والنشر الإسلامي، القاهرة، دون: ط، 1424هـ، II، ص. 38.

[529] الزمر، 35/ 6

نتخذه عدوا من خلال معاداته، وعدم طاعته، والحذر منه في جميع الأحوال والأفعال، فإنَّه يدخل بالرياء وتزيينه للقبائح.[530] ويكون جهاد الشيطان على مرتبتين، الأولى: أن يُجاهِد المسلم الشيطان على ما يحاول أن يلقيه من الشبهات التي تقدح في الإيمان، والثانية: أن يُجاهِده على دفعه ما يُلْقي إليه من الشَّهَوات الفاسدة، والجهاد الاوّل يأتي بعده اليقين الذي يزيل الشكوك والشبهات، والجهاد الثاني، يكون بعده الصبر الذي يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة.[531] وجهاد الكفار هو من أعلى مراتب الجهاد، ويكون على مراتب أربعة،: الجهاد بالقلب، والجهاد باللسان، والجهاد بالمال، والجهاد بالنفس.[532] فالجهاد بالقلب أقلُّ ما يملك المسلم من الجهاد للكفار، وهو أن يُجاهِد بقلبه بالرَّفْض لِمَا جاء به الكافرون، ولا يُجارِيهم على باطلهم؛ لأنَّ الإنسان يملك قوّة عظيمة في داخله، وهي المشاعر، من حبّ الله –Y–، وبغض الأعداء، وجهاد القلب أن يمنع المسلم من الانهزام أمام الباطل.[533] والمجاهد في سبيل الله –Y– هو من أتعب نفسه ابتغاء مرضاة الله، وإعلاء لكلمته التي تكون السبيل إلى جنته، ووراء ذلك جهاد القلب وهو دفع الشيطان وأذاه، ومنع النفس من مجاراة هواها، وجهاد اليد واللسان هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[534] ويكون الجهاد باللسان من خلال الحُجَّة والبُرْهان الذي يُحاجُّ به المسلم عند الكافر الذي لا يؤمن باللّه ولا بالدِّين، وكان هذا هو أوّل ما جاهد به النَّبيُّ –ε– الكافرين في مكّة عندما قال الله –Y–: ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾.[535] وذكر الطبري (ت: 310هـ)عن هذه الآية: وجاهدهم بهذا القرآن جهاداً كبيراً، حتى يَنْقادوا للإقرار بما فيه من فرائض الله، ويدينوا به ويذعنوا للعمل بجميعه طوعاً وكرهاَ.[536] ومن أنواع الجهاد باللسان تلك الأشعار التي كان حسان بن ثابت يُنافِح بها عن رسول الله بالذَّبِّ عن دِينه وشريعته وسنته، وهو أفضل أنواع الجهاد كما أخبر بذلك النَّبيُّ –ε–،[537] فقال: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ».[538]

---

[530] القنوجي، *فتحُ البيان في مقاصد القرآن*، XI، ص.222.

[531] ابن قيم الجوزية، *زاد المعاد في هدي خير العباد*، II، ص.38.

[532] ابن قيم الجوزية، *زاد المعاد في هدي خير العباد*، II، ص.38.

[533] محمّد بن سعيد بن سالم القحطاني، *الولاء والبراء في الإسلام*، دار طيبة، الرياض، ط: 1، ص.377.

[534] الشامي، *سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد*، I، ص.460.

[535] الفرقان، 25/ 52.

[536] الطبري، *جامع البيان في تأويل القرآن*، XIX، ص.281.

[537] ابن الوزير، محمّد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني، *إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2، 1987م، ص.24.

ولا يَقِلُّ جهاد المال شأناً عن الجهاد بالنفس، تدّل على ذلك آيات كثيرة ذكر فيها الله –I– المال مقرونا بالنفس، كما في قوله –Y–: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.[539] ورغب الله –Y– المؤمنين في إنفاق أموالهم فقال: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿36﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿37﴾ هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾.[540] وذكر صاحب كتاب "المقدمّات المُمَهّدات": أنَّ الجهاد يكون على أربعة أقسام: جهاد القلب، واللسان، واليد، والسيف. أمَّا جهاد القلب: فيكون جهاداً النَّفْس والشيطان. والنَّفْس يُجاهِدُها بالنَّهْي عن الشَّهوات والمُحَرَّمات. وجهاد اللسان: يكون جهاداً للكفار من خلال الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وجهاد المنافقين يكون باللسان؛ لأنَّ الله –Y– نهى رسوله من إقامة الحدود عليهم لئلّا يقول الناس أنَّ رسول الله يَقْتُل أصحابه. وجهاد اليد: يكون بِزَجْرِ أهل المُنْكر والباطل والمعاصي عن تعطيلهم للفرائض والواجبات، ويكون ذلك بالتأديب بالضَّرْب من خلال إقامة الحدود مثل: حَدُّ الزنا، والقذف، وشرب الخمر. أمّا جهاد السيف: فيكون قتال الكفّار بالدِّين.[541] والقتال الذي شَرَّعَه الإسلام وخاض معاركه الرَّسول –ε– وصحابته هو أشرف أنواع الجهاد، والحروب التي اشتبك فيها المسلمون على عهد الرسول –ε– وخلفائه، كانت فريضة لحماية الحق وردّ المظالم وقمع العدوان وكسر الباطل وأهله من الظالمين الجبابرة.[542] والجهاد بالنفس وهو القسم الأخير من أقسام الجهاد، ويكون ببذل النفس لنصرة دين الله وإعلاء كلمته، ونصرة المظلومين من عباده المؤمنين، الذين دخلوا الإسلام، حيث أمر الله –Y– المؤمنين بالقتال في حال لقائهم الكافرين.

---

[538] ابن ماجة، أبو عبد الله محمّد بن يزيد، *سنن ابن ماجه*، تح: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، القاهرة، دون: ط، 4011، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[539] التوبة، 9/ 20.

[540] محمد، 47/ 36–38.

[541] ابن رشد، أبو الوليد محمّد بن أحمد القرطبي، *المقدمات الممهدات*، تح: محمّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1408هـ، 1988م، ا، ص.342.

[542] محمّد الغزالي، *فقه السيرة*، دار القلم، دمشق، ط: 1، 1427هـ، دون: ط، ص.217.

3.2.3. العلم بكلمة التوحيد

تضمّنت السورة الكريمة حكما مُهِمًّا من الأحكام الشَّرعيَّة، وهو العلم بلا إله إلا الله، يتم الاستدال على هذا الحكم من خلال الآية الكريمة: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾،[543] حيث بَيَّنَت هذه الآية أنَّ العلم بكلمة التوحيد المتمثلة بلا إله إلا الله، هو من الاحكام الضَّروريَّة في الشَّريعة الإسلاميّة، والمعنى اللغوي لكلمة التوحيد: إله، هو اسم الله الأكبر الذي لا إله إلا هو وحده.[544] وجاء معناه في "الصِّحاح": ألّه، من عبد عبادة، قرأها ابن عباس: ﴿وَيَذَرَكَ وإلاهَتَكَ﴾،[545] بكسر الهمزة، بمعنى وعبادتك، والإله: هو كلُّ مَعْبُود يُعْبَدُ؛ لأنَّه مألوه، وجمع الإله: آلهة، وهي الأصنام التي كان يعبدها المشركون، أطلقوا عليها اسم الآلهة؛ لاعتقادهم أنَّها تستحق العبادة، وتأليه الشيء، أي: عبادته.[546] وذكر ابن سيده (ت: 458هـ) أنَّ الإله: هو الذي تحق له العبادة وتجب.[547] ولكلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، دلالة اصطلاحية وشَرْعيَّة تُفِيدُ النفي والإثبات؛ لأنَّ فيها نفي الألوهية عن كل ما سوى الله –I– وإثبات الألوهية لهو وحده–I–، فكل ما خلا الله باطل ولا يستحق العبودية؛ لأنَّ الله –I– هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وقد جمعت سورة الإخلاص هذه المعاني الربَّانيَّة التي لا تليق إلا به –I– فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿1﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿2﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿3﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.[548] وهي كلمة الإخلاص التي جاءت بها كل الأديان السَّماوية قال الله –I– في كتابه الكريم: ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.[549] فالتوحيد: هو العلم والاعتراف بإفراد الله –I– بالعبادة وحده.[550] وجاء في "تهذيب اللغة": أن التوحيد، هو الإيمان باللّه وحده لا شريك له، والواحد الأحد هو ذو الوحدانية، ومنه جاء اسم الواحد من الانفراد، ويمكن أن يُوصَفَ الشيء أنَّه واحد،

---

[543] محمّد، 47/ 19.

[544] الفراهيدي، *كتاب العين*، IV، ص.90.

[545] الأعراف، 7/ 127.

[546] الجوهري، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، VI، ص.2223–2226.

[547] ابن سيده، *المخصص*، تح: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 1417هـ، 1996م، V، ص.216.

[548] الإخلاص، 112/ 1–4.

[549] الأنبياء، 21/ 25.

[550] السعدي، *القول السديد شرح كتاب التوحيد*، تح: المرتضى الزين أحمد، مجموعة التحف النفائس الدولية، الرياض، ط: 3، ص.18.

ولكن لا يُوصَف بوصف أَحَدٌ إلا الله –Y–، وذلك لخلوص هذا الاسم الشريف له وحده.[551] وكلمة التوحيد تعني تجريد الذات الإلهيّة عمَّا يُتَصَوَّر في الأذهان والأفهام من معرفة الله –Y– بربوبيته، والإقرار والاعتراف له بالوحدانية، ونفي الأضداد عنه.[552] "واستدل به من قال بوجوب النظر وإبطال التقليد في العقائد، ومن قال بأن العلم بكلمة التوحيد هو أول الواجبات المعرفة قبل الإقرار.[553] وكلمة التوحيد جاءت لحفظ الدِّين من جانب الوجود، وتكون على ثلاثة أقسام وهي، توحيد الرُّبُوبيَّة: أن يؤمن المسلم بأنَّ الله –Y– هو الرَّبُّ الخالق لكلّ شيء، خلق السموات والأرض وما فيهما، وقد اشترك في الإيمان به كلّ العالمين مؤمنهم وكافرهم لأنَّهم متفقون على أنَّ الله هو خالق كل شيء ومليكه، ولم يشاركه أحد في خلق السموات والأرض،[554] قال –Y–: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.[555] والقسم الآخر، توحيد الأُلُوهيَّة: وهو الإيمان بأنَّ الله المعبود وحده الذي لا يُشْرَك معه أحد، وهو التصديق في القلب بأنَّ الله –Y– إله واحد لا إله معه، وأنَّ النَّبيَّ مُحَمَّد –ε– نَبيٌّ مُرَسَلٌ مِنَ الله، وأنَّ كل ما جاء به حقّ، وهو من عنده –Y–، ولا يكون الإيمان في القلب فقط، وإنَّما يجب أن يجري الاعتراف به من خلال النطق باللسان، وأن يجري العمل به على جوارح الإنسان، فإذا اجتمعت هذه الامور الثلاثة، أي: إيمان القلب ونطق اللسان وعمل الجوارح في العبد فهذا هو المؤمن الحقّ.[556] "وتوحيد الإلوهيّة مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين، ولهذا كانت كلمة الإسلام: لا إله إلاّ الله، ولو قال: لا ربّ إلاّ الله أجزاه عند المحققين، فتوحيد الألوهيّة هو المطلوب من العباد".[557] وتوحيد الأسماء والصِّفات: هو الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا تبارك وتعالى التي لا تليق إلا به، والتي لا تشبه صفات المخلوقين، فصفات المخلوقين صفات نقص، أمَّا صفات الخالق فهي صفات جمال وكمال،

---

[551] أبو منصور، *تهذيب اللغة*، ٧، ص.125.

[552] الجرجاني، *التعريفات*، ص.69.

[553] السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، *الإكليل في استنباط التنزيل*، تح: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1401هـ، 1981م. ص.238.

[554] ان تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، *التدمرية*، تح: محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: 6، 1421هـ، 2000م، ص.176.

[555] العنكبوت، 29/ 61.

[556] الباقلاني، *الإنصاف فيما يجب اعتقاده وما لا يجوز الجهل به*، ص.52.

[557] المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، *تجريد التوحيد المفيد*، تح: طه محمّد الزيني، المدينة المنورة، دون: ط، 1409هـ، 1989م، ص.8.

وهو مُتَّصِفٌ بها منذ الأَزَل لا يُشابِهُه بها أحد، وقد أمرنا الله –Y– أن ندعوه بها فقال –Y–: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[558] ولذلك فنحن نؤمن بها ونتعبَّد بها كما وردت في كتاب الله العزيز أو على لسان رسوله –ε– من غير تكييف، أو تمثيل، أو تعطيل.[559] قال الله –Y–: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.[560] ولذلك "فأسماء الله تعالى مُتَّفِقَةٌ كُلُّها في الدَّلالة على نفسه المُقَدَّسَة، ثمَّ كل اسم يدل على معنى من صفاته، فالعزيز يدل على نفسه مع عزته، والخالق يدل على نفسه مع خلقه، والرحيم يدل على نفسه مع رحمته".[561] وإنَّ لكلمة التوحيد المُتَمَثِلَة بلا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رسول الله أهميّة بالغة إذ أنَّها القاعدة الاولى من قواعد الإسلام التي بُنِيَ عليها، فلا نجاة إلا بدخول دين الإسلام، مُتَمَثِلاً بشهادة أن لا إله إلا الله، وأنَّ مُحَمَّداً رسولُ الله.[562] وذكر بديع الزمان النورسي (ت: 1379هـ)، أنَّ الفردية لله –I– قد تجلت في طابعها على الكون، فبدت آية واضحة على التوحيد، وجاء بحكم الكلّ الذي لا يقبل التجزئة مطلقاً؛ لأنَّ الذي لا يستطيع أن يتصرف في الكون كله، لا يكون مالكاً حقيقياً لأيِّ جُزْءٍ منه.[563] وتُعْتَبَرُ كلمة التوحيد هي المفتاح في دخول الإسلام لحديث معاذ عندما أرسله رسول الله –ε– إلى اليمن فقال له رسول الله –ε–: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَادْعُهُمْ الَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ

---

[558] الأعراف، 7/ 180.

[559] الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الصرصري، *الانتصارات الإسلاميّة في كشف شبه النصرانية*، تح: سالم بن محمّد القرني، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: 1، 1419هـ، ا، ص.120.

[560] الشورى، 42/ 11.

[561] ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي، *الإيمان*، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، ط: 5، 1416هـ، 1996م، ص.148.

[562] الصنهاجي، ابن باديس عبد الحميد محمّد، *العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية*، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقه بو داود وشركاؤهما، الجزائر، ط: 2، ص.19.

[563] النورسي، بديع الزمان سعيد، *حقيقة التوحيد أو التوحيد الحقيقي*، دار سوزلر، دون، م، ط: 2، 1988م، ص.100.

بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حِجَابٌ».[564] ولذلك فإنَّ معرفة الله –Y– هي أعلى مراتب العلوم إذ بمعرفته يتوصل الإنسان إلى معرفة الأساس الذي تقوم عليه الحياة الروحيّة كلّها، وكذلك معرفة الأنبياء والرسل لوظيفتهم التي أرسلهم الله –I– من أجلها، ومن معرفة الله –Y– تفرَّعت الدلالات على مصير الإنسان بعد الموت، من البعث، والحساب، والثواب، والعقاب، والجنّة، والنار.[565] إنَّ تَقَدُّم الأمر بالتوحيد يُبَيِّن شرفه، ومكانته، فهو نبراس الطاعات والعبادات، والعلم بلا إله إلا الله يدلّ على أنَّ السعادة تكون في تحقيق التوحيد لله –Y–، فأمر الله –Y– نبيّه بالثبات على مصدر السعادة، وهي كلمة الإخلاص.[566] جاء الأمر من الله –Y– إلى نبيِّه وأصحابه أن يأخذوا طريق العلم والمعرفة ومراقبة الله –Y– بعلمه الذي يحيط بكلّ شيء، وأن يتذكروا الحقيقة الأولى التي يقوم عليها النَّبيُّ –ε– ومن معه من أصحابه، فهذه هي الحقيقة التي تقوم بعدها كل التوجيهات الأخرى.[567]

4.2.3. الاستغفار

الحكم الشرعي الأخر الذي تضمّنته الآية الكريمة من سورة محمَّد هو الاستغفار، قوله –Y–: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.[568] والاستغفار هو: سِتْرُ الذُّنُوبِ وتَغْطِيَتُها، والعفو عنها، وقيل: الغفران من الله –I– أن يستره من العذاب.[569] والاستغفار أول مقامات السالكين إلى الآخرة، وهو طلب المغفرة من الله –I– للذنوب والمعاصي.[570] جاء في كتاب "الزهد" لابن المبارك (ت: 181هـ)،[571] عن عبدالله بن عمر بن العاص، عن النبي –ε– قال: «أَرْبَعُ خِصَالٍ، مَنْ كُنَّ فِيهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، مَنْ كَانَ عِصْمَةُ أَمْرِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَإِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ، وَإِذَا أُعْطِيَ شَيْئًا قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَإِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا قَالَ: أَسْتَغْفِرُ

---

[564] ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن هلال بن أسد الشيباني، *مسند الإمام أحمد*، تح: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1421هـ، 2001م، 2071.

[565] سيد سابق، *العقائد الإسلاميّة*، دار الكتاب العربي، بيروت، دون: ط، ص.19.

[566] أبو الفداء، *روح البيان*، VIII، ص.510.

[567] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، VI، ص.3295.

[568] محمّد، 47/ 19.

[569] الزَّبيدي، *تاج العروس من جواهر القاموس*، XIII، ص.247.

[570] ملا علي القاري، *مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح*، IV، ص.1609.

[571] ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن واضح الحنظلي، *الزهد والرقائق*، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، دون: ط، II، ص.50.

اللَّهَ».[572] وقد ورد في السُّنَّة المُطَهَّرَة أحاديث تبين أهمية الاستغفار، فقد ذكر البخاري (ت: 256هـ) في صحيحه، أنَّ النَّبيَّ –ε– قال: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»،[573] وفي صحيح ابن حبان عن عائشة –رضي الله عنها– أنَّ رسول الله –ε– قال: «يَا عَائِشَةُ إِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَذْنَبَ ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ».[574] وجاء من توجيه الله للمؤمنين أن سلوا الله –Y– المغفرة من ذنوبكم التي مضت بإخلاص إيمانكم، وفي هذا منه –Y– ترغيب في التوبة والإنابة إليه.[575] والأمر بالاستغفار جاء لتوطئة الرسول –ε– وأصحابه، على التواضع، وهضم النفس، والاعتراف بالتقصير.[576] الاستغفار هو طريق السالكين إلى الله تعالى، وهو من الأحكام الشرعية التي تضمَّنتها سورة محمد –ε–، وهو شعار المؤمنين الراغبين في عفو الله ورضاه، واستحصال المنافع الربانية والاستغفار له ثمار؛ منها، مغفرة الذنوب والخطايا، وزيادة بركة السماء من المطر، وزيادة الأموال والأولاد، يدل على ذلك قوله –Y–: فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿10﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴿11﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾.[577]

5.2.3. الطاعة وعدم إبطال الأعمال

من الأحكام التي تضمَّنتها السورة الكريمة، هي الطاعة لله والرسول، وعدم إبطال الأعمال، يدلُّ على ذلك قوله–Y–: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾،[578] فمن خلال دلالة النَّص القرآني تبيَّن أنَّ هذه الآية الكريمة تدلُّ على وجوب الطاعة لله –Y– ولرسوله الكريم، وهي من ضَروريَّات الدِّين إذ بدون طاعة الله ورسوله، لا يكون هنالك معنى لإيمان المسلم، ومعنى الطاعة من حيث اللغة ذكره ابن فارس (ت: 395هـ)

---

[572] البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي، *شعب الإيمان*، تح: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، ط: 1، 1423هـ، 2003م، 9243، باب الصبر على المصائب.

[573] البخاري، *صحيح البخاري*، 6307، باب استغفار النبي.

[574] ابن حبان، *الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان*،624، باب التوبة.

[575] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، XVIII، ص.301.

[576] الآلوسي، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، XIII، ص.211.

[577] نوح، 71/ 10–12.

[578] محمّد، 47/ 33.

بقوله: "الطَّاءُ وَالْوَاوُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْإِصْحَابِ وَالِانْقِيَادِ. يُقَالُ: طَاعَهُ يَطُوعُهُ، إِذَا انْقَادَ مَعَهُ وَمَضَى لِأَمْرِهِ. وَأَطَاعَهُ بِمَعْنَى طَاعَ لَهُ. وَيُقَالُ لِمَنْ وَافَقَ غَيْرَهُ: قَدْ طَاوَعَهُ".[579] ولا تختلف الدلالة الاصطلاحيّة عن معناها اللغوي كثيراً، وإنَّما كانت تدور في فلك واحد، فالطاعة يدور معناها حول الانقياد والاتباع. جاء في "الكلّيات" بأنَّ الطاعة معناها: الموافقة للأمر، وهي أعمُّ من العبادة لأنّ العبادة غالباً ما تُسْتَعْمَل في تعظيم الله غاية التعظيم، والطاعة تُسْتَعْمَل لموافقة أمر الله –Y– وأمر غيره، والعبادة تعظيم يُقْصَد به النفع بعد الموت.[580] وتَعَدَّدَت الأساليب الدالّة على الطاعات، منها: أسلوب الأمر والطلب، كما بيّنت ذلك الآيات في قوله –Y–: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.[581] ففي هذا إلزام بالأمر، لأنَّ الطاعة أعمُّ من الاتباع، لأنَّ الإنسان قد يكون مطيعاً لغيره، ثمَّ لا يكون مُتَّبِعاً له في أفعاله، وذُكِرَ ها هنا الرسول تنبيها على أنَّ كُلَّ من كان رسولاً من جهة فطاعته واجبة.[582] وأسلوب النهي عن ضدِّ ما طلب الله –I– فعله، وهذا من فنون تعدّد أساليب القرآن الكريم، فأمر الله –Y– المؤمنين بلزوم الطاعة في أوامره، والرسول في سننه، وجاءت الإشارة من خلال نهيهم عن المعاصي والكبائر؛ لأنَّ الكبائر تُحْبِطُ الطاعات، والمعاصي تُخْرِجُ عن الإيمان.[583] **و**أسلوب الثناء على المطيعين: هذا أسلوب آخر من أساليب تنّوع ذكر الطاعة في القرآن الكريم وهو ثناء الله –I– على من أطاعه من المؤمنين، كما دلَّت على ذلك آيات كثيرة في القرآن الكريم، وكما في قوله –Y–: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّه وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.[584] ولما تقرَّر الأمر على أن قالوا: سمعنا وأطعنا، مدحهم الله وأثنى عليهم في هذه الآية، ورفع المشقّة في أمر الخواطر عنهم، وهذه ثمرة الطاعة والانقطاع إلى الله –I–.[585] وكذلك جاء قوله في الثناء على المطيعين، بقوله–Y–: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ

---

[579] ابن فارس، *مقاييس اللغة*، III، ص.431.

[580] الكفوي، *الكليات*، ص.583.

[581] آل عمران، 3/ 32.

[582] الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، *تفسير الراغب الأصفهاني*، تح: محمد عبد العزيز بسيوني، دار الوطن، الرياض، ط: 1، 1420هـ، 1999م، II، ص.520.

[583] القرطبي، *الجامع لأحكام القران*، XVI، ص. 254.

[584] البقرة، 2/ 285.

[585] القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، III، ص.427.

وَيَتَّقْهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ﴾.[586] وأسلوب الترغيب والترهيب: فقد اتبع القرآن أسلوب الترغيب لمن أطاع الله ورسوله وبيان العاقبة الحَسَنَة لهم، وكذلك الترهيب من عدم الطاعة، وما يؤول إليه أمر العاصين، قال –Y–: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.[587] وأنَّ الطاعة وحدها هي التي تكشف ما خبّأته النفوس وتختبرها، فقد أمر الله –I– عباده المؤمنين أن يطيعوا رسوله من صميم قلوبهم، لا من ظاهر أقوالهم، وأنَّ الطاعة للرَّسول واجبة على الأمَّة الإسلاميّة، فبيَّن الله –Y– أن إذا أطعتم الرسول بما بلَّغ عن ربه فقد قمتم بحقِّ الطاعة والإخلاص، وإن لم تقوموا بحقِّها فقد ضَلَّ طريقكم، وخاب أمركم، فإن أطعتم الرَّسول فقد اهتديتم إلى سواء السبيل.[588] وطاعة الله –I– من أساسيِّات الدِّين الإسلامي، فبها يتحقّق الإسلام، وهي الانقياد والاتباع لله –I– في كلّ ما شرَّع، والانتهاء عن كل ما نهى، وأن يُسَلِّمَ المسلم أمره كُلَّه للَّه، فلا يكون له طاعة لهوى في نفسه، أو رغبة من رغباته، كما جاء في قوله –Y–: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[589] ففي هذه الآية الكريمة يُبَيِّن الله –Y– فيها للمؤمنين، أن اسمعوا بسمع وقول الرضا والقبول، وأطيعوا الله في أمره ونهيه، ولا تخرجوا عن مقتضى حكمه وأحكامه مُطْلَقاً، فإنَّ في السمع والطاعة خيري الدنيا والآخرة.[590] وجاءت الطاعة في القرآن الكريم لرسول الله –ε– مُفْرَدَة عن طاعة الله –I– وذلك لبيان عظمة شأن الرسول ولبيان أنَّ أمر الرسول من أمر الله، ولبيان أنَّ طاعة الرسول من طاعة الله، كما جاء في قوله –Y–: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.[591] وما أرسلنا رسولاً من الرُّسُل لشيء من الأشياء إلا ليُطاع بسبب إذنه –I– في طاعته، وأمره المُرْسَل إليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لأنَّه مُؤَدٍّ عنه –Y–، فطاعته طاعة لله –Y– ومعصيته معصية لله –Y–، وطاعة الرسول من طاعة الله أو بتيسير الله –I– وتوفيقه في

---

[586] النور، 24/ 52.

[587] النور، 24/ 54.

[588] أبو زهرة، محمّد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، *زهرة التفاسير*، دار الفكر العربي، الرياض، دون: ط، X، ص.5219.

[589] التغابن، 64/ 16.

[590] النخجواني، *الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية*، II، ص.421.

[591] المائدة، 4/ 64.

طاعته.[592] وإنَّ الله –Y– رغَّب عباده المؤمنين في الطاعة، لأنَّ طاعة الله ورسوله سبب في نيل المطالب الدنيوية والآخروية، ولأنَّه –I– وعدهم بمرافقة أقرب عباده إليه، وأرفعهم درجات عنده، وأعلاهم مكانة وشأناً، وهم أنبياؤه ورسله وأقرب الناس إليهم، وصالحي الأمم يكونون الطائعين معهم في الجنة.[593] ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتّقه فأولئك هم الفائزون، الناجون في دنياهم وأخراهم لأنَّ الله وعدهم، والله لا يخلف وعده، ولأنَّهم أهل للفوز، يمتلكون أسبابه من واقع حياتهم، ولأنَّ الطاعة للَّه ولرسوله تقتضي السير على المنهج القويم الذي رسمه الله للبشرية عن علم وحكمة، وهو بطبيعته يؤدّي إلى الفوز في الدنيا والآخرة.[594] ولذلك رَتَّبَ الله –I– للمطيعين الثواب الجزيل على طاعته وطاعة رسوله، وعدَّها الله –I– من أعلى مقامات الإيمان، ويكونون مع الأنبياء والصدّيقين والشهداء في أعلى الدرجات من الجنّة، كما دلَّت على ذلك آيات كثيرة في القرآن الكريم، مثل قوله –Y–: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾،[595] وقوله –Y–: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.[596] إنَّ القرآن يهدى إلى أقوم الأعمال وأفضلها، التي جاءت من الله –Y– متمثلة بأوامره ونواهيه، فمن سَمِعَ القرآن وَوَعاه، وامتثل بجميع ما جاء، وتقبَّل الرِّسالات الإلهية وتدبَّرها، كانت له الجنَّة خالداً فيها أبدا، ومن عصى الله ورسوله من عدم الامتثال لأمرهما واجتناب نهيهما؛ فإنَّ له نار جهنم خالداً فيها جزاء وفاقاً؛ لتكذيبه وإعراضه وسوء صنيعه.[597] قال –Y–: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾،[598] وقال –Y–: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾،[599] بما أنَّ الله –I– رَتَّبَ عاقبة حسنى للمطيعين، فإنَّه رَتَّبَ عاقبة سوء للعاصين الذين خالفوا أوامر الله ورسوله، ولم يُقَدِّمُوا لهما

---

[592] أبو السعود، العمادي محمّد بن محمّد بن مصطفى، *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون: ط، II، ص.196.

[593] الزمخشري، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، I، ص.531.

[594] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، IV، ص.2527.

[595] النساء، 4/ 69.

[596] النساء، 4/ 13.

[597] الحجازي، محمّد محمود، *التفسير الواضح*، دار الجيل الجديد، بيروت، ط:10، 1413هـ، III، ص.764.

[598] النساء، 4/ 14.

[599] الأحزاب، 33/ 36.

الطاعة، لأنَّ الطاعة شرط من شروط الإسلام، وشرط لتحصيل الهداية من الله –Y– والفوز في الدنيا والآخرة.

والحكم الشرعي الثاني الذي تضمَّنته الآية الكريمة هو الأمر بعدم إبطال الأعمال الحسنة، لأنَّ المسلم يَتَعَرَّضُ إلى أعمال وأقوال تكون سبباً في إبطال أعماله من الحسنات، مثل: الرِّياء، والسُّمعة، والمَنّ، وأذى الناس، الكبائر من الفواحش، والذي لا يريد وجه الله من خلال عمله للحسنات، وإنَّما كان يريد بذلك مدح الناس له، أو شهرته بالصفات الجميلة ليُشْكَر بين الناس، أو يُقال: إنَّه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله –I–، وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه فقد ذهب ذلك كُلُّه، لأنَّ أعمال المرائين ليس لها قيمة ووزن عند الله، ولذلك فلا يُكْتَب لها القَبول.[600] "واستدل به من قال بمنع قطع الأعمال فرائض كانت أو نوافل، صلاة أو صياماً".[601] وتُعَدُّ الكبائر من الذنوب والمعاصي من مبطلات الأعمال، التي يقترفها المسلم. فلا يجب الإصرار على فعلها؛ لأنَّ الله –Y– حَذَّرَ المسلمين منها بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾.[602] أمر الله –Y– بعدم قُرْبِ ما عَظُمَ قُبْحُه من الأفعال والخِصال، كالزنا، واللواط، وقذف المحصنات، ونكاح أزواج الآباء، وكل ما سُمِّي في التنزيل فاحشة، فهو مِمَّا ثبتت شدة قُبْحِه شَرْعاً وعقلاً.[603] فهذه الأعمال تجعل الحسنات التي يعملها المسلم في تناقص، ولربما جاء المسلم يوم القيامة فلم يجد شيئاً من أعماله الحسنة التي كان يعملها في الدنيا لحديث النَّبيِّ –ε– الذي رواه أبو هريرة، فقال: «هَلْ تَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟ "، قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا، يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. قَالَ: " إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصِيَامٍ وَصَلَاةٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، فَيُقْعَدُ، فَيَقُصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».[604]

---

[600] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، ا، ص. 694.

[601] السيوطي، *الإكليل في استنباط التنزيل*، ص.239.

[602] الأنعام، 6/ 51.

[603] رشيد رضا، محمّد بن علي بن محمّد شمس الدين بن محمّد بهاء الدين، *تفسير القرآن الحكيم*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دون: ط، 1990م، VIII، ص.164.

[604] ابن حنبل، *مسند الإمام أحمد*، 8029، باب مسند أبي هريرة.

6.2.3. الوَهْنُ والسِّلْم

من الأحكام الشَّرعيَّة التي بينتها سورة مُحَمَّد-ε-: هو الأمر بعدم الوهن، وعدم الدعوة إلى السِّلم، في حالة الغلبة والانتصار، يدل على ذلك الحكم قوله -Y-: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾،[605] فنهى الله -Y- المؤمنين من الوهن، وهو الضعف والجبن من ملاقاة العدو، وكذلك الدعوة إلى السِّلم، وهم في حالة القوة والغلبة. والسَّلْم، بالفتح، أو بالكسر ويكون للصلح.[606] فالسَّلْم، والسِّلْم، والسَّلَم، وهو ضِدُّ الحرب.[607] "وفيه دليل على منع مهادنة الكفار إلا عند الضرورة، وتحريم ترك الجهاد إلا عند العجز عن مقابلتهم، لضعف يكون بالمسلمين والعياذ بالله.[608] "وفيه الدلالة على أن النبي -ε- لم يدخل مكة صلحا وإنما فتحها عنوة لأن الله قد نهاه عن الصلح في هذه الآية، وأخبر أن المسلمين هم الأعلون الغالبون ومتى دخلها صلحا برضاهم فهم متساوون إذ كان حكم ما يقع بتراضي الفريقين فهما متساويان فيه ليس أحدهما بأولى بأن يكون غالبا على صاحبه من الآخر،[609] وإنَّ من أسباب الضَّعف الذي يصيب المسلمين من أداء واجباتهم التي كلفهم الله -Y- بها من الدعوة إلى دينه القويم، هو ضعف الإيمان باللّه -I- والذي يكون ذلك بسببين رئيسين هما حُبُّ الدُّنيا، وكراهية الموت، والنَّبيُّ -ε- بيَّن ذلك في حديثه الذي أورده الإمام أحمد في مسنده، عن ثوبان مولى رسول الله -ε- قال: قال رسول الله -ε-: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا. قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ. قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ».[610] من الأسباب الرئيسية في ضَعْفِ الإيمان عند كثير من المسلمين هو حُبُّ الدنيا؛ لأنّه مَنْ أحبَّ الدنيا في نفسه وماله ووقته وعمله، صَعُبَ عليه التضحية في سبيل الله -Y-؛ لأنَّ حُبَّ الدنيا هو القائد إلى كل ذنب وخطيئة كما جاء في "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"، عن سفيان الثوري (ت:

---

[605] محمّد، 47/ 35.

[606] ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، *إصلاح المنطق*، تح: محمّد مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 1423هـ، 2002م، ص.29.

[607] الأزدي، *جمهرة اللغة*، II، ص.858.

[608] الكيا الهراسي، *أحكام القرآن*، IV، ص.375.

[609] الجصاص، *أحكام القرآن*، V، ص.271-272.

[610] ابن حنبل، *مسند الإمام أحمد*، 22397، باب من حديث ثوبان.

161هـ)،[611] قال: «قال عيسى ابن مريم –عليه السلام–: حُبُّ الدُّنيا رأس كل خطيئة».[612] وجاء في "مفاتيح الغيب": أنَّ حُبَّ الدنيا لا يكون مع سعادة الآخرة، فكلما ازداد أحدهما ضَعُف الآخر، فإذا ازداد حُبُّ الدنيا، ضَعُفَ حُبُّ الآخرة لأنَّ سعادة الدنيا لا تكون إلا بانشغال القلب في طلبها، وسعادة الآخرة لا تكون إلا بِفَراغ القلب من حُبِّ مَا سِوَى الله، والعمل على طاعته.[613] والسبب الأخر هو كراهية الموت: فالموت هو النهاية الحتَّمية لكلِّ كائن يعيش على هذه الأرض، وهو الذي يُخْرِج الناس من الدُّور ولا يُمْنَع من دخول القُصور، فالمؤمن النقيُّ التقيُّ لا يخاف الموت لأنَّه مستعد لملاقات الباري –Y– لكنَّ صاحب الإيمان الضعيف يخاف من الموت، بسبب قلة زاده، وحُبِّه المُفْرِط للدنيا وما فيها من زخارف وملَّذات يَصْعَب على مُحِبِّها التفكير في تركها، لذلك نتج عن ذلك الوهن والضعف في التضحية في سبيل الله –I–. إنَّ التعلُّق بالحياة، وحُبَّ البقاء والعيش، وكراهية الموت، يُفْسِدُ القلوب ويُسَبِّبُ لها أمراضاً كثيرة وخطيرة تهلك النفس، منها: الضِّيق في الصَّدْر، والخوف، والقلق، والأرق. وقد ذمَّ الله –I– اليهود بسبب تعلُّقِهِم بالحياة الدنيا،[614] فقال –Y–: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.[615] ولذلك فإنَّ حُبَّ الموت يتمنَّاه المؤمن الصادق، وكيف لا يتمناه وفيه التعجيل بلقاء الله –I–، الذي أحبَّه في الحياة الدنيا وكانت تجارته الرَّابحة معه، والمؤمن أيضاً يتخلَّص به من هموم الدنيا التي تصيبه. إذن فحُبُّ الدنيا كان سبباً رئيسياً في ضياع هَيْبة وقوَّة الأمَّة الإسلاميّة.[616] وأمّا كراهية الموت فكان نتاجاً وثمرة حُبّ الدنيا، والحرص على متاعها، مع تخريبه للآخرة، فيُكْرَه الانتقال من العُمران إلى الخراب، وإنَّ حُبَّ الدنيا وكراهية الموت هما صنفان لا يفترقان.[617] إنَّ لكل داء دواء وعلاج، وعلاج الوهن والضَّعف الذي أصاب المسلمين

---

[611] هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري الكوفي؛ كان إماماً في علم الحديث وغيره من العلوم، وأجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته، وهو أحد الأئمة المجتهدين، من كتبه "*الجامع الكبير*" و "*الجامع الصغير*"؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، II، ص.386.

[612] الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*، السعادة، القاهرة، دون: ط، 1394هـ،1974م، VI، ص.388.

[613] الرازي، *مفاتيح الغيب*، IX، ص.375.

[614] عائض بن عبد الله القرني، *لا تحزن*، مكتبة العبيكان، الرياض، 1422هـ، ص.288.

[615] البقرة، 2/ 96.

[616] علي بن نايف الشحود، *الاستعداد للموت*، دار المعمور، ماليزيا، ط: 4، 1430هـ، 2009م، ص.187.

[617] محمّد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، *علو الهمة*، دار القمة، القاهرة، دون: ط، 2004م، ص.333.

جراء حُبِّهم للدنيا وكراهيتهم للموت، هو الإيمان باللّه –Y– والجهاد في سبيله، فإذا ازداد الإيمان عند المؤمنين لم يكترثوا لأي شيء، ولم يخشوا أحداً إلا الله، قال –Y– في وصفه المؤمنين من الصحابة الكرام: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿172﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.[618] فهذه هي سنّة الله –Y– مع الملتجئين إليه، المحتمين بحمايته، أن يمّهد مقيلهم في ظلّ كفايته وهدايته، فلا يمسّهم البلاء، ولا يصيبهم العناء، ولا يظلّهم التعب لأنَّهم في معيّة الله.[619] والوهن أمر مرفوض في الإسلام لأنَّ الله –Y– لا يقبل لعباده المنتسبين إلى دعوته أن يدبّ الوهن والضعف بين صفوفهم، فالمسلم يجب عليه أن يَسْتعْلي بالإيمان الذي أكرمه الله به على ما دونه، فالعزة للإسلام وللمسلمين الذين يعتزون بانتمائهم لدينهم. وأشارت هذه الآية أنَّ الأمر أتى بعدم الوهن والضَّعف، بعد ما وُجِدَ سبب الاجتهاد في القتال، وجاء في هذه الآيات الترتيب البديع لنسق الآيات لأنَّ الأمر بالطاعة يتوجّب فيه السعي في تحقيق أمر الله، وأمر رسوله، الذي يأمرهم فيه بالقتال، لذلك على المكلَّف أن لا يتهاون ولا يضعف، وقد أشار الله –I– بأنَّه قال: فلا تهنوا؛ فإنَّ النصر سيكون لكم أو عليكم بالعزيمة على تقدير الاعتزام للهزيمة.[620] ويتبيّن لنا من خلال الآية الكريمة التي جاء مقتضاها بعدم الدعوة إلى السَّلْم والصُلْح، والمسلمون في حالة الغلبة والنصر؛ لأنَّ الدعوة إليه في هذه الحالة تجعل العدو يستشعر حالة الضعف من قبل المسلمين، ولأنَّ الإسلام مَبْدَؤه هو السَّلام، فلا تكون الدعوة إلى عدم المهادنة عامّة لكنها من المقاصد الخاصة، التي تكون في حالة الظَّفَر والتمكين لأنَّ الأصل في دعوة الإسلام هو السلام، يدل على ذلك قوله –Y–: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾.[621] فأمر الله –I– المسلمين أن لا يأنفوا عن السلم والمهادنة في الحرب إن طُلِبَ منهم مَنْ سألهم إيّاه، وكفوا الحرب، والتزموا بالعهود والمواثيق.[622] وكذلك تجوز المهادنة إذا كان للمسلمين حاجة في ذلك، كما أورد ذلك ابن قدامة (ت: 620هـ) بقوله: "ولأنَّه قد يكون بالمسلمين ضَعْف، فيُهادِنُون حتّى يَقْوى المسلمون، ولا يجوز ذلك إلا للنظر للمسلمين، إمّا أن يكون بهم ضعف عن قتالهم، وإمّا أن يُطْمَع في إسلامهم بهدنتهم، أو في أدائهم الجزية

---

[618] آل عمران، 3/ 172–173.

[619] القشيري، *تفسير القشيري*، I، ص.298.

[620] الرازي، *مفاتيح الغيب*، XXVIII، ص.61.

[621] الأنفال، 8/ 61.

[622] ابن عاشور، التحرير *والتنوير*، X، ص.58.

والتزامهم أحكام الملّة أو غير ذلك من المصالح".[623] وبهذا يتبيّن لنا أنَّ للمسلمين حقٌّ في عقد اتفاقيات الصُّلح مع الأعداء إن كانت هنالك مصلحة مرجوة من ذلك، وأن الله –Y– الذي أمر بقتال الكافرين هو بنفسه من أمر المسلمين بالسَّلم والميل له إن مال الذين يقاتلونهم من الكفار، وفي هذا بيان واضح أنَّ الدين الإسلامي له الرغبة الحقيقية في السَّلم مع المخالفين له إن هم أبدوا الرغبة في ذلك، وفي السيرة المطهّرة شواهد كثيرة على ذلك، منها: الصلح الذي عقده النَّبيُّ –ε– مع اليهود عندما قَدِمَ المدينة، والصُّلح الذي عقده مع المشركين، والذي سُمِّيَ بصُلْح الحُديبية؛ لِمَا فيه من المصالح التي أفادت المسلمين؛ حيث أصبحت الدعوة الإسلاميّة في مَأْمَنٍ فزاد عدد الداخلين فيها أضعاف كثيرة عمّا كانت عليه مِمَّا سبق هذا الصُّلْح، فبدأت المفاوضات بين الطرفين تأخذ مجراها الصحيح، بعد أن كادت تَنْشُب حرب ضارية بين الجانبين، وكان لأصحاب العقول الراجحة سَطْوَة، حتى تمكّنوا من إخماد هذه الحرب، وذهبوا إلى صلح مُدَّته عشر سنين، رُغْمَ أنَّ هذا الصُّلح لاقى معارضة شديدة من قبل أصحاب النَّبيِّ –ε– إلا أنَّ النَّبيَّ بنور بصيرته، وبُعْدِ نظرته المُؤَيَّدَة مِنَ الله –I– وجد أنَّ في هذا الاتفاق خَيراً لدعوته ولأصحابه، ونزل في ذلك سورة الفتح،[624] التي قال الله –Y– في أوَّلها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴿1﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴿2﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾.[625] والتربية الإسلامية تعالج هذا الوهن وهذه الخواطر الفطرية بوسائلها. وقد نجحت نجاحا خارقا. ولكن هذا لا ينفي أن تكون هناك رواسب في بعض النفوس، وبخاصة في ذلك الوقت المبكر من العهد المدني. وهذه الآية بعض العلاج لهذه الرواسب.[626] فالأمر بعدم الدعوة إلى السلم جاء من أجل تربية المؤمنين لئلا يصيبهم الذل والهوان، لأنهم يمتلكون قوة لا يمتلكها غيرهم وهي أن الله تعالى ناصرهم ومؤيدهم، فمن يمتلك هذه القوة لا يضره من عاداه، والله حفظ الدين بهذه الأحكام التي كلف بها عباده المؤمنين والتي رعوها حق رعايتها.

---

[623] ابن قدامة المقدسي، أبو محمّد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمّد، *المغني لابن قدامة*، IX، ص.297.

[624] القرضاوي، *فقه الجهاد*، مكتبة وهبة، القاهرة، ط:3، 2009م، II، ص.820–821.

[625] الفتح، 48/ 1–3.

[626] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، VI، ص.3302.

الخاتمة

سورة محمد –ε– من السور المدنية وهي السورة السابعة والأربعون في ترتيب سور القرآن الكريم، وعدد آياتها ثمان وثلاثون آية، ونزلت كل آياتها في المدينة المنورة ما عدا آية واحدة نزلت عندما هاجر النبيε من مكة إلى المدينة، وهي الآية الثالثة عشر.

ومحور السورة يَتَرَكَّزُ على عَرْضِ أحوال الكافرين، والمؤمنين، والمنافقين، حيث عَرَضَت السورة أحوال الكافرين وما آلت إليه أحوالهم من الكفر والصَدِّ عن سبيل الله، وأحوال المؤمنين الذين آمنوا باللّه وبرسوله، وكيف أنَّ الله أمرهم بتكاليف عظيمة، من أبرزها: الجهاد في سبيله، وأحوال المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، فشنّ عليهم القرآن حملة تعرية قامت بفضحهم أمام المؤمنين، جاءت هذه الآيات في أعلى قيم البلاغة والفصاحة، من تناسق بين آياتها وتناسب وترابط بينها وبين السورة التي قبلها والتي بعدها.

والمقاصد الشَّرعيَّة: هي الحكم والغايات التي أودعها الشارع الحكيم في ثنايا تشريع الأحكام، وتكون على أنواع، أهمها ما جاءت لحفظ الضَّروريَّات الخمس والتي اعتنى بها الشرع الكريم لحفظها، وهي الدِّين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وأعلى مقام فيها هو حفظ الدِّين الذي لأجله شرع القتال.

والنصر الذي يَتَحَقَّقُ على أيْدِي المسلمين لا يُتَأتى إلا عندما تَتَوَفَّرُ الشروط المُؤدِّيَة إليه، ويَتَحَقَّقُ ذلك إذا كان هناك إيمان باللّه وعمل صالح يُرْضِي الله تعالى، وكانت هنالك وِحْدَة في صَفِّ المؤمنين، غير مُتَفَرِّقِين ولا مُخْتَلفين، ويكون هدفهم ومقصدهم هو الرِّضا الإلهي عنهم، لا يبحثون عن مجد ولا شهرة، حينئذ يتَحَقَّق الوعد بالنصر على أعدائهم.

وتَوَعَّدَ الله –Y– المؤمنين بالاستبدال إنْ هُم أعرضوا وتَوَلَّوا عن أداء تكاليفهم تجاه هذا الدِّين، ويكون التَّولي بسبب الاستكبار وضعف الإيمان باللّه الذي يَعْتَري القلوب، ونتيجة هذا التَّولي عن دين الله هو أن يستبدل الله قوماً غيرهم، يقوموا بأوامر الله ورسوله.

والمسلم في حياته الدُّنيا يَتَعَرَّض للابتلاء الذي هو اختبار من الله تعالى لعباده من أجل التمحيص والتمييز، لِيتَبَيَّن المؤمن الحَقُّ من غيره، وليخرج من كان في قلبه غرض دنيوي، من مال أو جاه أو منصب أو مصلحة يريد جنيها من خلال وجوده في صفّ المؤمنين، ولأنَّ هذه الدَّعوة رَبَّانيّة، يَرْجِعُ سُلطانُها إلى الله –Y– فإنَّه لا يقبل للمنتسبين إليه من أن يصيبهم شيء من أدران الدنيا، والذي لا يجعل فيها بركة ولا خيراً، فالابتلاء جاء للتصفية والتنقية.

أمر الله تعالى المؤمنين بقتال الكافرين الذين كفروا باللّه وبرسوله، واشترط من محاربة الكفار أن يكونوا محاربين ومعتدين على المسلمين، ولم يأمر أن يقاتل الكفار لمجرد كفرهم؛ بل يجب أن يكونوا محاربين، وشُرِّعَت أحكام الأَسْرِ بِحَقِّهِم، وأظهرت مقاصد الشريعة محاسنها من خلال المَنِّ على الأسْرى، وكيف أنَّ دين الإسلام دين جاء لحفظ كرامة وعزة الناس، وليس للقتل او الإرهاب كما يحاول من يُسَوِّق لهذه الصورة المغايرة لحقيقة دين الإسلام.

والسورة تضمَّنت أحكاما شرعية خاصة بالمؤمنين، ومن هذه الأحكام: الجهاد في سبيل الله الذي شرَّعه الله تعالى من أجل حفظ دينه وحفظ اتباعه، ولتتكون دولة ذات قوة كبيرة، تكون مرهوبه الجانب من قبل الأعداء الذين يحاولون الاعتداء على الإسلام وأهله، تكون قادرة على نشر الدِّين، وحماية المسلمين وغيرهم من أداء شعائرهم بحرية تامّة.

والعلم بكلمة التوحيد المُتَمَثِّلَة بلا إله إلا الله، هي من الأحكام الضَّروريَّة في الشَّريعة الإسلاميَّة، وكلمة التوحيد تعني توحيد الله في إفراده بالعبادة والتشريع، وكذلك كلمة التوحيد تفيد أنَّ كُلَّ الرُّسُلِ الذين بعثهم الله تعالى رسالتهم واحدة، وهي دعوة الناس إلى لا إله إلا الله، فهي القاعدة الاولى من قواعد الإسلام التي بُنِيَ عليها، والتي تجري عليها بقية الأحكام.

وطاعة الله تعالى هي من الطاعات المَحْمُودَة أن يطيع المسلم ربَّه في كُلِّ ما أمر، والانتهاء عن كل ما نهى، وكذلك طاعة رسوله فيما أمر، وفيما نهى، وهذه الطاعة تكون لها آثار يكسبها العبد في حياته وبعد مماته، وأعظمها أن يستخلف الله عباده الصالحين في الأرض، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى﴾(النور، 24/ 55).

ونهى الله –Y– المؤمنين من الوهن ومن الاستسلام للأعداء وهم في حالة الغلبة، وبيَّن أنَّ للوهن أسباباً مُؤَدِيَة إليه وأبرزها حُبُّ الدُّنيا وكراهية الموت، ويُعالَجُ الوهن بالإيمان باللّه ورسوله، وأن يكون الحُبُّ لله ولرسوله، فعندما يمتلك هذا الحُبُّ القلوب يعلو عليها ويكون رضا الله ورسوله غايته وهدفه.

التوصيات:

إنَّ علم مقاصد الشَّريعة هو من العلوم المُهِمَّة والواجبة في تفسير القرآن، ولا بُدَّ للمُفَسِّر والفقيه والمجتهد أن يأخذ به، لأنَّ المقاصد الشَّرعيَّة التي بثَّها الله –Y– في آياته هي التي يُبْنَى عليها تشريع الأحكام، فيجدر بالباحثين الالتفات لهذه المسألة المُهِمَّة.

على الباحثين المسلمين عن التمكين للإسلام أن يلتزموا بدينهم، وأن يكونوا قائمين بأوامر الله –Y– في كُلِّ مجالات حياتهم، فإنَّ النصر والتمكين لا يَتَحَقَّقُ إلا بشرطه وهو نصرة دين الله –Y–، المتمثل بتمكينه في نفوسهم حتى يقام على أرضهم.

على الدارسين إبراز محاسن التشريع الإسلامي في الحرب وفي معاملة الأسرى، وكيف أنَّه يَنْسَجِم مع ما اتَّفَقَ عليه العالم في حقوق الإنسان، رَدّاً على المُغْرِضِين والمُنْحَرِفين الذين يتهمون الشَّريعة الإسلاميَّة بالقُصُور وعدم ملائمتها للواقع.

هذا ما وفَّقنا الله للتوصُّل إليه من خلال البحث والتقصّي عن المقاصد الشَّرعيَّة في القرآن الكريم، والذي يُعَدُّ من أهم الأسباب لديمومة هذا الدِّين الحنيف الذي جاء به النَّبيُّ –ε–، وفي الختام نسأل الله –Y– أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن لا يجعل للشيطان فيه من نصيب، إنَّه القادر على ذلك، وصلّى الله على سيِّدنا مُحَمَّد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المصادر والمراجع

ابن إسحاق، محمّد بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، ***سيرة ابن إسحاق***، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط: 1، 1398هـ، 1978م.

ابن الأثير، الجزري مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمّد، ***النهاية في غريب الحديث والأثر***، تح: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمّد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، دون: ط، 1399هـ، 1979م.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، ***النشر في القراءات العشر***، تح: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، دون: ط.

ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، ***إصلاح المنطق***، تح: محمّد مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 1423هـ، 2002م.

ابن العربي، القاضي محمّد بن عبد الله أبو بكر المعافري، ***أحكام القرآن***، تح: محمّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 3، 1424هـ، 2003م.

ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن واضح الحنظلي، ***الزهد والرقائق***، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، دون: ط.

ابن الوزير، محمّد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني، ***إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد***، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2، 1987م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ***التدمرية***، تح: محمّد بن عودة السعوين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: 6، 1421هـ، 2000م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله، ***العقيدة الواسطية***، تح: أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، ط: 2، 1420هـ.

ابن حبان، محمّد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، ***الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان***، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1408هـ، 1988م.

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، ***صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان***، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 2، 1414هـ، 1993م.

ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، ***الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم***، تح: عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1406هـ، 1986م.

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمّد بن هلال بن أسد الشيباني، ***مسند الإمام أحمد***، تح: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1421هـ، 2001م.

ابن حيان، محمّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، ***البحر المحيط في التفسير***، تح: صدقي محمّد جميل، دار الفكر، بيروت، ط: 1420هـ.

ابن خالويه، الحسين بن أحمد، أبو عبد، ***الحجة في القراءات السبع***، تح: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط: 4، 1401هـ.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي، ***وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان***، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط: 1، 1971م.

ابن رشد، أبو الوليد محمّد بن أحمد القرطبي، ***المقدمات الممهدات***، تح: محمّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1408هـ، 1988م.

ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة، ***حجة القراءات***، تح: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، دون، م، دون: ط.

ابن سيده، علي بن إسماعيل، ***المحكم والمحيط الأعظم***، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1421هـ.

ابن سيده، علي بن إسماعيل، ***المخصص***، تح: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 1417هـ، 1996م.

ابن عاشور، محمّد الطاهر، ***التحرير والتنوير***، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ.

ابن عاشور، محمد الطاهر، ***مقاصد الشريعة الإسلاميّة***، تح: محمّد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، قطر، دون: ط، 1425هـ، 2004م.

ابن عباس، ***تنوير المقباس من تفسير ابن عباس***، جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمّد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، لبنان، دون: ط.

ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمّد بن المهدي الحسني، ***البحر المديد في تفسير القرآن المجيد***، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، وحسن عباس زكي، القاهرة، دون: ط، 1419هـ.

ابن عطية، أبو محمّد عبد الحق، ***المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز***، تح: عبد السلام عبد الشافي محمّد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1422هـ.

ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، ***معجم مقاييس اللغة***، تح: عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، بيروت، دون: ط، 1399هـ، 1979م.

ابن قتيبة، أبو محمّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ***غريب القرآن لابن قتيبة***، تح: سعيد اللحام، دار الكتب العلمية، بيروت، دون: ط، 1398هـ، 1978م.

ابن قدامة المقدسي، أبو محمّد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمّد، ***المغني لابن قدامة***، مكتبة القاهرة، دون: ط، 1388هـ، 1968م.

ابن قيم الجوزية، ***زاد المعاد في هدي خير العباد***، دار التوزيع والنشر الإسلامي، القاهرة، دون: ط، 1424هـ.

ابن قيم الجوزية، محمّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ***إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان***، تح: محمّد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، دون: ط، 1395هـ، 1975م.

ابن قيم الجوزية، محمّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ***زاد المعاد في سيرة خير العباد***، دار التوزيع والنشر الإسلامي، القاهرة، دون: ط، 1424هـ.

ابن قيم الجوزية، محمّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ***مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين***، تح: محمّد المعتصم باللّه البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 3، 1416هـ، 1996م.

ابن قيم الجوزية، ***مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة***، تح: عبدالرحمن بن حسن بن قائد، دار علم الفوائد، مكة المكرمة، ط:1، 1432هـ.

ابن قيم الجوزية، ***الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة***، تح: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط: 1، 1408هـ.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري، ***تفسير القرآن العظيم***، تح: سامي بن محمّد سلامة، دار طيبة، الرياض، ط: 2، 1420هـ، 1999م.

ابن ماجة، أبو عبد الله محمّد بن يزيد، ***سنن ابن ماجه***، تح: محمّد فؤاد عبد الباقي، فيصل عيسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دون: ط.

ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي، ***كتاب السبعة في القراءات***، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط: 2، 1400هـ.

ابن منظور، محمّد بن مكرم بن على، أبو الفضل، ***لسان العرب***، دار صادر، بيروت، ط: 3، 1414هـ.

ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري، ***السيرة النبوية لابن هشام***، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: 2، 1375هـ، 1955م.

أبو البقاء، كمال الدين، محمّد بن موسى بن عيسى بن علي الدَّمِيري، ***النجم الوهاج في شرح المنهاج***، تح: لجنة علمية، دار المنهاج، جدة، ط: 1، 1425هـ، 2004م.

أبو بكر بن محمد فوزي البخيت، ***خصائص الأسلوب القرآني***، مكتبة الملك سعود، الرياض، ط:1، 1436هـ.

أبو السعود، العمادي محمّد بن محمّد بن مصطفى، ***إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم***، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون: ط.

أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى، ***روح البيان***، دار الفكر، بيروت، دون: ط.

أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، ***البرهان فى تناسب سور القرآن***، تح: محمّد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، المغرب، دون: ط، 1410هـ، 1990م.

أبو حيان التوحيدي، علي بن محمّد بن العباس، ***البصائر والذخائر***، تح: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط: 1، 1408هـ، 1988م.

أبو زهرة، محمّد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، ***زهرة التفاسير***، دار الفكر العربي، مصر، دون: ط، 1987م.

أبو شُهبة، محمّد بن محمّد بن سويلم، ***السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة***، دار القلم، دمشق، ط: 8، 1427هـ.

أبو منصور، محمّد بن أحمد بن الهروي، ***تهذيب اللغة***، *تح:* محمّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 2001م.

أحمد الريسوني، ***نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي***، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، ط: 2، 1412هـ، 1991م.

أحمد بن عبد الغفور عطار، ***أصلح الأديان للإنسانية عقيدة وشريعة***، مكة المكرمة، 1400هـ، 1980م.

أحمد غلوش، ***السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي***، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1424هـ، 2003م.

أحمد مختار عبد الحميد عمر، ***معجم اللغة العربية المعاصرة***، عالم الكتب، القاهرة، ط: 1، 1429هـ، 2008م.

الأذرعي، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الصالحي الدمشقي، ***شرح العقيدة الطحاوية***، تح: شعيب الأرنؤوط، عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 10، 1417هـ، 1997م.

الأزدي، ابن دريد، أبو بكر محمّد بن الحسن، ***جمهرة اللغة***، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 1، 1987م.

الأزدي، علي بن الحسن الهُنائي، ***المنجد في اللغة***، تح: أحمد مختار عمر، ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب، القاهرة، ط: 2، 1988م.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، ***حلية الأولياء وطبقات الأصفياء***، السعادة، مصر، دون: ط، 1394هـ،1974م.

أكرم ضياء العمري، ***السيرة النبوية الصحيحة***، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: 6، 1415هـ، 1994م.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، ***روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني***، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1415هـ.

الأنباري، أبو بكر، محمّد بن القاسم بن محمّد بن بشار، ***الزاهر في معاني كلمات الناس***، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1412هـ، 1992.

أيمن عبدالغني، ***الكافي في البلاغة***، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، دون: ط، 2011م.

الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب، ***الإنصاف فيما يجب اعتقاده وما لا يجوز الجهل به***، تح: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الازهرية للتراث، مصر، دون: ط، 1412هـ، 1992م.

الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب، ***تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل***، تح: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ط: 1، 1407هـ، 1987م.

الباهلي، أبو نصر أحمد بن حاتم، ***ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب***، تح: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، جدة، ط: 1، 1982م، 1402هـ.

البخاري، محمّد بن إسماعيل أبو عبدالله، ***صحيح البخاري***، تح: محمّد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة، بيروت، ط: 1، 1422هـ.

البركتي، محمّد عميم الإحسان، ***التعريفات الفقهية***، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1424هـ، 2003م.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، ***مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور***، مكتبة المعارف، الرياض، ط: 1، 1408هـ، 1987م.

البيضاوي، ناصر الدين، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمّد البيضاوي، ***أنوار التنزيل وأسرار التأويل***، تح: محمّد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 1418هـ.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، ***أحكام القرآن للشافعي – جمع البيهقي***، كتب هوامشه : عبد الغني عبد الخالق، قدم له : محمد زاهد الكوثري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط : 2 ، 1414هـ، 1994م.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي، ***شعب الإيمان***، تح: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، ط: 1، 1423هـ، 2003م.

الترمذي، محمّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى، ***سنن الترمذي***، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دون: ط، 1998م.

الترمذي، محمّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى، ***سنن الترمذي***، تح: أحمد محمّد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط: 2، 1395هـ، 1975م.

التويجري، محمّد بن إبراهيم بن عبد الله، ***موسوعة الفقه الإسلامي***، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط:1، 1430هـ، 2009م.

الثعلبي، أحمد بن محمّد بن إبراهيم، أبو إسحاق، ***الكشف والبيان عن تفسير القرآن***، تح: الطاهر بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 1، 1422هـ، 2002م.

جاسر عودة، ***مقاصد الشريعة فلسفة للتشريع الإسلامي رؤية منظومية***، المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ، لندن، طبع في المملكة المتّحدة، بريدلز المحدودة، في آينغزلين، 1428هـ، 2007م.

الجاوي، محمد بن عمر نووي، ***مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد***، تح: محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1417هـ، اا،

الجرجاني، علي بن محمّد بن علي الزين الشريف، ***التعريفات***، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط:1، 1403هـ، 1983م.

الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي، ***أحكام القرآن***، تح: محمّد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون: ط، 1405هـ.

جعفر شرف الدين، ***الموسوعة القرآنية***، تح: عبد العزيز بن عثمان التويجري، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ط: 1، 1420هـ..

الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمّد، ***المصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ***، تح: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 3، 1418هـ، 1998م.

الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ***زاد المسير في علم التفسير***، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 1، 1422هـ.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، ***الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية***، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 4، 1407هـ، 1987م.

الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمّد، ***نهاية المطلب في دراية المذهب***، تح: عبد العظيم محمود الدّيب، دار المنهاج، جدة، ط: 1، 1428هـ، 2007م.

الجويني، عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد، ***العقيدة النظامية في الأركان الاسلامية***، تح: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، دون: ط، 1412هـ.

الحجازي، محمّد محمود، ***التفسير الواضح***، دار الجيل الجديد، بيروت، ط:10، 1413هـ.

حكمت بن بشير بن ياسين، ***موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور***، دار المآثر، المدينة المنورة، ط:1، 1420هـ، 1999م.

الحميري، بَحْرَق، محمّد بن عمر بن مبارك، ***حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار***، تح: محمّد غسان نصوح عزقول، دار المنهاج، جدة، ط: 1، 1419هـ.

الخازن، علاء الدين علي بن محمّد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، ***لباب التأويل في معاني التنزيل***، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1415هـ.

الخرائطي، أبو بكر محمّد بن جعفر بن محمّد بن سهل بن شاكر السامري، ***إعتلال القلوب***، تح: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ط: 2، 1421هـ، 2000م.

الخركوشي، عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، ***شرف المصطفى***، دار البشائر الإسلامية، مكة المكرمة، ط: 1، 1424هـ.

الدارمي، أبو محمّد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد، ***سنن الدارمي***، تح: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني، الرياض، ط: 1، 1412 هـ، 2000م.

دروزة محمّد عزت، ***التفسير الحديث***، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دون: ط، 1383هـ.

الدهلوي، أحمد بن عبدالرحيم ولي الله، ***الفوز الكبير في أصول التفسير***، دار الغوثاني للدراسات الإسلاميّة، دمشق، ط: 1، 1429هـ، 2008م.

الرازي، أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، ***المحصول***، تح: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 3، 1418هـ، 1997م.

الرازي، أبو عبد الله محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، ***مفاتيح الغيب***، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: 3، 1420هـ.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر، ***مختار الصحاح***، تح: يوسف الشيخ محمّد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، ط: 5، 1420هـ، 1999م.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمّد، ***المفردات في غريب القرآن***، تح: صفوان عدنان الداودي، الدار الشامية، بيروت، ط: 1، 1412هـ.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، ***تفسير الراغب الأصفهاني***، تح: محمد عبد العزيز بسيوني، دار الوطن، الرياض، ط: 1، 1420هـ، 1999م.

رشيد رضا، محمّد بن علي بن محمّد شمس الدين بن محمّد بهاء الدين، ***تفسير القرآن الحكيم***، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دون: ط، 1990م.

الرُّوياني، أبو بكر محمد بن هارون، ***مسند الروياني***، تح: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط: 1، 1416هـ.

الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، ***تاج العروس من جواهر القاموس***، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية،دون، م، دون: ط.

الزجاج، أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل، ***معاني القرآن وإعرابه***، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط: 1، 1408هـ، 1988م.

الزحيلي، وهبة مصطفى، ***التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج***، دار الفكر، دمشق، ط: 2، 1418هـ.

الزحيلي، وهبة مصطفى، ***التفسير الوسيط***، دار الفكر، دمشق، ط: 1، 1422هـ.

الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم، ***مناهل العرفان في علوم القرآن***، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، حلب، ط: 3.

الزركشي، بدر الدين محمّد بن بهادر بن عبدالله، ***البرهان في علوم القرآن***، تح: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:2، 2011م.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، ***الأعلام***، دار العلم للملايين، ط: 15، 2002م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: 3، 1407هـ.

زياد محمّد حميدان، ***مقاصد الشريعة الإسلاميّة***، الرسالة، بيروت، ط:1، 1420هـ، 1999م.

السرخسي، محمّد بن أحمد بن أبي سهل، ***أصول السرخسي***، تح: أبو الوفا الأفغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1414هـ، 1993م.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، ***القول السديد شرح كتاب التوحيد***، تح: المرتضى الزين أحمد، مجموعة التحف النفائس الدولية، الرياض، ط: 3.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، ***تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان***، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1420هـ.

سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ***الجهاد في سبيل الله***، مطبعة سفير، الرياض، دون: ط.

سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ***نور الإسلام وظلمات الكفر في ضوء الكتاب والسنة***، مطبعة سفير، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، دون: ط.

السمرقندي، محمّد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين، ***تحفة الفقهاء***، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2، 1414هـ، 1994م.

السيد سابق، ***فقه السنة***، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط: 21، 1420هـ، 1999.

سيد قطب، ***في ظلال القرآن***، دار الشروق، بيروت، ط: 37، 1429، 2008م.

سيد قطب، ***معالم في الطريق***، المركز العربي للدراسات والأبحاث، الدوحة، ط: 1، 1433هـ، 2012م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، ***الإتقان في علوم القرآن***، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط:1، 1394هـ، 1974م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، ***الإكليل في استنباط التنزيل***، تح: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1401هـ، 1981م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، ***لباب النقول في أسباب النزول***، تح: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، دون: ط.

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمّد اللخمي الغرناطي، ***الموافقات***، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الرياض، ط: 1، 1417هـ، 1997م.

الشامي، محمّد بن يوسف الصالحي، ***سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد***، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1414هـ، 1993م.

الشعراوي، محمّد متولي، ***تفسير الشعراوي***، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، دون: ط، 1997م.

شفيق جاسر أحمد محمود، ***الفتح العمري للقدس نموذج للدعوة بالعمل والقدوة***، الجامعة الإسلاميّة، المدينة المنورة، ط: 16، 1404هـ.

الشنقيطي، أحمد بن محمود بن عبد الوهاب، ***خبر الواحد وحجيته***، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط: 1، 1422هـ، 2002م.

الشنقيطي، محمّد *الأمين بن محمّد المختار بن عبد القادر الجكني*، ***أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن***، دار الفكر، بيروت، دون: ط 1415هـ، 1995م.

الشوكاني، محمّد بن علي بن محمّد بن عبد الله اليمني، ***فتح القدير***، دار ابن كثير، دمشق، دون: ط.

الشيباني، أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد، ***السير***، تح: مجيد خدوري، الدار المتحدة، بيروت، ط: 1، 1975.

الصابوني، محمّد علي، ***صفوة التفاسير***، المكتبة العصرية، بيروت، دون: ط، 1428هـ، 2007م.

الصلابي، محمّد علي، ***السيرة النبوية***، دار المعرفة، بيروت، ط:3، 1426هـ، 2005م.

الصلابي، محمّد علي، ***فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم***، دار المعرفة، بيروت، ط: 2، 1436هـ.

الصنهاجي، ابن باديس عبد الحميد محمّد، ***العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية***، مكتبة الشركة الجزائرية مرازقه بو داود وشركاؤهما، الجزائر، ط: 2.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، ***المعجم الكبير***، تح: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط: 2، 1415هـ، 1994م.

الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير، ***جامع البيان في تأويل القرآن***، تح: أحمد محمّد شاكر، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ط: 1، 1420هـ، 2000م.

الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن الكريم الصرصري، ***الانتصارات الإسلاميّة في كشف شبه النصرانية***، تح: سالم بن محمّد القرني، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: 1، 1419هـ.

عادل بن محمّد أبو العلاء، ***مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور***، الجامعة الإسلاميّة، المدينة المنورة، ط: 129، 1425هـ.

عائض بن عبد الله القرني، ***لا تحزن***، مكتبة العبيكان، الرياض، 1422هـ.

عبد العزيز بن صالح العمار، ***الخصائص الموضوعية والأسلوبية في حديث القرآن عن القرآن***، المجلس الوطني للإعلام، الإمارات، ط: 1، 1428هـ، 2007م.

عبد الكريم يونس الخطيب، ***التفسير القرآني للقرآن***، دار الفكر العربي، القاهرة،دون: ط.

عبد الوهاب خلاف، ***علم أصول الفقه***، مكتبة الدعوة، القاهرة، ط: 8.

عبدالكريم زيدان، ***الوجيز في اصول الفقه***، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:1، 1427هـ، 2006م.

عبدالله بن ابراهيم بن علي الطريقي، ***الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي***، الرياض، ط: 2، 1414هـ.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، ***الفروق اللغوي***، تح: محمّد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، دون: ط.

علال الفاسي، ***مقاصد الشريعة الإسلاميّة ومكارمها***، دار الغرب الإسلامي، الرباط، ط:5، 1993م.

علي بن نايف الشحود، ***آصرة العقيدة هي الأساس***، دون، م، ط: 2، 1431هـ، 2010م.

علي بن نايف الشحود، ***الأحكام الشَّرعيّة للثورات العربية***، دون، م، ط: 1، 1432هـ، 2011م.

علي بن نايف الشحود، ***الاستعداد للموت***، دار المعمور، ماليزيا، ط: 4، 1430هـ، 2009م.

علي بن نايف الشحود، ***الخلاصة في أحكام الأسرى***، دون، م، ط: 2، 1433هـ، 2012م.

عمر جبه جي، ***مقاصد الشريعة الإسلاميّة أهميتها وأقسامها***، الإمارات، دون: ط.

الغرناطي، أبو القاسم، محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، ***التسهيل لعلوم التنزيل***، تح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط: 1، 1416هـ.

الغرناطي، أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، ***البرهان في تناسب سور القرآن***، تح: محمّد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة، المغرب، دون: ط، 1410هـ، 1990م.

الغزالي، أبو حامد محمّد بن محمّد الطوسي، ***إحياء علوم الدين***، دار المعرفة، بيروت، ط:4، 2004.

الغزالي، أبو حامد محمّد بن محمّد الطوسي، ***المستصفى***، تح: محمّد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1413هـ، 1993م.

الغزالي، أبو حامد محمّد بن محمّد الطوسي، ***شفاء الغليل***، تح: احمد الكبيسي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط: 1، 1390هـ، 1971م،

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن بن عمرو بن تميم البصري، ***كتاب العين***، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، دون: ط.

الفيومي، أحمد بن محمّد بن علي ثم الحموي، أبو العباس، ***المصباح المنير في غريب الشرح الكبير***، المكتبة العلمية، بيروت، دون: ط.

القاسمي، محمّد جمال الدين بن محمّد سعيد بن قاسم الحلاق، ***محاسن التأويل***، *تح:* محمّد *باسل عيون السود*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1418هـ.

القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد، ***البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة***، دار الكتاب العربي، بيروت، دون: ط.

القاضي، عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي، ***التلقين في الفقة المالكي***، تح: أبي أويس محمّد بو خبزة الحسني التطواني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1425هـ، 2004م.

القرضاوي، ***دراسة في فقه مقاصد الشريعة***، دار الشروق، القاهرة، ط:1، 2006م.

القرضاوي، ***فقه الجهاد***، مكتبة وهبة، القاهرة، ط: 3، 2009م.

القرطبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، ***الجامع لأحكام القرآن،*** تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: 2، 1384هـ، 1964م.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، ***تفسير القشيري،*** تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط: 3.

القضاعي، أبو عبد الله محمّد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون، ***مسند الشهاب،*** تح: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 2، 1407هـ.

القطان، مناع بن خليل، ***مباحث في علوم القرآن،*** مكتبة المعارف، الرياض، ط: 3، 1421هـ، 2000م.

القنوجي، أبو الطيب محمّد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني، ***فتحُ البيان في مقاصد القرآن،*** المَكتبة العصريَّة، بَيروت، دون: ط، 1412هـ، 1992م.

القِنَّوجي، محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني، ***نيل المرام من تفسير آيات الأحكام،*** تح: محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، 2003م.

القيسي، أبو علي، الحسن بن عبد الله، ***إيضاح شواهد الإيضاح،*** تح: محمّد بن حمود الدعجاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1408هـ، 1987م،

الكفوي، أبو البقاء الحنفي، ***الكليات،*** تح: عدنان درويش، ومحمّد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، دون: ط.

الكلوذاني، محفوظ بن أحمد بن الحسن، أبو الخطاب، ***الهداية على مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل الشيباني،*** تح: عبد اللطيف هميم، ماهر ياسين الفحل، مؤسسة غراس، ط: 1، 1425هـ، 2004م.

الكيا الهراسي، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، ***أحكام القرآن،*** تح: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 2، 1405هـ.

الماتريدي، محمّد بن محمّد بن محمود، أبو منصور، ***تفسير الماتريدي،*** تح: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1426 هـ، 2005م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب، ***الأحكام السلطانية***، دار الحديث، القاهرة، دون: ط.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمّد بن محمّد بن حبيب، ***تفسير الماوردي، النكت والعيون***، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، دون: ط.

محمّد الغزالي، ***فقه السيرة***، دار القلم، دمشق، ط: 1، 1427هـ.

محمّد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، ***علو الهمة***، دار القمة، مصر، دون: ط، 2004م.

محمّد بن سعيد بن سالم القحطاني، ***الولاء والبراء في الإسلام***، دار طيبة، الرياض، ط: 1.

محمّد فهمي علي أبو الصفا، ***التشريع الإسلامي صالح للتطبيق في كل زمان ومكان***، الجامعة الإسلاميّة، المدينة المنورة، ط:10، 1397هـ، 1977م.

محيسن، محمد سالم، ***القراءات وأثرها في علوم العربية***، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط:1، 1404هـ، 1984م.

محيي الدين، بن أحمد مصطفى درويش، ***إعراب القرآن وبيانه***، دار اليمامة، دمشق، ط: 4، 1415هـ.

المدني، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي، ***موطأ الإمام مالك***، تح: بشار عواد معروف، محمود خليل، مؤسسة الرسالة، بيروت، دون: ط، 1412هـ.

المراغي، أحمد بن مصطفى، ***تفسير المراغي***، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: 1، 1365هـ، 1946م.

مسلم، بن الحجاج أبو الحسن، ***صحيح مسلم***، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون: ط.

مصطفى كاظم محمود، ***دور المقاصد في فهم النص الشرعي***، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلاميّة، بغداد، دون: ط، 1430هـ، 2000م.

المظهري، محمّد ثناء الله، ***التفسير المظهري***، تح: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، باكستان، دون :ط، 1412هـ، VIII، ص.425.

مقاتل بن سليمان، أبو الحسن بن بشير الأزدي البلخي، ***تفسير مقاتل بن سليمان***، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط: 1، 1423هـ،

المقري، أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي، ***الناسخ والمنسوخ***، تح: زهير الشاويش، محمّد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1404هـ.

المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، ***تجريد التوحيد المفيد***، تح: طه محمّد الزيني، المدينة المنورة، دون: ط، 1409هـ، 1989م.

مكي، أبو محمّد بن أبي طالب حَمّوش بن محمّد بن مختار القيسي، ***الإبانة عن معاني القراءات***، تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، دون: ط.

ملا علي القاري، بن سلطان محمد، نور الدين الملا الهروي، (1014هـ)، ***مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح***، دار الفكر، بيروت، ط: 1، 1422هـ، 2002م.

المناوي، زين الدين محمّد بن علي الحدادي، ***التوقيف على مهمات التعاريف***، عالم الكتب، القاهرة، ط: 1، 1410هـ،1990م.

منير الغضبان، ***فقه السيرة***، جامعة أم القرى، المدينة المنورة، ط: 2، 1413هـ، 1992م.

النجدي، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، ***الرسالة المفيدة***، تح: محمد بن عبد العزيز المانع، رئاسة إدراة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، دون: ط.

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس، ***إعراب القرآن***، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1421هـ.

النَّحَّاس، أبو جعفر أحمد بن محمّد بن إسماعيل بن يونس، ***الناسخ والمنسوخ***، تح: محمّد عبد السلام محمّد، مكتبة الفلاح، الكويت، ط: 1، 1408هـ.

النخجواني، نعمة الله بن محمود، ***الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية***، دار ركابي للنشر، مصر، ط: 1، 1419هـ، 1999م.

نعمان جغيم، ***طرق الكشف عن مقاصد الشارع***، دار النفائس للتوزيع، عمان، ط:1، 1435هـ، 2014م.

نور الدين الخادمي، ***علم المقاصد الشَّرعيَّة***، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: 1، 1421هـ، 2001م.

النورسي، بديع الزمان سعيد، ***حقيقة التوحيد أو التوحيد الحقيقي***، دار سوزلر، دون، م، ط: 2، 1988م.

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمّد بن حسين، ***غرائب القرآن ورغائب الفرقان***، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1416 هـ.

هاشم أوزداش، ***Kur'ân Âyetleri Işığında Savaş Esirlerinin Durumu (حالة أسرى الحرب في ضوء الآيات القرآنية)***، رسالة قدمت لنيل شهادة الدكتوراة من جامعة وان يوزنجوييل، معهد العلوم الاجتماعية، قسم العلوم الإسلاميّة الأساسية، شعبة التفسير، الجمهورية التركية، مدينة وان، 2019م.

الهرري، محمّد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الشافعي، ***حدائق الروح والريحان***، تح: هاشم محمّد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، ط: 1، 1421هـ، 2001م.

الهروي، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله البغدادي، ***الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز***، تح: محمّد بن صالح المديفر، شركة الرياض، الرياض، ط: 2، 1418هـ، 1997م.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، ***التفسير البسيط***، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة، الرياض، ط: 1، 1430هـ.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمّد بن علي، ***الوجيز في تفسير الكتاب العزيز***، صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط: 1، 1415هـ.

T.C
VAN YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI
TEFSİR BİLİM DALI

DİRÂSE MEVDÛ‘İYYE, TAHLİLİYYE HAVLE’L-MEKÂSİDİ’Ş-ŞER‘İYYE VE TETBİKÂTİHÂ Fİ SÛRETİ MUHAMMED

(MUHAMMED SÛRESİ’İNDE ŞER'Î MAKSATLAR VE BUNLARIN TATBİKİ BAĞLAMINDA KONULU ANALİTİK BİR ÇALIŞMA)

YÜKSEK LİSANS TEZİ

HAZIRLAYAN
FARHAN HAWI AHMED

DANIŞMAN
PROF. DR. ABDULBAKİ GÜNEŞ

VAN – 2020

KABUL VE ONAY SAYFASI

Yüksek Lisans öğrencisi **Farhan HAWI AHMED AHMED** tarafından hazırlanan "**Dirâse Mevdû'iyye, Tahliliyye Havle'l-Mekâsidi'ş-Şer'iyye ve Tetbikâtihâ fi Sûreti Muhammed**" adlı tez çalışması aşağıdaki jüri tarafından OY BİRLİĞİ / OY ÇOKLUĞU ile Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi Temel İslâm Bilimleri Anabilim Dalı Tefsir Bilim Dalı **YÜKSEK LİSANS TEZİ** olarak kabul edilmiştir.

Danışman: Prof. Dr. Abdulbaki GÜNEŞ
Anabilim Dalı, Üniversite Adı: Temel İslâm Bilimleri Anabilim Dalı Tefsir Bilim Dalı, VAN YYÜ.
Bu tezin, kapsam ve kalite olarak Yüksek Lisans Tezi olduğunu onaylıyorum/onaylamıyorum.

Başkan: Prof. Dr. Abdulbaki GÜNEŞ
Anabilim Dalı, Üniversite Adı: Temel İslâm Bilimleri Anabilim Dalı Tefsir Bilim Dalı, VAN YYÜ.
Bu tezin, kapsam ve kalite olarak Yüksek Lisans Tezi olduğunu onaylıyorum/onaylamıyorum.

Üye: Doç. Dr. Mehmet Nurullah AKTAŞ
Anabilim Dalı, Üniversite Adı: Temel İslâm Bilimleri Anabilim Dalı Tefsir Bilim Dalı, Batman Üniversitesi.
Bu tezin, kapsam ve kalite olarak Yüksek Lisans Tezi olduğunu onaylıyorum/onaylamıyorum.

Üye: Dr. Öğr. Üyesi Mehmet Selim AYDAY
Anabilim Dalı, Üniversite Adı: Temel İslâm Bilimleri Anabilim Dalı Tefsir Bilim Dalı, VAN YYÜ.
Bu tezin, kapsam ve kalite olarak Yüksek Lisans Tezi olduğunu onaylıyorum/onaylamıyorum.

Tez Savunma Tarihi:	**13/08/2020**

Jüri tarafından kabul edilen bu tezin Yüksek Lisans Tezi olması için gerekli şartları yerine getirdiğini ve imzaların sahiplerine ait olduğunu onaylıyorum.

.....

Doç. Dr. Bekir KOÇLAR
Sosyal Bilimler Enstitüsü Müdürü

ETİK BEYAN SAYFASI

Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi, Sosyal Bilimler Enstitüsü **Tez Yazım Kurallarına uygun olarak hazırladığım bu tez çalışmasında;**

- Tez içinde sunduğum verileri, bilgileri ve dokümanları akademik ve etik kurallar çerçevesinde elde ettiğimi,
- Tüm bilgi, belge, değerlendirme ve sonuçları bilimsel etik ve ahlak kurallarına uygun olarak sunduğumu,
- Tez çalışmasında yararlandığım eserlerin tümüne uygun atıfta bulunarak kaynak gösterdiğimi,
- Kullanılan verilerde herhangi bir değişiklik yapmadığımı,
- Bu tezde sunduğum çalışmanın özgün olduğunu

bildirir, aksi bir durumda aleyhime doğabilecek tüm hak kayıplarını kabullendiğimi beyan ederim.

FARHAN HAWI AHMED

27/07/2020

Yüksek Lisans Tezi
FARHAN HAWI AHMED
VAN YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
Ağustos, 2020

Dirâse Mevdû'iyye, Tahliliyye Havle'l-Mekâsidi'ş-Şer'iyye ve Tetbikâtihâ fi Sûreti Muhammed

ÖZET

Muhammed Sûresi, İslâm şeriatının getirdiği hükümlerin konulduğu Medine döneminde inen sûrelerdendir. Bu sûre, düşmanla yapılan savaş hükümlerini içermektedir. Sûrede savaş mevzusunun öne çıkmasından dolayı bu sûreye "Savaş Sûresi" de denmiştir. Sûrede, esirlerle ilgili hükümler ve onların fidye veya karşılıksız bırakılmalarıyla ilgili hükümler konmuştur.

Şer'î maksatlar (Makasıd-ı Şer'iyye), İslâm'ın, hayatın düzgün olması ve Allah'ın muradına göre tanzim edilmesi için getirdiği şeriat meselelerindeki önemli kavramlardır. Bu maksatlar, zaruriyyât, hâciyyât ve tahsîniyyât şeklinde üç aşamadadır. Zaruriyyât, bunların en önde gelenidir. Çünkü hayat, ancak zaruriyyâtın varlığıyla düzgün olur, ondan vazgeçmek mümkün değildir. İslâm şeriatı, zaruriyyâtın muhafazasının gerekliliğini vurgulamıştır ki o, din, can, nesil, akıl ve malın korunmasıdır. Zaruriyyâttan sonra onun peşine hâciyyat ve tahsîniyyât gelir. Bu üç mertebenin muhafazası, varlık ve yokluk tarafı şeklinde iki yönlü olur. Bu maksatlar, umum yönünden makasıd-ı amme, makasıd-ı hassa ve cüz'î ve küllî maksatlar şeklinde çeşitli kısımlara ayrılır. Makasıd-ı amme, şeriatın hükümlerinden belli bir türe mahsus olmayacak şekilde şeriatın bütün veya çoğu konularında ve alanlarında gözlemlenir ki, bu kısma şeriatın vasıfları ve büyük gayeleri girer. Makasıd-ı hassa da şeriatın belli bir konu veya birbirine benzer konuları gerçekleştirmeyi hedeflediklerdir. Mesela şârinin aile hükümleri, mâlî icraatlar, hüküm verme ve şahitlik ve bağışlar gibi konulardaki maksatları bu kabildendir. Bir diğer çeşit de cüz'î maksatlardır ki bunlar, alış-veriş ve mehirden yararlanma gibi fayda ve iyiliği bazı insanlara dönen füru fıkıh hükümleriyle ilgili cüz'î illetler ve hikmetlerdir. Küllî maksatlar da devletin korunması, Kur'ân ve sünnetin tahrif ve tağyirden muhafaza edilmesi, muamelatın icrası, yardımlaşma ve hoşgörü ruhunun yayılması, ahlaki değerlerin yerleştirilmesi gibi ümmetin tamamı veya çoğuyla ilgili maksatlardır .

Hüküm koymada makasıd-ı şer'iyyenin önemli bir yeri vardır. Zira Şari'nin hüküm koymada murat ettiği hedefine uygun, doğru uygulamanın gerçekleşmesi için hükümlerin konulma sebebi olan gayeler ve sırlar ancak makasıd-ı şer'iyye ile bilinir. Aynı şekilde makasıd-ı şer'iyye, şari'nin muradına ulaşabilen fakihin deneyiminin kuvvetine dayanır. Hükümlerin şer'i maksatlarını bilmek bazı yollarla

gerçekleşir. Bunların en önemlileri şunlardır: Kur'ân, Arapların dilinde indiği için Arapçayı doğru bir şekilde anlamak, Kur'ân'ın getirdiği ifadelerin anlaşılması, o ifadelerin indiği dili anlamaya göre olacaktır. Şer'i maksatları bilme yollarından biri de İslâm şeriatının nasslarıyla o nassların hükümleri arasında Şari'nin bu hükümlerden muradına ulaşmak için irtibat kurmak, bir diğeri de yasama hükümlerinin getirdiği illetleri bilmektir ki, sûrenin içerdiği şer'î maksatları bilmek şer'î hükmün istinbatında bize yardımcı olan nassın delâleti, nassın işareti ve muktezası ile mümkün olur.

Kur'ân, Muhammed Sûresi'nde kâfirlerin durumlarını, Allah'ı inkâr ve Muhammed (sas)'in getirdiği hak dinden diğer insanları alıkoymak gibi eylemlerini ortaya koymaktadır. Küfür, İslâm dininden çıkaran ve sahibini ebedi cehennemde bırakan şeydir. Kâfir de dinde kesin olarak bilinen bir şeyi inkâr eden kimsedir. Küfreden kimse adeta Allah'ın yarattıklarından bir şeyi inkâr etmiş gibidir. Allah'ı sıfatlarında, yarattıklarından birine benzeten, Allah'ın kendini tesmiye ettiği sıfatlarından birini inkâr eden ya da Kur'ân'ın Allah'ın kelâmı olduğunu inkâr eden kimse küfre girmiştir. İçinden Allah'ın bir olduğuna, bu dinin hak din olduğuna inanan ancak tekebbür, inat ve inkârından ötürü bunu diliyle söylemeyen kimse de kâfirlerdendir. Küfrün, inkâr ve yalanlama küfrü, büyüklenme küfrü, şek, insanları alıkoyma ve yüz çevirme küfrü ve nifak küfrü gibi kısımları vardır. Sûre-i celile, kâfirlere dair pek çok makasıd ve amellerin boşa gitmesi, öldürülme ve esir alınma, yok edilme ve yerle bir edilme, cehenneme girme gibi yaptırımlara sebebiyet veren şeyleri barındırmaktadır. Kâfirler söz konusu bu yaptırımlara işlemiş oldukları küfür ve Allah yolundan alıkoyma gibi amelleri sebebiyle müstahak olmuşlardır. Bunun sonucunda akıbetleri de ebedi kalacakları cehennem olmuştur .

Mü'min görünüp, içlerinde küfürlerini gizleyenlere Kur'ân-ı Kerim münafık adını vermiştir. Münafıklar, Hz. Peygamber (sas) Medine'ye hicret ettiğinde Medine'de ortaya çıkmışlardır. O zaman bu kimseler, Hz. Peygamber'e ve ashabına açıktan karşı koyamadıklarından Müslüman görünüp küfürlerini gizlemişler, gizli bir şekilde Hz. Peygamberle savaşmışlardır. Büyük nifak sahibini ebedi cehennemde kılar. Çünkü o, Müslümanlığını ve Allah'ın hiçbir ortağı olmadığına ve Muhammed (sas)'in peygamber olduğuna dair imanını ortaya koymakta, hakikatte ise buna inanmamakta hatta bunu yalanlamaktadır. Allah'ın bir insana indirdiği kelâmıyla konuşup o kimseyi insanlara elçi yaptığına, Allah'ın izniyle onları doğru yola iletip azabından korkuttuğuna da inanmamaktadır. Bunun neticesinde münafıklar bu gibi fiillerine karşılık kalplerinin mühürlenmesi, tehdit, korkutma, lanete uğrama, şeytanın aldatması, yapmış oldukları iyiliklerin boşa gitmesi, sırlarının ifşa edilmesi gibi cezalarla cezalandırılmayı hak ettiler. Münafıkların uğradığı bütün bu cezalar, Allah'ın emirlerine karşı gelmeleri, Allah'a iman ve onun yolunda cihad etmede yer alan Allah'ın rızasını istememeleri gibi Allah'ı gazaba getiren amellere uymaları sebebiyledir. Bütün bunlar amellerinin kabul olunmamasına yol açmıştır. Kur'ân onları eleştirmiş, Hz. Peygamber'e tanıtmış ve onları ifşa etmiştir. Bu durum, onların işlemiş oldukları alçakça işler dolayısıyladır ki, Allah Teala onları dünya hayatında alçaklık ve rezillikle ve amellerinin boşa gitmesi ile tehdit etmiştir. Akıbetleri de cehennem olacaktır. Onlar, Müslümanlar için kâfirlerden daha tehlikelidir. Çünkü kâfirlerin tehlikeleri ve düşmanlıkları açıktır, ortadadır. Münafıkların ise ortaya çıkarılmaları kolay değildir. Çünkü onlar, İslâm örtüsüne bürünmüşlerdir. Bundan

dolayı ancak İslâm ve Müslümanların zıddına olan noktalarda durmalarından tanınırlar .

Mü'minler, Allah'a ve resulüne iman eden, peygamberin getirdiklerini tasdik eden, onun emrine uyup Allah'ı birleyen ve O'na hakkıyla kulluk edenlerdir. Bunların akıbetleri de Allah'ın durumlarını düzeltmesi, günahlarını bağışlaması, hidâyet ve takvalarını artırmak, dünya hayatında onları arındırmak ve saflarını temizlemek için çeşitli imtihanlarla sınadıktan sonra düşmanlarına karşı onlara yardım etmesidir. Ahirette ise, günahlarını bağışlayıp onları cennetine koyacaktır. Sûre-i celile, Allah yolunda cihad gibi Mü'minlere gereken ve onlara has şer'î hükümleri açıklamıştır. Cihad, zaruriyyâtı muhafaza için İslâm şeriatının getirdiği önemli hükümlerden biridir. Onun yüce gayelerinden bazıları şunlardır: İslâm dinine girme özgürlüğünü muhafaza etmek, kullarla ilgili şeâiri muhafaza etmek, Müslümanları sınamak ve ilâhî emirlere boyun eğme hususunda onları eğitmek, kâfirleri korkutup onların eziyetlerini def etmek. Sûrede Mü'minlere has şer'î hükümlerden diğer bazıları da Allah'tan başka hiçbir ilâh olmadığını bilmek, bütün işlerinde Allah ve resulüne itaatte bulunmak, dünya sevgisi ve ölüm korkusundan uzak durmayı emretmek, galip durumda iken barış çağrısı yapmamak. Sûrenin sonunda da Allah (cc) Mü'minleri Allah yolunda infak etmemekten sakındırmış ve Allah (cc)'a verdikleri sözlerini terk ederlerse onların yerine başkalarını getirmekle tehdit etmiştir.

Anahtar Kelimeler :Kur'ân, Makasıd, Şeriat, zarûriyyât, hâciyyât, tahsîniyyât

Sayfa Sayıs : VII + 127

Tez Danışman: Prof. Dr. Abdulbaki GÜNEŞ

M.Sc. Thesis
FARHAN HAWI AHMED
VAN YÜZÜNCÜ YIL UNIVERSITY
INSTITUTE OF SOCIAL SCIENCES
April, 2020

An objective, analytical study on the legal purposes
and their applications in Surat Muhammad

ABSTRACT

Surat Muhammad is one of the civil fence that deals with the legislation of the provisions that came under Islamic law, as it contains the provisions of fighting with enemies; And so it was named after another name: fighting; For the emergence of the issue of fighting in it, the provisions of the prisoners are enacted in it, and the security and redemption of their affairs leads to them.

The legitimate purposes are the meanings observed in matters of the law, which Islam came to make life straight and regulated according to God's will, and these purposes are on three levels: necessities, needs, and improvements. The highest essentials are ranked. Because life is not right unless it exists, and it cannot be dispensed with, and Islamic law emphasized the necessity of preserving it, as it is revealed on five levels: religion, soul, offspring, mind, and money. Then comes the lowest ranking after it: needs and improvements, and keeping the three levels is from two sides, namely: the side of existence, and the side of nothingness, and these purposes in general are divided into sections, including: general purposes: which are observed in all or most of the sections of the Sharia and its fields; So that its observation does not pertain to a special type of Sharia law, so the descriptions of the Sharia and its major goals are included in this, including special purposes: it is the Sharia that aims to achieve it in a specific chapter, or in a few homogeneous sections of the legislation. For example: The purposes of the street in the provisions of the family. And the purposes of the street in financial behavior. And the purposes of the judiciary and testimony. And purposes for donations. Including partial intentions: they are partial ills and partial judgment related to the provisions of subsidiary legitimacy, and the benefit to some people is beneficial and benevolent, for example: benefiting from sale and dowry. Including the college: which belongs to the whole or most of the nation, for example: maintaining order, protecting the Qur'an and Sunnah from distortion and change, organizing transactions, spreading the spirit of cooperation and tolerance, and determining values and ethics.

The legitimate purposes are of great importance in the legislation of judgments, as they are defined by the goals and secrets for which the rulings were legislated. To be applied the correct application according to what the Holy Street wanted from the goal in its legislation for the provisions, as well as legitimate intentions to strengthen the sophistication of the jurist who can reach the meaning of

the Holy Street. The attainment of knowledge of the legal intentions of rulings is through several methods, the most important of which are: Understanding the Arabic language correctly. Because the Qur'an is revealed in the language of the Arabs, and the understanding of the texts that the Qur'an came in is according to an understanding of the language in which it was revealed, including: linking the texts of Islamic law and its provisions to reach the meaning of the street from these provisions, including: Knowing the causes of the legislative provisions, where it is possible to know The legal intentions included in the surah through the significance of the text that helps us in deriving the legal ruling, as well as we reach it to the rule through the reference carried by the text, and the condition of the text and so on.

And the Holy Qur'an in Surat Muhammad presented the conditions of the disbelievers and their deeds which they used to do from disbelief in God and repel people from the true religion that the Prophet Muhammad brought. Something of God Almighty's creation, and someone who likened God to one of his creation in his attributes, or denied one of God's attributes by which God called himself, or denied that the Qur'an is the word of God, has disbelieved, and whoever knows in his heart that God is one, and that this religion is true, He did not pronounce her tongue with arrogance, stubbornness and ingratitude, as he is one of the unbelievers. And disbelief is divided into sections: disbelief in denial and denial, disbelief in arrogance, disbelief in doubt, disbelief in repelling and showing off, and disbelief in hypocrisy. The Surah Al-Karima included a number of intentions concerning the disbelievers, which caused them sanctions: from delusion in deeds, killing and families, destruction and destruction, and entering the fire of hell, they deserved these penalties because of what they were practicing of disbelief and repelling on the path of God, and their punishment was that they were in the fire immortal in them.

And those who demonstrated faith and revealed unbelief, the Qur'an called the hypocrites, and they were the ones who grew up in the enlightened city when the Prophet immigrated to it, at that time they demonstrated Islam, and revealed unbelief Because they could not face the Messenger and his companions in public, but rather they are secretly fighting it. And the greater hypocrisy perpetuates its owner in the fire of hell, because it shows his Islam and his belief in God alone, he has no partner and Muhammad is a messenger, and he is not believing in that Rather, it is false, and he does not believe that God spoke with words he sent to people who made him a messenger for people, guides them with his permission and warns them of his evilness and fears their punishment, so they deserve to be punished for their actions with penalties including: the nature of their hearts, the threat and the promises, and their deserving of them, the devil, and the deserving of them to them the curse, Do them from righteousness and righteousness, and reveal their secrets. All of these punishments are due to their followers of what God is angry about their actions, their disobedience to His command, and their hatred of His pleasûre in believing in God and jihad in His path, all of which led to the non-acceptance of their deeds. The Qur'an criticized them and launched a nudity campaign so that the Prophet would introduce them to them, because of their sordid deeds that they were practicing. As for the hypocrites, they cannot be revealed, because they are covered by the cover of Islam. They are known only from their positions that are against Islam and Muslims.

And the believers are those who believed in God and His Messenger and believed what the Prophet said, and committed themselves and criticized his command, so they unified God and worshiped him the right to worship, so their result was that God corrected them, and atoned for their evil, and increased their guidance and piety, and their victory over their enemies in the worldly life, after they afflicted them with all kinds of life For the sake of scrutinizing and purifying their ranks, as for the hereafter, their sins are expiated, and Paradise enters them. The Surah indicated what the believers must have in terms of their own legal provisions of jihad for the sake of God, as it is one of the important legal provisions that the Islamic law brought to protect the necessities, and it has lofty goals including: protecting the freedom to enter the religion of Islam, protecting worship rituals, and testing Muslims and their experience with Being submissive to divine orders, terrorizing the infidels and paying their harm, and among the legal rulings of the believers, which is knowledge without God but God, and their commitment to obey Him and obey His Messenger in all their affairs, Among the legal rulings that Surat Muhammad showed: It is a matter of not being weak, and not calling for peace, and they are in a state of dominance. At the end of the surah, God warns the believers not to spend in his path, and he promises them to replace them if they leave what God has promised them.

Key Words: the Qur'an, purposes, Sharia, necessities, needs, and improvements.

Quantity of Page: VIII + 127

Supervisor: Prof. Dr. Abdulbaki GÜNEŞ

İÇİNDEKİLER

ÖZET…..…V

ABSTRACT…….VII

İÇİNDEKİLER…….X

KISALTMALAR VIII

ÖNSÖZ.....…IX

GİRİŞ .....…...1

1. MUHAMMED SÛRESİ VE BU SÛREDE BULUNAN MAKÂSID-I ŞER'İYYE.....…...5

1.1. MUHAMMED SÛRESİ HAKKINDA GENEL BİLGİ ..... …...6

1.1.1. Sûrenin Adı, Ayet Sayısı ve Sırası ..... …...6

1.1.2. Sûrenin İndiği Yer ve Zaman ..... …...7

1.1.3. Medeni Sûrelerin Özellikleri…….....9

1.1.4. Sûrenin Ana Ekseni 10

1.1.5. Sûrede Münâsebet 12

1.1.6. Üslûbu's-Sûre…….....……16

1.1.7. Sûrede Bulunan Kıraat Farklılıkları... 19

1.1.8. Sûredeki Ayetlerin Nüzul Sebepleri.....21

1.1.9 Sûrede Nesh Meselesi 25

1.2. MAKÂSID-I ŞER'İYYE KAVRAMI VE ÇEŞİTLERİ.....27

1.2.1. Makâsıd-ı Şer'iyye Kavramı 27

1.2.2. Makâsıd-ı Şer'iyyenin Çeşitleri.....31

1.2.3. Makâsıd-ı Şer'iyyenin Kısımları 37

1.2.4. Makâsıd-ı Şer'iyyenin Önemi 40

1.2.5. Makâsıd-ı Şer'iyyeyi Bulma Yolları 43

2. SÛREDE KÂFİR VE MÜNAFIKLARIN DURUMLARINA HAS OLAN MAKÂSID-I ŞER'İYYENİN TAHLİLİ.....46

2.1. KÂFİRLERİN DURUMLARIYLA İLGİLİ MAKÂSID-I ŞER'İYY ..... ….46

2.1.1. Kâfirlerin Amellerinin Zayi Olması ..... ….52

2.1.2. Kâfirlerin Yok Edilmesi Ve Yerle Bir Edilmesi ..... ….54

2.1.3. Kâfirlerin Cehenneme Girmesi ..... ….54

2.1.4. Kâfirlerin Af Edilmemesi ..... ….55

2.2. MÜNAFIKLARIN DURUMLARIYLA İLGİLİ MAKÂSID-I ŞER'İYY….. 57

2.2.1. Münafıkların Kalplerinin Mühürlenmesi ..... ….58

2.2.2. Münafıkların Tehdit Edilmesi ..... ….59

2.2.3. Şeytanın Münafıkları Yoldan Çıkarması ..... ….59

2.2.4. Münafıkların Amellerinin Boşa Gitmesi ..... ….60

2.2.5. Münafıkların Sırlarının Ortaya Çıkması ..... ….61

3. SÛREDE MÜ'MİNLERİN DURUMLARINA HAS OLAN MAKÂSID-I ŞER'İYYENİN TAHLİLİ ..... ….62

3.1. MÜ'MİNLERİN DURUMLARIYLA İLGİLİ MAKÂSID-I ŞER'İYY……..62

3.1.1. Mü'minlerin Günahlarının Bağışlanması ve Durumlarının Düzeltil…… 64

3.1.2. Mü'minlerin Cennete Girmesi ve Cennetin Mü'minlere Tanıtılması……65

3.1.3. Mü'minlerin Hidâyet ve Takvasının Artması ..... ….66

3.1.4. Teselli…….…….69

3.1.5. Mü'minlerin İlahi Yardım Görmesi ve Güçlü Kılınması ..... ….70

3.1.6. Mü'minlerin İmtihan Edilmesi ..... ….74

3.1.7. Mü'minlerin Yönetimi Devralması ..... ….77

3.2. MÜ'MİNLERE HAS OLAN ŞER'Î HÜKÜMLER ..... ….79

3.2.1. Savaş ..... ….79

3.2.2. Cihâd……..92

3.2.3. Kelime-i Tevhidi Bilmek ..... ….95

3.2.4. İstiğfar ..... ….99

3.2.5. İbadet ve Mü'minlerin Amellerinin Boşa Gitmemesi 100
3.2.6. Dünyayı Sevip Ölümden Korkma ve Barış 104
SONUÇ 109
KAYNAKÇA 112
ÖZGEÇMİŞ
TEZ ORİJİNALLİK RAPORU

ÖZGEÇMİŞ

Kişisel Bilgiler

Soyadı, Adı : FARHAN HAWI AHMED

Uyruğu : Irak

Doğum Tarihi ve Yeri : 01.07.1975 Tikrit

Telefon : 9647719659386

Faks :

E-mail : frhanaljly9@gmail.com

Eğitim

Derece	**Eğitim Birimi**	**Mezuniyet Tarihi**
Doktora	…….	
Yüksek Lisans	Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi	2020
Lisans	University of Tikrit	2007

İş Deneyimi

Yıl	**Yer**	**Görev**

Yabancı Dil

İngilizce

VAN YÜZÜNCÜ YIL ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ

LİSANSÜSTÜ TEZ ORİJİNALLİK RAPORU

Tez Başlığı / Konusu

27/07/2020

Dirâse Mevdû'iyye, Tahliliyye Havle'l-Mekâsidi'ş-Şer'iyye ve Tetbikâtihâ fi Sûreti Muhammed

Yukarıda başlığı/konusu belirlenen tez çalışmamın Kapak sayfası, Giriş, Ana bölümler ve Sonuç bölümlerinden oluşan toplam 148 sayfalık kısmına ilişkin, 27/07/2020 tarihinde şahsım/tez danışmanım tarafından TURNİTİN intihal tespit programından aşağıda belirtilen filtreleme uygulanarak alınmış olan orijinallik raporuna göre, tezimin benzerlik oranı % 19 (ondokuz) dır.

Uygulanan Filtreler Aşağıda Verilmiştir:

- Kabul ve onay sayfası hariç,
- Teşekkür hariç,
- İçindekiler hariç,
- Simge ve kısaltmalar hariç,
- Gereç ve yöntemler hariç,
- Kaynakça hariç,
- Alıntılar hariç,
- Tezden çıkan yayınlar hariç,
- 7 kelimeden daha az örtüşme içeren metin kısımları hariç (Limit match size to 7 words)

Van Yüzüncü Yıl Üniversitesi Lisansüstü Tez Orijinallik Raporu Alınması ve Kullanılmasına İlişkin Yönergeyi İnceledim ve bu yönergede belirtilen azami benzerlik oranlarına göre tez çalışmamın herhangi bir intihal içermediğini; aksinin tespit edileceği muhtemel durumda doğabilecek her türlü hukuki sorumluluğu kabul ettiğimi ve yukarıda vermiş olduğum bilgilerin doğru olduğunu beyan ederim.

Gereğini bilgilerinize arz ederim.

27/07/2020

FARHAN HAWI AHMED

Adı Soyadı : FARHAN HAWI AHMED
Öğrenci No :18920003023
Anabilim Dalı: Temel İslam Bilimleri
Programı : Tezli Yüksek Lisans
Statüsü : Y. Lisans ☒ Doktora ☐

DANIŞMAN
Prof. Dr. Abdulbaki GÜNEŞ

27/07/2020

ENSTİTÜ ONAYI
U Y G U N D U R

…./……./2020

Doç. Dr. Bekir KOÇLAR

Enstitü Müdürü